أم القرى
مؤتمر النهضة الإسلاميّة الأوّل

الكتـــاب : أم القرى

المؤلـــــف : عبد الرحمن الكواكبي

دراسة وتحقيق : د. محمـــــد جمـــال طحان

الإشــــــراف الفنـــي

تصميم الغلاف :

الإخراج :

التدقيـــق العـــام :

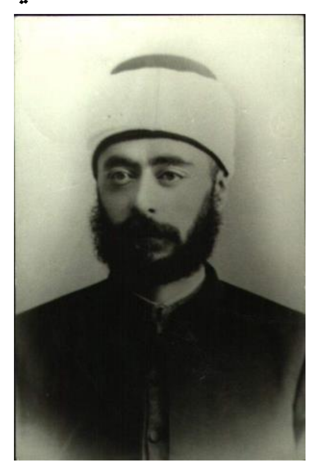
الطبعة السادسة

الناشر :

عنوان المؤلف : الامارات العربية المتحدة 00971527280459

jamaltahhan@hotmail.com

عبد الرحمن الكواكبي



أم القرى
مؤتمر النهضة الإسلاميّة الأوّل

دراسة وتحقيق
د. محمد جمال طحان

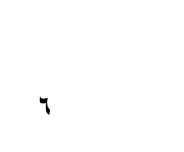




عبد الرحمن الكواكبي

١٨٥٥ـ١٩٠٢

هذا هو الأستاذ ربّ الفضل من	**فقــدت بـه الكتّاب أعظم كاتب**
أبدى لنا مـــن معجـزات بيانــه	**شمساً تلالت من يمين كواكبي**



الإهداء

إلى

أمّتي

و

أمّي

جمال



مقدمة

في القرن الماضي، وفي ظروف القهر والجهل والجوع، وتحت سياط الدولة العثمانية المريضة، ومع غياب وسائل الاتّصال السريع، أبدع الكواكبي صحيفتيه (الشهباء) و (اعتدال) بتمويل ذاتيّ وجهد فرديّ، حيث كان الكاتب والطابع والموزّع. كما ألّف (أم القرى) بشكل روائي جعل كثيراً من الباحثين يظنّون أنّه سجلّ لوقائع حقيقية. ووضع (طبائع الاستبداد) مبيّناً علاقاته المختلفة.

فكم واحداً منّا ـ نحن العرب المعاصرين ـ يستطيع أن يحرّك الفكر من حوله بمقدار ما حرّكه الكواكبي ؟

وهل نحن عاجزون، في ظل الاستقلال والتقنيّة الحديثة، عن إنجاز ما فعله أجدادنا ؟ ولماذا ؟

أتراها الهجمة المستعِرة على الاستهلاك، أم هو الاستبداد الذي يُطبق على أفكارنا بحيث نعجز عمّا استطاعه مفكّرو القرن الماضي، بالرغم من ظروف القهر والتخلّف ؟

والكواكبي واحد من أجدادنا الأفذاذ؛ رُوَّاد النهضة الذين حاولوا النهوض بالواقع إيماناً منهم بمسؤوليّة العلماء في توعية الناس ليقدروا على المطالبة بحقوقهم بعد أن يدركوا أنّهم بشر أحرار في صنع مصائرهم.

وبالرغم من أنه واحد من القلائل الذين تُذكر أسماؤهم في الكتب المدرسيّة، نكاد لا نعثر إلاّ على عدد ضئيل ممن يعرفون إسهاماته في محاولة النهضة العربية تحت لواء علم عربي واحد، لا يتعارض وجوده مع رابطة تضمّ الشعوب الإسلاميّة،ولا يتنافى ودخول العرب في تحالفات مختلفة مع الآخرين. وكثير منهم لا يعرفون صيحاته التي تُندِّد بالاستبداد، وتدعو إلى تحرير العقول من الجمود، وتطالب بضرورة الاجتهاد في الإسلام الذي وُجد من أجل سعادة الإنسان.

ذلك كله يمنح إعادة طبع (أم القرى) مشروعيته، عسى أن ينتفع به الباحثون، ويتعرّف القرّاء ـ من خلاله ـ إلى واحد من أهم مفكّرينا القوميّين المتنوّرين الإسلاميين في القرن الماضي.

صحيح أنّها ليست المرة الأولى التي نتعرّض فيها للكواكبي، فقد أنجزنا أطروحة عنه في جامعة القديس يوسف، كما أنّ اتّحاد الكتاب العرب نشر لنا دراسة مطوّلة عنه[١] فضلاً عن دراسات كثيرة متفرقة نُشرت لنا في كثير من الدوريّات العربيّة؛ لكنَّ العمل هنا مختلف، ويغطي جوانب لا يمكن أن يغطيها أيّ عمل آخر، وهو عبارة عن جزء من دراسة تصدَّرت تحقيق الأعمال الكاملة للكواكبي[٢] التي أنجزناها بتكليف من مركز دراسات الوحدة العربية، وقد اجتزأنا هذه الدراسة منها لأن كثيرين لم يتمكنوا من الحصول عليها بسبب نفادها وغلاء سعرها.

إنّنا نقدّم ـ هنا ـ مقارنة بين طبعات مختلفة، واختياراً دقيقاً للنصوص من بين مايزيد على عشرين طبعة مختلفة، تم وضع حواشيها والتفسيرات اللازمة لها. وجَهِدنا أن نُخرِج كتاب (أم القرى) على الصورة التي تُرضي صاحبه، بما أُضيف إليه من ضبط وتدقيق وتفسير وإحالات. ثم وضعنا نبذة مختصرة عن حياة الكواكبي، ووصفاً لأم القرى مع دراسة تحليلية له. وأودّ الإشارة إلى أنني سمحتُ لنفسي بتصويب بعض الأخطاء في بعض الأبيات والأشعار، وبتثبيت عناوين يتيمة لاجتماعات أم القرى، وجدتُها في طبعة قديمة انفردت بها. كما أنني عدّلتُ كتابة بعض الهمزات تَبعاً للقاعدة الإملائية المتداولة في بلاد الشام، ممّا لايسيء إلى النص. وقد اكتنف عملي هذا صعوبات كثيرة، أهمّها الصبر على واقع المثقِّف العربي الذي لديه الخيار في أن يموت (شهيداً)، أو أن يعيش (شهيداً).

وإنّني مدين بالشكر لمن ساعدوني على تجاوز كثير من الصعوبات لإنجاز هذا العمل.

---

(١) محمد جمال طحان، الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، دمشق، اتّحاد الكتاب العرب، ط١، ١٩٩٢، ص٥٧٤ .

(٢) محمد جمال طحّان، الأعمال الكاملة للكواكبي، دراسة وتحقيق، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة التراث القومي، ط ١، ١٩٩٥، ص ٥٧٩.

وإذا لاحظ بعض النقّاد نقصاً، فإنّني أتحمّله وحدي، ولهم أن يقيّموا العمل، ويقوّموه، مشكورين، ولن أتردّد في الأخذ بالآراء النقديّة الجادّة، لتعمّ الفائدة، وتتسع دائرة الحوار.

د. محمد جمال طحان

١٠/١٢/٢٠١٤م

طبعات أم القـرى

عنوانـه الكامـل (أم القرى : وهـو ضـبط مفاوضـات ومقـررات مـؤتمر النهضـة الإسـلامية المنعقد فـي مكّـة المكرّمـة سنـة ١٣١٦ هجري) محرِّرُها هو (السيد الفراتي). ألّفه في حلب، وظهرت أولـى مقالاته في صحيفة "المؤيّد" سنة (١٣١٧ هجري= ١٨٩٩ م) ثـم طبعـه، ونقّحـه غيـر مـرّة إلـى أن نشـره (محمـد رشـيد رضـا) فـي (المنار) بعد أن حذف منه عبارات نقد الدولـة العثمانيـة، وقـال عنـه إن الكواكبي قد نقّحه ستّ مرّات قبل طبعه في مصر [١].

وطبعـة (المنـار) عنوانهـا (جمعيـة أم القـرى) ومؤرّخـة سـنة ١٣٢٠ هجري، وتقع فـي ١١٢ صفحة من القطع المتوسط، وفـي حواشـيها تعليقـات (المنـار)، وهـي تختلـف - قليلاً - عن الطبعة المعتمدة، وسنبيّن ذلك في حينـه.

كما أنّ هذه الطبعة محلاّة بعنـاوين الاجتماعـات لتبيين مـا دار فيها، وملحقة بفهرس دقيق للموضوعات. وهـي نسخة خاليـة مـن الكتابـة الجفريـة [٢] التـي ثبّتهـا شـخص مـا بخـط اليـد علـى الوجـه الداخلي من الغلاف الأخير. وسنرمز إلى هذه الطبعة بـالحرفين (ط. م).

وعثرنا على ثلاث طبعات، كلّها متشابهة، من القطـع الصـغير، وتقع في ١٤٨ صفحة، وهي بدون تـاريخ، ولا تختلف عن طبعة (المنار) إلاّ في خلوّها من الحواشي، ومن العنـاوين، ومن فهرسـة الموضوعات.

وهناك طبعة مشتركة مع (طبـائع الاستبداد) فـي مجلد واحد، طبـع المكتبـة التجاريـة بمصـر عـام ١٩٣١ م. وسـنرمز لكـل تلـك الطبعات بالحرفين (ط. ق).

---

(١) المنار، مج٥، سنة ١٣٢٠ هجري = ١٩٠٢ ميلادي.

(٢) الرمزية.

ووجدنا طبعة من الكتاب قام بها السيد (محمود أفندي طاهر) صاحب (جريدة العرب) وهي بدون تاريخ. وتاريخ إيداعها في دار الكتب المصرية هو ١٩٢٣ م، وتقع في ١٨٤ صفحة من القطع الصغير. وفيها زيادات عن سواها في الصفحة ١٧٤، حيث يوضح المؤلف أن الأتراك يُرهِبون أوروبة باسم الخلافة، وأنّ الإسلام الذي يؤمن به العرب، يكره العنف والحرب، لذلك، لم يشترك العرب في مذابح الأرمن، وأن الأتراك لم يُترجموا القرآن إلى لغتهم لضعف إيمانهم وعدم موافقته سياستهم.

وفي آخر هذه الطبعة أوراق مضافة تتحدث عن طريقة الكتابة الجفرية، وتحتوي على جدول الحروف ومفتاح التفاهم بين أعضاء جمعية تعليم الموحّدين. وفيها إرشاد إلى طريقة استخدام الجدول الأفقي في المراسلة، بالتركية والفارسية. وعلى هذه الطبعة اعتمدنا في تلك الإضافات. وسنرمز لهذه الطبعة بالحرفين (ط. ط).

وأخيراً، ظهرت طبعة سنة (١٣٧٩ هجري = ١٩٥٩ ميلادي) عن المطبعة المصرية في حلب بإشراف حفيده وسميّه (الدكتور عبد الرحمن الكواكبي). وتقع في ٢٥٥ صفحة من القطع المتوسط، وفي آخرها فهرس مرقم أبجدياً من (أ) حتى (ك)، ومصدّرة بمقدّمة قال فيها الدكتور عبد الرحمن : (هذه طبعة جديدة لكتاب (أم القرى)، قوبلت على الطبعات المختلفة التي صدرت له، مما يجعلها لا تختلف عن الطبعة الأولى التي أصدرها المؤلف لأوّل مرّة[٣]... (إنّ جدي رحمه الله ألّف (أم القرى) و(طبائع الاستبداد) قبل هجرته إلى مصر، وكان عمي الدكتور أسعد الكواكبي يتولّى تبييض (أم القرى) له وهو في حلب، كما أخبرني أيضاً عالم حلب الثقة المرحوم الشيخ راغب الطبّاخ أن المؤلف أطلعه عليه قبل سفره إلى مصر)[٤]. وفي صفحة ما بعد العنوان صورة للكواكبي باللباس البدوي ويحمل مظلّة في يده اليمنى.

---

(٣) وقد تبيّن لنا غير ذلك، نسبياً، لكن هذا القول يصدق على روح النص وعمومه، وإنْ كان يختلف مع بعض الجزئيات التي بيَّناها آنفاً، يُضاف إلى ذلك أن (أم القرى) قد عُدّل ست مرات قبل أن يتّخذ شكله النهائي.

(٤) أم القرى، ط ١٩٥٩ م، ص١.

وعموماً، فإن هذه الطبعة هي أكمل الطبعات، مما جعلنا نعتمدها، ونضيف إليها ما ينقصها من طبعة (الطاهر) في خاتمة الكتاب، ومن طبعة (المنار) مع الحواشي والتعليقات المضافة. وسنرمز إلى هذه الطبعة بالحرفين (ط. ح).

ولم نتوقّف عند هذا الحد، فقد جمعنا كل الطبعات المتوافرة بعد تلك الطبعة فوجدنا طبعة دُوّن عليها تاريخ ١٩٨٢ م على أنها طبعة ثانية صدرت عن دار الرائد العربي في بيروت، ولكن الواقع أنها نسخة مُصوَّرة عن طبعة ١٩٥٩ م، ولا يوجد بين الاثنتين أي اختلاف إلاّ في معلومات النشر الآتية : رقم الطبعة، الطابع، عام النشر.

أما الطبعات الجديدة فهي كثيرة جداً في الأقطار العربية كلها، وقد أُنجزت من دون الرجوع إلى الوثائق التي خلّفها الكواكبي، مما جعلها طبعات ناقصة وغير دقيقة، كالطبعة التي صدرت عن مؤسسة ناصر للثقافة في بيروت عام ١٩٨١م.

كما صدرت طبعة جديدة عن دار الشرق العربي : بيروت ـ حلب ط٤، ١٩٩١ م، وتقع في ١٩٩ صفحة من القطع المتوسط، وقد أخذ الناشر مقدمة الدكتور عبد الرحمن عن طبعة عام ١٩٥٩ م وأثبتها، كما اعتمد على تلك الطبعة، ولكن طبعته الجديدة جاءت محشوة بالأخطاء. وقد رصدتُ في هذه الطبعة خمسة وثلاثين خطأ خلت منها طبعة ١٩٥٩م.

فالثابت إذاً اعتمادنا على طبعة ١٩٥٩ م، ثم على زيادات ما جاء في طبعة الطاهر، وما جاء في حواشي طبعة المنار. ورمزنا إلى تلك الطبعات، على التوالي، بالحروف : (ط. ح) و (ط. ط) و (ط. م) وأبقينا الطبعات القديمة تحت رمز (ط. ق).

حياة الكواكبي

وُلد عبدالرحمن بن أحمد بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي بحلب في ٢٣ شوال سنة (١٢٧١ـ ١٨٥٥م) لأسرة عربية قديمة في حلب، قيل إنّ جذورها تمتدّ من جهة الأب إلى عليّ بن أبي طالب. وتمتدّ من جهة أمّه عفيفة بنت مسعود آل نقيب إلى محمّد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد.

توفّيت والدته سنة (١٢٧٦هـ ـ ١٨٥٩م) وهو في الخامسة من عمره، فكفلته خالته صفيّة آل نقيب، واصطحبته إلى أنطاكية، وهناك تعلّم القراءة والكتابة والتركيّة وحفظ شيئاً من القرآن الكريم. ثم عاد إلى حلب، وأكمل تعليمه مع شيء من الفارسية، مدّة عام تقريباً، ذهب بعده إلى أنطاكية ثانيةً لدراسة العلوم، ثم استقرّ في حلب سنة (١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥ م) فدخل المدرسة الكواكبيّة التي كانت تتَّبع مناهجَ الأزهر في الدراسة، وكان أبوه مديراً لها. وهناك تابع دروسه في الشريعة والأدب والفارسيّة، كما درس بعض علوم الطبيعة والرياضة. لكنّه لم يكتفِ بذلك، بل راح يعبّ من علوم السياسة والمجتمع والتاريخ والفلسفة.

وأوّل مادخل الحياة العمليّة عُيّن سنة (١٢٨٩ هـ = ١٨٧٢ م) محرّراً في صحيفة (فرات) الرسميّة الناطقة بلسان الحكومة العثمانيّة، وكانت تصدر باللغتين: العربيّة والتركيّة. واستمرّ بالعمل فيه حتى سنة (١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦م). ولأنه رأى أنّها لاتحقّق طموحاته في إعلان الحقيقة على الجماهير، هجرها ليُصدر صحيفة (الشهباء) الخاصّة بالاشتراك الصوري مع هاشم العطّار سنة (١٢٩٤هـ = ١٨٧٧م) وكانت أوّل صحيفة عربية مستقلة تصدر في حلب. ولم يصدر منها غير ١٦ ستة عشر عدداً فقط، إذ أغلقها والي حلب (كامل باشا) القبرصي، لمّا وجد أنّها تنتقد

سياسة السلطنة العثمانيّة. وربّما أرادت السلطة أن تشغله عن توعية الناس فعيّنته سنة (١٢٩٥ هـ = ١٨٧٨ م) عضواً فخرياً في لجنتي المعارف والماليّة. لكنّه لم يُغرَ بالمنصب، ولم ييأس من الإصلاح، فسعى سنة (١٢٩٦هـ= ١٨٧٩م) إلى إنشاء صحيفة (اعتدال) باللغتين: العربيّة والتركيّة، لكنّها، هي الأخرى لم تستمر إذ صدر منها عشرةُ أعداد، ثمّ أوقفتها الحكومة لجرأة صاحبها في انتقاد سياستها.

وحاولت الحكومة إسكاته بالمناصب، فعيّنته في لجنة المقاولات والأشغال العامّة، وقلّدته رئاسة قلم المحضِرين في الولاية، ثمّ عضويّة لجنة امتحان المحامين. كما عُيّن سنة (١٢٩٩ هـ = ١٨٨١ م) مديراً فخرياً للمطبعة الرسمية، ثمّ ثامن رئيس لبلديّة حلب.

وفي سنة (١٣٠٠ هـ = ١٨٨٢ م) توفّي والده ممّا أثّر في نفسه كثيراً، لكنّه لم ينزو، واستمر في نُصرة المظلومين، وانتقاد السلطنة، واستمرّت الحكومة في إغرائه بالمناصب، ففي سنة (١٣٠٤ هـ = ١٨٨٦ م) عيّنته عضواً في محكمة التجارة، ثم رئيساً لغرفة التجارة بحلب (١٣١٠ هـ = ١٨٩٢ م)، ورئيساً للمصرف الزراعي، ثمّ رئيساً لكتّاب المحكمة الشرعيّة (١٣١٢هـ= ١٨٩٤م)، وأعادته سنة (١٣١٤ هـ = ١٨٩٦ م) رئيساً لغرفة التجارة بحلب، ورئيساً للجنة بيع الأراضي الأميرية.

لكنّ أيّاً من تلك المناصب لم يثنه عن عزمه في نقد السلطة والتصدي للخدمة العامّة، إذ فتح مكتباً لنصرة المظلومين، حتى لُقّب بأبي الضعفاء ممّا أغضب الولاة، فسعوا للإيقاع به، فقد استغلّت السلطة محاولة اغتيال والي حلب (جميل باشا)، وألقت القبض على الكواكبي بتهمة التحريض على قتله، ولكنّ ساحته بُرّئت، وعُزل الوالي. ثمّ اتّهمته الحكومة بالاتصال بدولة أجنبية، على لسان والي حلب (عارف باشا)، الذي اتّهمه بالاتفاق مع دولة أجنبية على تسليم حلب، وبإقامة منظّمة سرّية تناوئ نظام الحكم،

وحُكم عليه بالإعدام أمام محكمة حلب المتآمرة مع الوالي، لكنّ الكواكبي قدّم تظلّماً، ورفض المحاكمة في حلب، كما قامت مظاهرة في حلب تطالب بالإفراج عنه، فاضطرت السلطنة إلى إعادة محاكمته في بيروت، حيث قدّم دفاعاً شخصياً عن نفسه، فبرئت ساحته، وتبيّن تزوير الوالي الأوراق التي اتّهمه بوساطتها، وعُزل.

وفي أثناء تلك الأعوام، الصاخبة من حياة الكواكبي، التي تعرّض فيها للظلم والسجن، وصودرت ممتلكاته. كان يضع فصول كتابه " أم القرى " الذي قال (كامل الغزّي) إنّه اطّلع عليه في حلب، وقال ابنه (الدكتور أسعد الكواكبي) أنّه بيّضه له وهو في حلب. كما كان يضع بعض أفكار كتابه الثاني (طبائع الاستبداد). ولكي يتخلّص من إلحاح السلطة العثمانيّة عليه بالتعامل معها، إذ سلّمته قراراً بتعيينه نائباً شرعياً في قضاء (راشيّا) في ولاية (سورية)، فتظاهر بالموافقة، وقرّر الهجرة إلى مصر سرّاً، بحجّة أنّه سيقوم بزيارة إلى (استانبول).

وصل إلى القاهرة في منتصف شهر تشرين الثاني سنة (١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م)، حيث التقى بالمفكّرين والأدباء، وشارك في الحركة الفكريّة في (مصر)، وهناك ذاع صيته إبّان نشره مقالات "طبائع الاستبداد" في صحيفة (المؤيّد) لـ (علي يوسف)، وبعد إصداره كتاب "أم القرى" باسم مستعار هو (السيّد الفراتي)، ثم أصدر "طبائع الاستبداد" تحت اسم (الرحالة ك)، وكتب فصولاً من " أم القرى" في صحيفة "المنار"، سنة (١٣١٨هـ = ١٩٠٠م) بعد حذف اقترحه (محمد رشيد رضا) تحسّباً من السلطة.

وفي سنة (١٣١٩ هـ = ١٩٠١ م) قام برحلة اطّلاعيّة إلى البلاد العربيّة والإسلاميّة، ليدرس أحوالها، وهناك دوّن خواطره ليُصدرها في كتاب، ولكنّ وفاته المفاجِئة حالت دون ذلك. فقد توفي مساء الخميس في (٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٠هـ)، الموافق (١٤ حزيران عام ١٩٠٢م)، على إثر احتسائه (فنجان قهوة) في مقهى

(يلدز) قرب حديقة (الأزبكية) بالقاهرة. وقيل إنّه مات مسموماً على أيـدي أعـوان السـلطان (عبدالحميـد الثـاني)، الملقّـب بالسـلطان الأحمر، الذي أرسل مـن دسّ لـه السم فـي فنجانـه. فبعد أن احتسى القهوة، بنصف ساعة، أحسّ بألم في أمعائه، فانتقل إلى داره، وكان معه ابنه (كاظم)، ثمّ، في منتصف الليل، ذهب ابنه لإحضار الطبيب، ولما عاد ومعه الطبيب وجداه ميتاً. وفي اليوم التـالي أمر السلطان (عبدالحميد الثاني) أحد أعوانه (عبدالقادر القبّاني) صاحب "ثمرات الفنـون" التـي كانـت تصـدر فـي بيـروت، أن يقصـد محـلّ إقامـة الكواكبي، ويحرز جميع أوراقه، ويرسلها إليـه.. وقد فعل ذلك في اليوم التالي لوفاته.

وحـدّثني حفيـده (الـدكتور عبـدالرحمن الكـواكبي) أنّ مخطـوط (طبائع الاستبداد) المعدّل رماه عمّه (كاظم) في صندوق القمامة فلم يُعثر عليه، وأحضره معه بعد انتهاء التفتيش ومصادرتـهم كلّ مـافي البيت من أوراق، من بينها مسوّدات كتابيه (العظمة لله) و(صحائف قريش).

حزن الأدباء والمفكرون لفقده ورثـاه كثيـرون. وممـا قالـه فيـه مصطفى صادق الرافعي:

سـلوا حامليـهِ هـل رأوا حـول نعشـه ... ملائكـةَ مـن حـاربٍ حِلْـفَ حـاربِ ؟
وهـل حملـوا التّقـوى إلـى حفـرة الثّـرى ... وسـاروا بـذاك الطَّـود فـوقَ المناكـبِ ؟
وهـل أغمـدوا فـي صـدرهِ صـارماً إذا ... تجـرَّد راعَ الشـرقُ أهـلَ المغـاربِ ؟
فكـم هـزّهُ الإسـلامُ فـي وجـهِ حـادثٍ ... فهـزَّ صـقيلَ الحـدِّ عضـبَ المضـارِبِ ؟
أرى حسراتٍ فـي النّفوس تـهافتـتْ ... لها قِطَـعُ الأحشاء من كلِّ جانبِ

ودُفن في قرافة باب الـوزير على سطح جبل المقطّم، وبعد أربعين عاماً نُقلت رفاته في احتفال ديني إلى مقبرة المشاهير في شارع العفيفي بمنطقة باب الوزير، وكُتب اسمه وتاريخ وفاته

وتـاريخ نقلـه، علـى صـفحة مـن المرمـر، كُتـب عليهـا بيتـان لحـافظ إبراهيم :

هنـا رجـل الـدّنيا، هنـا مهـبط التّقَـى هنا خيرُ مظلـومٍ، هنـا خير كاتـبِ
قفوا، واقرؤوا (أمّ الكتاب)، وسلّموا عليـه، فـهذا القبـرُ قبـرُ الكـواكبي

أم القرى.. أوّل مؤتمر عربي إسلامي

كتب عبد الرحمن الكواكبي (أم القرى) في حلب. وعنوانه الكامل (أم القرى : وهو ضبط مفاوضات ومقررات النهضة الإسلامية المنعقدة في مكة المكرمة سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م) وظهرت أولى مقالاته في (المؤيد) سنة (١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م). ثم طبعه، ونقّحه غير مرة إلى أن نشره محمد رشيد رضا في (المنار) بعد أن حذف منه عبارات نقد الدولة العثمانية. ووجدتُ طبعةً منه قام بها السيد محمد أفندي طاهر صاحب جريدة العرب، بدون تاريخ. وأخيراً ظهرت طبعة سنة (١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م) بإشراف حفيده الدكتور عبد الرحمن الكواكبي، وعليها اعتمدنا.

تخيّل الكواكبي في (أم القرى) أنّ مؤتمراً عُقد في مكّة للتداول في أحوال المسلمين وأسباب تأخّرهم. وقد حضر هذا المؤتمر (٢٢) مندوباً عن الأقطار الإسلامية جميعها برئاسة الأستاذ المكي، وعُهدت أمانة السر إلى السيد الفراتي، أي الكواكبي نفسه. وقد عَقَدَ المؤتمر اثني عشر (١٢) اجتماعاً غير اجتماع الوداع، وجرت في المؤتمر مباحثات، يمثّل (أم القرى) ضبطاً لها.

يلاحظ الكواكبي في مقدمته الخلل أو الضعف الذي اعترى المسلمين، ثم يحاول أن يعثر على أسبابه، وأن يضع له حلولاً في هذا الكتاب.

الاجتماع الأوّل :

في الاجتماع الأول اتّخذ المؤتمر شعاراً له (لا نعبد إلاّ الله)، وخطب فيه الرئيس مبيّناً أن المسلمين في حالة تقهقر بينما يتمتع العالم الغربي بنهضة كبرى كنّا نحن حملة لوائها، ثم زالت عنّا منذ أكثر من ألف عام، ولا بد لنا من أن ننصر ديننا، وأن نسعى لإقامة الحكم على أساس ديمقراطي؛ لننهض من جديد. ثم دار نقاش

ومباحثات في هذه الجلسة حول وصف الحالة الحاضرة، وتبيين أسباب الخلل لإنذار الأمّة بسوء العاقبة إن استمر أبناؤها على ما هم عليه من الجهل والكسل. ثم وجّه المتباحثون اللوم إلى الناس جميعاً وفي مقدّمتهم الأمراء والعلماء لأنهم لا يتعاونون من أجل النهضة وهم يعلمون أن يد الله مع الجماعة، والجماعة لا تتفق إلاّ بنبذ اختلاف المذاهب وبالانضواء تحت لواء جمعية وظيفتها النهوض بالأمة من وهدة الجهل والغفلة. وعلينا ألاّ نيأس، بسبب الضعف المستشري بنا، إذا انتظمنا في هذه الجمعية، لأن الجمعية يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً يفي بما لا يفي به عمر الفرد الواحد. وهكذا فقد أدرك المؤتمرون أنّ النهضة لا تتم بين ليلة وضحاها، بل هي مشروع يحتاج إلى جهد ووقت وتوحيد.

الاجتماع الثاني :

يبحث في أسباب الفتور. حيث تناول الرئيس مسألة الضعف النازل بالمسلمين، ولفت انتباه المؤتمرين إلى أنهم باحثون لا متناظرون، لذلك، يجب ألاّ يصرّ أحد على رأيه الذاتي، وألا يمانع في العدول عن خطئه، ومَنْ أعجبنا كلامه قلنا له : (مرحى) تعبيراً عن تأييدنا له.

ثم نقد الشامي العقيدة الجبرية فرأى أنّها من المخدرات المثبطات. ولكنّ القدسي قال : إنما سبب الفتور هو تحوّل السياسة الإسلامية من ديمقراطية إلى ملكية مقيدة، ثم إلى ملكية مطلقة، في حين رأى التونسي أنّ سبب البلاء هو تأصّيل الجهل في غالب أمراء المسلمين المترفين. بينما قال المولى الرومي : إن البليّة هي فقدنا الحرية، حرية التعليم والخطابة والمطبوعات والمباحثات. فالحرية هي روح الدِّين، ومنذ فقدنا الحرية لجأنا إلى الخرافات والملهيات فضَعُفَ إحساسنا، وألفنا الاستبداد والذل، فصار الانحطاط طبعاً في أكثرنا، ورضينا بإمارة الجهّال علينا، وكأنَّ مجرّد كون الأمير مسلماً يغني حتى عن العدل، وكأنّ طاعته واجبة ولو كان يخرّب البلاد، ويظلم العباد. هذا، في حين رأى التبريزي أن انحطاطنا من أنفسنا، إذ كنّا نعبد الله وحده، ونأمر بالمعروف،

وننهي عن المنكر، وأمرنا شورنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالفعل أو بالقول أو بالقلب؛ أي بالإعراض عن الخائن الفاسق وتجنّب معاملته أو مجاملته. وهنا عقّب الفاسي بقوله : إنّ طاعة أولي الأمر واجبة، ولكنْ مع العدل، فالحاكم العادل الكافر أفضل من المسلم الجائر وأولى بحكم المسلمين. ولا بد لنا من العودة إلى الجهاد، والجهاد هو ما نعزّ به كلمة الله، ولا يكون بتأييد سلطة الأمراء والعاملين على البلاد، والسبب الأعظم لمحنتنا هو انحلال الرابطة الدينية وتركنا أمورنا إلى الفوضى مما أفشى الفساد فينا، وصرنا نتبع الأشخاص بدلاً من التمسّك بديننا الحنيف. أمّا المدني فقد وجد أن الطامة الكبرى هي من تشويش العلماء المدلّسين وغلاة الصوفية الذين تأوّلوا القرآن الكريم وفق أهوائهم، وقلّدوا الديانات الأخرى في مراسمهم، ووضعوا أحاديث مكذوبة. حينذاك انتفض المولى الرومي قائلاً : إن المنشأ لكل فساد هو انحلال السلطة القانونية وتسلّط فرد عليها، فضلاً عن دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين أي الجهّال المتعممين. وهنا انفض الاجتماع الثاني، وتواعد المؤتمرون على اللقاء الثالث.

الاجتماع الثالث :

ويتمحور حول بحث الداء. ويتابع المولى الرومي كلامه الذي بدأه في الاجتماع السابق بقوله : إن المشكلة هي في ولاية الجهّال المتعمّمين، لأنّ ولايتهم تُصدِّع الشرع، فهم يزينون للأمراء معاداة الشورى، ويحثّونهم على الاستقلال بالرأي من دون الناس جميعاً. وإن استئثار الجهلاء بمزايا العلماء قلّل الرغبات في تحصيل العلوم. وجاء دور الرياضي الكردي فقال : إن الاقتصار على العلوم الدينية يُضعِفُ المسلمين، ولا بد من دراسة العلوم الرياضية والطبيعية أيضاً. وتقصير علمائنا عن العلوم النافعة جعلنا من أحطّ الأمم. فقال الكامل الإسكندري متنهّداً : إنما المشكلة تكمن باليأس، يأسنا من مجاراة الأمم المتقدّمة. وهذا اليأس هو سبب الفتور.

ورأى الفقيه الأفغاني أن الداء هو الفقر، وأن الحكومات صارت تجبي الأموال من الفقراء، وتمنحه للأغنياء الذين يوالونها،

فكثر الفقراء، وفشى الفقر الذي هو من سبب جهلنا وفساد أخلاقنا وتشتت آرائنا. فأجابه السعيد الإنكليزي: إن المسلمين إذا اتبّعوا دينهم أمِنوا الفقر، واستغنوا عن المبادئ المتبعة في الاشتراكية. فالتقارب والتساوي مقرران في الإسلامية ديناً بوسيلة الزكاة والكفارات، ولكنّنا أهملنا ذلك كلّه. أما سبب الفتور فهو فَقْدُ الاجتماعات والمفاوضات والوعظ في أمور الجماعة مما أفقد الإحساس بأهمية اجتماع الشمل للبحث في أحوال المسلمين، وفقدت حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحج معناها، إذ ترك الخطباء التحدّث في الأمور العمومية، وعدّوا ذلك لغواً. وهكذا تأصّل فينا فَقْدُ الإحساس.

فقال الإمام الصيني بعصبية مفتعلة : إنّ السبب الأكبر للفتور هو تكبّر الأمراء وميلهم إلى العلماء المتملّقين المنافقين الذين يزيّنون لهم الاستبداد. وسبب الفتور العام هو استحكام الاستبداد في الأمراء. وإن أفضل الجهاد هو الحطّ من قدر العلماء المنافقين عند العامة، وتحويلهم لاحترام العلماء العاملين حتى لا يلبث أن يحترمهم الأمراء أيضاً ويأخذون بآرائهم، فقال العالم النجدي : أرى أنّ سبب الفتور الطارئ هو تحريف الدِّين حيث أصبح يعني الطاعة العمياء والاتّكاليّة وذلك يعني قبول الاستبداد والموافقة عليه، والواجب علينا أن ندعو إلى الرشد والإصلاح وإلى ترك الخرافات كشيوع عبادة القبور والتسليم لمدّعي علم الغيب.

فلا بد من إصلاح أنفسنا أوّلاً، وقد قال تعالى : ↓ ◑♑♍·
👌✈⬀❑⬩◑♑📪 👓⧫👌 ⬉❸⬃♓❷⧫⬄⬉③ ⬥⬥ ⅄✏👓✁
👓⧫👌 ☎✁❑⬉❸⬃♓❷⧫⬄⬉③ 🗐♐✹☹☒❍
.[1] ⬆ ⬀☠♑🙵⬁❍→▩⊞☼❑🕯♑📪

الاجتماع الرابع :

دار حول ضرورة ترك الناس الشِّرك حيث يعظّم الناس الأمراء، وأهمية ترك التشدُّد في الدِّين.

---

(١) القرآن الكريم، (سورة الرعد) الآية ١١.

الاجتماع الخامس :

ركّز على وجوب الالتزام بالقرآن الكريم والسنّة، من غير تشدّد أو توسّع. ودعا إلى وضع كتب مختصرة مُتّفق عليها، فيها المنهيات والمعاملات والعبادات باختصار يبيّن الحد الأدنى الذي يجب أن يلتزم المسلم به.

الاجتماع السادس :

بدأه الشيخ السندي بالحديث عن نشوء الطرق، ورأى فيها تضييقاً على المسلمين مما جعلهم يلجؤون إلى صوفية هذا الزمان الذين يهوّنون أمر الدِّين على الناس.

هؤلاء الذين يتشبّهون بالصوفية، وما يعرفون منها إلاّ قشورها، لذلك يقولون للناس إن المرشد يمكنه أن يجعل الشّقي وليّاً، ويقرّون بأن الولاية لاينافيها ارتكاب الكبائر كلّها إلاّ الكذب. ويرون أن الاعتقاد أولى من الانتقاد، وأن تحسين الظنّ بالفسّاق والفجّار أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير ذلك مما يهوّن أمر الدين، أو يجعله لهواً يستأنس به الجاهلون.

(ولكنْ، كان على الكواكبي - هنا - أن يبرهن على كلامه فيضرب لنا أمثلة، ويسمّي أشخاصاً حرّفوا الصوفيّة، أنها وصلته عن طريق أحد المسلمين غير العرب).

ويوافق القازاني والمجتهد التبريزي على أن التشديد في الدِّين وتشويشه قد سبّبا الانحطاط، وأن الفتنة التي أصابت الأمة كانت في التدقيق والجدل حول الخلافات بين الأئمة، فاتسعت دائرة الأحكام في الشرع، وكثرت المناظرات وصراعات المذاهب، وتفرّق المسلمون شيعاً وأحزاباً حين تشاجروا في الخلافة والملك. فاستسهل الناس التقليد من غير تبصّر. فعلى علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصّب لمذهب من دون الآخر ليجمعوا كلمة الأمّة من جديد.

الاجتماع السابع :

لخّص فيه السيد الفراتي ما عُرِض من أسباب انحطاط المسلمين، فرأى منها ما هو أصل، ومنها ما هو فرع، وأرجعها كلّها إلى ثلاثة أنواع، هي :

أسباب دينية، وأسباب سياسية، وأسباب أخلاقية. وانتهى إلى ضرورة إبطال التخالف وتشويش الأفكار، وإسكات المدلّسين، ونبذ التقليد والتعصّب للمذاهب، وإلى أهمية طلب الحرية ونزع الاستبداد، وإلى محو الجهل وتقوية التعليم، والابتعاد عن التملّق والمحاباة.

وأضاف إلى ذلك أسباباً أخرى تكمن في السياسة والإدارة العثمانيتين، هي: توحيد القوانين مع اختلاف الأهالي، وتولية غير الأكفاء، واستئثار العثمانيين بالمناصب دون العرب، وتشويش القضاء، وتخيّر الدولة الأسافل لإدارتها التي على التزلّف والرشوة، وبغضها للعرب. وهاجم السيد الفراتي الترك وما جلبوه من نقمة على العرب، إذ تمسّك الحكم العثماني بأصول الإدارة المركزية مع بُعد الأطراف عن العاصمة. وعدم مساءلة رؤساء الإدارة والولاة على إساءاتهم.

وعدم الالتفات لرعاية المقتضيات الدينية، وتضييع حرمة الشرع وقوة القوانين بعدم التزامها، والغفلة عن مقتضيات الزمان بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل.

والضغط على الأفكار المتنبهة بقصد منع نموّها وسموّها واطّلاعها على مجاري الإدارة، محاسنها ومعايبها. وإدارة بيت المال إدارة إطلاق بدون مراقبة أو موازنة، وإتلاف بغير حساب حتى صارت المملكة مديونة للأجانب بديون ثقيلة تُوفى بلاداً ورقاباً ودماءً وحقوقاً. وقد اعتمدت الحكومة العثمانية على إدارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة الرعية ولا قبول مناقشة فيها، وإن كانت إدارة مشهودة المضرّة في كل حركة وسكون. واعتمدت إدارة السياسة الخارجية بالتزلف والإرضاء والمحاباة. مما جعل العرب يقولون في الأتراك : (ثلاث خُلِقن للجور والفساد : القمل والترك والجراد).

الاجتماع الثامن :

بسط فيه السيد الفراتي ركون الأمة إلى الكسل وتعلّقها بالتمجّد والتعالي وترك النساء جاهلات وهنّ أمّهات الأمراء، وبذلك تفسد الأمّ والأمّة والناشئة، ويقلّد الأمراء أخلاق الغرب، وينظرون إلى الأعاجم كسيّد متفوّق يجب تقليده.

ولا بد من قيام جرائد مخصوصة تلوم الشيوخ على تثبيط العزائم، وتهيب بالناشئة ليحرصوا على دينهم وحريتهم، وتدفعهم للجهاد من أجل أن ينالوا حياة راضية في ظل وطن يحبونه، وقوم يؤازرونهم بعيداً عن الانشقاق الديني أو المذهبي، وبعيداً عن الأحقاد.

الاجتماعات التاسع والعاشر والحادي عشر :

فيها قُرِئ قانون الجمعية، وأُبديت عليه ملاحظات قبل إقراره.

الاجتماع الثاني عشر :

وفيه تم إقرار قانون " جمعية تعليم الموحّدين "، وتأليف الجمعية وشروط عضويتها، ومركزها وشعَبها، ومبانيها وأموالها ونفقاتها ووظائفها وكتبها، ونُشر القانون. وربطت آمالها بالعرب لأنهم أعرف الأمم في أصول الشورى ولأنهم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمتين الدينية، والشرقية عموماً. (وهكذا تمّت الاجتماعات، وختمت المذاكرات، وانفضّ الجمع على وعد التلاقي).

لاحقة :

بعد تلك الاجتماعات بشهرين، التقى الصاحب الهندي بأمير ناقشه في شأن الجمعية، وأُرسلت نتيجة المباحثات إلى السيد الفراتي، فدوّنها. وقد انتهت إلى ضرورة وجود خليفة عربي يستلم

زمام الرابطة الدينية، ولا يكون حاكماً. وتُدار البلاد إدارة ذاتية بوساطة حاكم مدني عربي عليه ألاّ يتدخل في شؤون الدِّين مطلقاً، وإنما هو خاضع لمجلس الشورى في بلاده، لأنّ السلطة بدون رقابة علماء الأمة عليها، تُفسد الأمة والسلطان معاً. ولا يجوز أن تجتمع الخلافة والمُلك في شخص واحد حتى لا يفسد السلطانُ الدينَ بتحريفه وفق مقتضيات المصلحة الطارئة للحكم، وحتى لايحكم باسم الدِّين (لأنّ الدِّين شيء والمُلك شيء آخر)، وإنّما على الملك أن يراعي شؤون دولته بما لا يتعارض وأحكام دينه.

وإذا دققنا النظر في التاريخ نجد أن (إدارة الدِّين وإدارة الملك لم تَتَّحِدا في الإسلام تماماً إلا في الخلفاء الراشدين). بناءً عليه؛ لا يجوز الاتّكال على الملوك العثمانيين في أمر الخلافة، علاوة على السلطنة.

هذا هو (أم القرى). بحث فيه الكواكبي عن الداء، وحاول تبيين وضع الشعوب الإسلامية بعامة، والعرب بخاصّة، وما هم عليه من ضعف وفساد. وحاول أن يجد فيه حلولاً مناسبة للخروج من الأزمة.

لقد حمل الكواكبي فكراً واقعياً استهدف خير الإنسان، وواقعيته تتّضح من خلال النقاط الآتية :

١ ـ الاستبداد فكرة عاناها واقعاً وفكراً.
٢ ـ ثقته بأنّ الدِّين ضرورة إنسانية.
٣ ـ ربطه العلم بالعمل.
٤ ـ استنتاجه أنّ الحكومة لابُد أن تستبدّ ما لم تجد عليها رقيباً.

إنّ مواقف الكواكبي الفكريّة جاءت متوافقة وسلوكه العملي، واستطاع أن يثبت أنّه مفكر مناضل، جريء في طرح أفكاره، دقيق في تحليله، صادق في الدفاع عن إنسان بلاده.

كما أنّه عربيّ مسلم، يتضح انتماؤه العربي من خلال تمييزه مصالح العرب من مصالح الشعوب الإسلاميّة الأخرى، ومطالبته بتحرّرهم من أسر الحكم التركي. لقد أحبّ الكواكبي العرب، وعدّهم قادة الجامعة الإسلامية، فبهم يتم إصلاح الدين، وعلى أيديهم تقوم

الجامعة الإسلامية، والخليفة الإسلامي يجب أن يكون عربياً قرشياً. ذلك كله يُعبّر عن إرهاصات المطالبة بالقومية العربية لديه.

وقد لاحظ الكواكبي أنّ هناك ترابطاً دينياً بين الشعوب الإسلاميّة، العربيّة، وانتمى ـ بدوره ـ إلى العرب في وطنه العربي، وإلى إخوانه المسلمين في البلاد الإسلامية الأخرى، من خلال الرابطة الإسلامية التي دعا إليها. فكان مع القوميّة العربيّة ومع الجامعة الإسلامية في الوقت ذاته.

أمّا منطلق الكواكبي الأساسي فهو الإسلام. إنّه مفكّر متديّن، ولأنّه يدين بالإسلام، فقد شرحه مبيّناً اختلافه عن الإسلام الرسميّ السائد، وميّز بين المسلمين والإسلام والإسلامية التي عدّها المنهج المشتق من الإسلام، وبهذا المعنى شكّلت الإسلامية، عنده، المنطلق والمنهج والهدف.

وقد حاول تعزيز انتماءيه : القومي والديني، من خلال وحدة سياسية عربية، وجامعة إسلامية يتولاها خليفة عربي. وهكذا، فإن علاقة إسلام الكواكبي بعروبته، علاقة تكامل وانسجام، لا علاقة تنافر وخصام.

وهو، فضلاً عن إعلانه الانتماء إلى العرب والمسلمين، ينتمي أيضاً إلى الإنسان لأنّه يرى روابط إنسانيّة وحضاريّة تجمع بين النّاس جميعاً، وتسعى إلى رقيّ الإنسان وتقدّمه.

وهكذا؛ نجد أن أم القرى واحد من الكتب المذهلة، إنْ حذفنا منه تاريخ تأليفه، فلن نشكّ لحظة واحدة، في أنّه قد أُنجز توّاً، وخصوصاً أنّ صاحبه قد وقّعه باسم السيد الفراتي.

أيها الواقف على هذه المذكرات [١]:

اعلم أنها سلسة قياس لا يُغني أولها عن آخرها شيئاً. وأنها حلقات معان مرتبطة مترقّية لا يغني تصفّحها عن تتبّعها. فإنْ كنتَ من أمّة الهداية، وفيكَ نشأة حياة ودين وشمة مروؤة، فلا تعجل بالنقد حتى تستوفي مطالعتها، وتعي الفواتح والخواتم، ثم شأنكَ ورأيكَ.

أما إذا كنتَ من أمة التقاليد أسراء [٢] الأوهام، بعيداً عن التبصّر، لا تحبّ أن تدري مَنْ أنت وفي أيِ طريق تسير، وما حقّ دينكَ ونفسكَ عليكَ وإلى ماذا تصير، فتأثّرتَ من كشف الحقائق ودبيب النصائح، وشعرتَ بعار الانحطاط وثقل الواجبات، فلم تطق تتبّع المطالعة وتحكيم العقل والنقل في المقدّمات والنتائج، فأناشدكَ الإهمال الذي ألفناه أنْ تطرح هذه المذكراتِ إلى غيرك ليرى فيها رأيه.

السيد الفراتي[٣]

إخطار

مَنْ يظفر بنسخة من هذا السجل فليحرص على إشاعته بين الموحّدين، وليحفظ نسخة منه ليضيف إليه ماسيتلوه من نشريات[٤] الجمعية باسم (صحائف قريش) [٥] التي سيكون لها شأن إنْ شاء الله في النهضة الإسلامية العلمية والأخلاقية.

---

(١) هذه الصفحة غير موجودة في طبعة (م).
(٢) جمع أسير.
(٣) اسم مستعار اتخذه الكواكبي لنفسه.
(٤) منشورات.
(٥) إحدى المخطوطات المفقودة للكواكبي.

(سجل جمعية أم القرى)
(في مكة المكرمة)
مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد أفضل المخلوقين، وعلى آله وصحبه أنصار دينه الأوّلين، وعلى أتباعهم في مسالكهم إلى يوم الدِّين.

أمّا بعد؛ فأقول، وأنا هو الرحّالة المتكنّي بالسيّد الفراتيّ :

إنّه لما كان عهدنا هذا، وهو أوائل القرن الرابع عشر [1]، عهداً عمّ فيه الخلل والضعف كافّة المسلمين، وكان من سنّة الله في خلقه أن جعل لكل شيء سبباً، فلا بدّ لهذا الخلل الطارئ، من أسباب ظاهريّة غير سرّ القدر الخفي عن البشر؛ فدعت الحميّة بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيّين للبحث عن أسباب ذلك، والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الإسلامية، فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك في بعض الجرائد الإسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية، وقد اطلعتُ على كثير من مقالاتهم الغرّاء في هذا الموضوع الجليل، واتّبعت أثرهم بنشر ملامح لي في حلّ هذا المشكل العظيم.

ثمّ بدا لي أن أسعى في توسيع هذا المسعى بعقد جمعية من سراة الإسلام في مهد الهداية، أعني (مكة المكرمة)، فعقدتّ العزيمة، مُتوكِّلاً على الله تعالى، على إجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية [2]، لاستطلاع الأفكار وتهيئة الاجتماع في موسم أداء فريضة الحج. فخرجت من وطني، أحد[3] مدن الفرات

---

(١) الهجري = ق ١٩/١٨ م .

(٢) لأن العرب وحدهم أولياء هذا الأمر وهذا الدِّين كما سيُفصِّل (الكواكبي). ط. م خالية من هذه الحاشية سنرمز إلى حواشي الكواكبي بعد ذلك بالحرف (ك).

(٣) كذا في الأصل، والصواب : إحدى.

[1]، في أوائل محرّم سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف [2]، وكُلّي ألسن تنشد :

دراكِ فمن يدنف [3] لعمــــرُك يُدفنِ ومانفع نـوح متى قيـل قـد فني[4]

دراكِ فــإن الــدِّين قــد زال عـزّهُ وكان عـزيزاً قبـل ذا غيـرَ هيّنِ

فـكان لـه أهــل يـوفَـون حقّـه بهـدي وتـلقين وحُسنِ تـلقّـنِ

إلام وأهــلُ العلم أحـلاس[5] بيتهم أما صار فرضاً رأبُ هذا التوهن؟

هـلمّوا إلى بـذل التعـاون إنّـه بإهمـاله إثـم على كلّ مـؤمنِ

هـلموا إلـى (أم القـرى) وتـآمروا ولا تقنطوا من روع ربّ مهيمـن [6]

فـإنّ الـذي شادتـه أسيـاف قبلكـم هـو اليـوم لا يحتـاج إلاّ لألسن

فأتيتُ بلدة لا أسميها[7]، ومـا أطلتُ المقام فيها حيثُ وجدتها كما وصف أختها أبو الطيب[8] بقوله :

ولم أر مثل جيـراني ومثـلي لمثـلي عند مثـلهمو مقام[9]

---

(١) يقصد : حلب.
(٢) يقابل عام ١٨٩٨ ميلادي.
(٣) يدنف: يحتضر.
(٤) الأبيات من البحر الطويل، وبعضها مكسور.
(٥) يطيلون الجلوس مع نسائهم، لا يفارقونهن.
(٦) اجتمعوا وأنشؤوا مؤتمراً للتباحث.
(٧) أغلب الظن أنها القسطنطينية.
(٨) المتنبي : هو أبو الطيب المتنبي (٩١٥ ــ ٩٦٥ م) من كبار شعراء العرب، ولد في محلة كنده من الكوفة، وقُتل في عودته من فارس إلى بغداد. أفضل شعره في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك. له ديوان شرحه المعري والعكبري وغيرهما.
(٩) البيتان من البحر الوافر.

بأرض ما اشتهيت رأيت فيها فـــليس يفوتهـــا إلاّ كــرام

فخرجتُ منها سالكاً الطريق البحري من إسكندرون[١] معرِّجاً على بيروت فدمشق، ثم يافا فالقدس، ثم جئتُ إسكندرية فمصر [٢]، ثم من السويس يمّمتُ الحديدة[٣] فصنعاء[٤] فعدن[٥]، ومنها قصدت عُمان [٦] فالكويت، ومنها رجعتُ إلى البصرة، ومنها إلى الحائل[٧] إلى المدينة، على منوّرها أفضل الصلاة والسلام، على مكّة المكرّمة فوصلتها في أوائل ذي القعدة؛ فوجدتُ أكثر الذين أجابوا الدعوة ممّن كنتُ اجتمعتُ بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراتها قد سبقوني بموافاتها. وما انتصفت الشهر وهو موعد التلاقي إلاّ وقدم الباقون ما عدا البيروتيّ الذي حرمنا القدر ملاقاته لسبب أنبأنا عنه فعذرناه.

وفي أثناء انتظارنا منتصف الشهر، سعيتُ مع بعض الإخوان الوافدين في تحرّي وتخيّر اثني عشر عضواً أيضاً لأجل إضافتهم للجمعية وهم من مرّاكش[٨] وتونس[٩] والقسطنطينية وبغجة

(١) إسكندرون : إسكندرونة.
(٢) مصر : يعني القاهرة.
(٣) الحديدة : أهم مدن تهامة، وأكبر مرافئ اليمن على البحر الأحمر.
(٤) صنعاء : مدينة يمنية عريقة، وهي اليوم عاصمة الجمهورية اليمنية.
(٥) عدن : ميناء يمني قديم قرب باب المندب، ومن أشهر مدن اليمن.
(٦) عُمان : إمارة في الخليج العربي.
(٧) حائل : قاعدة إمارة نجد، أي بلاد ابن الرشيد (ك) ١.هـ. مدينة تتوسط المملكة العربية السعودية، كانت عاصمة إمارة آل الرشيد في جبل شمّر.
(٨) مدينة في المغرب.
(٩) دولة ومدينة عربية على المتوسط في شمال إفريقيا.

سـراي[١] وتفلـيس[٢] وتبريـز[٣] وكابـل[٤] وكشـغر[٥] وقـزان[٦] وبكين[٧] ودلهي[٨] وكلكته[٩] وليفربول[١٠].

وإذا كنتُ المباشر لهذه الدعوة بادرتُ واتّخذتُ لي داراً في حيّ متطرّف في مكّة، مناسبة لعقد الاجتماعات بصورة خفية، ومع ذلك استأجرتها باسم بوّاب داغستاني روسي، لتكون مصونة من التعرّض رعاية للاحتياط[١١].

وقد انعقد من منتصف الشهر إلى سلخة[١٢] اثنا عشر اجتماعاً غير اجتماع الوداع، جرت فيه مذاكرات[١٣] مهمة، صار ضبطها وتسجيلها بكمال الدقة كما سيُعلَم من مطالعة هذا السجلّ المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المفاوضات والمقرّرات، غير ما آثرت الجمعية كتمه كما سيُشار إليه.

(١) بغجة سراي : قصر في استنبول.
(٢) تفليس : مدينة روسية على نهر كورا. تكتنفها نتواءات من بلاد القوقاز العظمى والصغرى. وهي المركز الاقتصادي والثقافي لبلاد القوقاز.
(٣) تبريز : مدينة تقع في أذريبجان، ثانية مدن إيران الكبرى.
(٤) كابل : مدينة تقع على نهر كابول، وهي عاصمة أفغانستان.
(٥) كشغر : كاشغر : إقليم في الصين.
(٦) قازان : عاصمة جمهورية تتاريا في أواسط آسيا.
(٧) بكين : عاصمة جمهورية الصين الشعبية اليوم. وهي من أعرق مدن الصين.
(٨) دلهي : مدينة هندية عريقة، وهي اليوم عاصمة جمهورية الهند.
(٩) كلكته : مدينة كبيرة في الهند تقع على دلتا نهر الغانج.
(١٠) ليفربول : مدينة في غرب بريطانيا تطل على بحر إيرلندا.
(١١) لأن الروسي يعدّ أجنبياً، ولا يمكن للحكم التركي أن يتعدى عليه.
(١٢) سلخه : آخره.
(١٣) مذاكرات : مباحثات.

الاجتماع الأول
(تأسيس الجمعية وخطبة الرئيس)
يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ

في اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرّة الأولى وأعضاؤها اثنان وعشرون فاضلاً، كلّهم يحسنون العربيّة، فبعد أن عرّفتُ كُلاً منهم لباقي إخوانه، وتعارفوا بالوجوه، بادرتُهم بتوزيع اثنين وعشرين قائمة مهيئات قبلاً،، مطبوعات بمطبعة الجلاتين التي استعرتها من تاجر هندي في مكّة لأجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعيّة، محرّراً في نسخ القائمة، مختصراً تراجم إخوان الجمعية جميعهم، ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمزية الخصوصية[١]، وموضحاً فيها أيضاً مفتاح الرموز التي يحتاج الإخوان لاستعمالها.

وأعضاء الجمعية هم :

(
٨٤١٣٢٥٩٣٦٥٧٢٧٨٣٥٢٦٤٣٣٢٣٢٧٤٠٤٩١٩٨٦٧٥٦٢٣٢١٤٤٣١
٣٨١٥١٢٧٩٨١٢١٧٦٦٣٥٥٨٤٥٢٢)[٢]

وأعني بذلك : السيد الفراتي[٣]، والفاضل الشامي، البليغ القدسي، الكامل الإسكندري، العلاّمة المصريّ، المحدث اليمنيّ، الحافظ البصريّ، العالم النجديّ، المحقّق المدنيّ، الأستاذ المكيّ، الحكيم التونسيّ، المرشد الفاسيّ، السعيد الإنكليزيّ، المولى

---

(١) في ط. ق و(ط. م) : المخصوصة.

(٢) أسماء أعضاء الجمعية بالأرقام، وهي شيفرة لم يتمكن أحد من حلها بعد. وفي (ط. م) لا وجود لهذه الأرقام.

(٣) شخصيات ابتدعها الكواكبي لتمثل بلادها في المؤتمر، وهي تمثل على التوالي : حلب، دمشق، القدس، الإسكندرية، القاهرة، اليمن، البصرة، نجد، المدينة المنورة، مكة المكرمة، تونس، فاس، بريطانيا، الأتراك العثمانيين، الأكراد، إيران، روسيا، شمال إيران، أتراك آسيا، أفغانستان، الهند، السند، الصين.

الروميّ، الرياضي الكرديّ، المجتهد التبريزيّ، العارف التاتاريّ، الخطيب القازانيّ، المدقّق التركيّ، الفقيه الأفغانيّ، الصاحب الهنديّ، الشيخ السنديّ، الإمام الصينيّ.

ثم بادرتُ الإخوان جاهراً بكلمة شعار الأخوة التي يعرفونها مني من قبل وهي (لا نعبد إلا الله) مسترعياً سمعهم، وخاطبتهم بقولي :

(مَنْ كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في إعلاء كلمة الله والأمانة لإخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله : على عهد الله بالجهاد والأمانة، ومَنْ كان لا يطيق العهد فليعتزلنا)؛ وما جال نظري فيهم إلا وسارع الذي عن يميني إلى عقد العهد، ثم الذي يليه، ثم، وثم إلى آخرهم.

ثم التمستُ أن ينتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومذاكّراتها، وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويُسجِّل المقررات؛ فأجابني العلاّمة البصريّ : (إنّ معرفة الإخوان بعضهم ببعض جديدة العهد، وإنّك أشملهم معرفة بهم، فأنا أترك الانتخاب لك)؛وما أتم رأيه هذا حتى أجمع الكلّ على ذلك، فحينئذ أعلنتُ لهم أنيّ أتخير الأستاذ المكيّ، وأتخير نفسي لخدمة الكتابة، تفادياً عن إتعاب غيري في الخدمة التي يمكنني القيام بها، واستأذنت الأفاضلَ الأعجامَ منهم بنوع من التصرّف في تحرير بعض ألفاظهم[1]، فأظهر الجميع الرضاء والتصويب، وصرَّح الأستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنّهم به، واستولى على الجمعية السكوت ترقباً لما يقول الرئيس.

أما الأستاذ الرئيس فقطَّب جبينه، مستجمعاً فكره، ثم استهلَّ فقال:الحمد لله عالم السرّ والنجوى، الذي جمعنا على توحيده ودينه، وأمرنا بالتعاون على البرّ والتقوى، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً) [2]، وعلى آله وأصحابه وسلّم الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه، لم يشغلهم عن إعزاز الدِّين شاغل، وكان أمرهم شورى بينهم يسعى

---

(١) تدوينها بالفصحى.

(٢) نص الحديث الشريف : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. ينظر : الجامع الصغير، مج ٢، ص ٦٦٠. كشف الخفاء، ج٢، ص٣٨٧.

بذمّتهم أدناهم، اللهم إياك نعبد، لا نخضع لغيرك، وإياك نستعين، لا ننتظر نفعاً من سواك، ولا نخشى ضرّاً، اهدنا الصراط المستقيم الذي لاخفيّات ولا ثنيات فيه، صراط الذين أنعمت عليهم بنعمة الهدايا إلى التوحيد، غير المغضوب عليهم بما أشركوا، ولا الضالين بعدما اهتدوا، سبحانك ربّنا آتنا من لدنك رحمة، وهيّئ لنا من أمرنا رشداً.

وبعد، فيا أيها السادات الكرام، كلّ منّا يعلم سبب اجتماعنا هذا من سابق مفاوضات أخينا السيد الفراتيّ، الذي أجبنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه.

ولذلك، لا أرى لزوماً للبحث عن السبب، كما لا أجد حاجة لتنشيط همّتكم وتأجيج حميّتكم، لأننا كلّنا في هذا العناء سواء، ولكنْ؛ أذكركم بخلاصة تاريخ هذه المسألة فأقول :

إنّ مسألة تقهقر الإسلام بنت ألف عام أو أكثر[١]، وما حفظَ عزّ هذا الدِّين المبين كل هذه القرون المتوالية إلاّ متانة الأساس، مع انحطاط الأمم السائرة عن المسلمين في كلّ الشؤون، إلى أن فاقتنا بعض الأمم في العلوم والفنون المنوّرة للمدارك، فربت قوّتها[٢]، فنشرت نفوذها على أكثر البلاد والعباد من مسلمين وغيرهم، ولم يزل المسلمون في سُباتهم إلى أن استولى الشلل على كلّ أطراف جسم المملكة الإسلامية؛ وقرب الخطر من القلب، أعني (جزيرة العرب)، فتنبهت أفكار مَنْ رزقهم الله بصيرةً بالعواقب، ووفّقهم لنيل أجر المجاهدين، فهبّوا ينشرون المواعظ والتذكرة والمباحث المنذرة، فكثر المتنبّهون، وتحرّكت الخواطر، لكنّها حركة متحيرة الوجه، ضائعة القوّة، فعسى الله أن يرشد جمعيتنا للتوصّل لتوحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة.

وبتدقيق النشريّات التي جادت بها أقلام الفضلاء بهذا الموضوع ترى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائيّة فقط :

---

(١) أي منذ ٣١٦ هـ = ٩٢٨ م. حيث تمكّن غير العرب من حكم الدولة العباسية في أواخر عهدها.

(٢) اعتنت بتقدّمها.

الأول منها : بيان الحالة الحاضرة، ووصف أعراضها بوجه عامّ وصفاً بديعاً يفيد التأثّر، ويدعو إلى التدبّر، على أنّ ذلك لا يلبث إلاّ عشية أو ضحاها.

والثاني : بيان أنّ سبب الخلل النازل هو الجهل الشامل بيان إجمال وتلميح، مع أنّ المقام يقتضي عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح.

والثالث : إنذار الأمّة بسوء العاقبة المحدقة بها إنذاراً هائلاً تطير منه النفوس، مع أنّ الحال الواقع لا تغني فيه النذر.

والرابع : توجيه اللوم والتبعة على الأمراء والعلماء والكافّة لتقاعدهم عن استعمال قوّة الاتّفاق على النهضة، مع أنّ الاتفاق وهم متشاكسون متعذّر لا متعسّر.

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقّها من أنواع بدائع الأساليب، وآن أوان استثمارها، وذلك لا يتم إذا لم يشخّص المرض أو الأمراض المشتركة، تشخيصاً مدقّقاً سياسياً، بالبحث أولاً عن مراكز المرض، ثمّ عن جراثيمه، ليتعيّن بعد ذلك الدّواء الشافي الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة، وبالتنقيب ثانياً عن تدبير إدخاله في جسم الأمة بحكمة تصرع العناد والوهم، وتتغلّب على مقاومة أعضاء الذوق والشمّ.

ثم أظنكم أيها السادة تستحسنون الاكتتام الذي اختاره أكثر هؤلاء الكتّاب الأفاضل، لأنّ لذلك محسّنات، بل موجبات شتّى، ينبغي أن تستعملها جمعيتنا أيضاً؛ فلنحرص كلّنا على الاكتتام لأنّ من موجباته التزام كلّ منا المشرب الغمري[1]،أعني القول الصريح في النصيحة للدِّين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامّة

(١) نسبة إلى الخليفة العادل عمر بن الخطاب : (ق. هـ ٢٤٧ هـ = ٥٨١ – ٦٤٤ م) ثاني الخلفاء الراشدين (١٣-٢٣ هـ = ٦٣٤ – ٦٤٤ م) من بني عدي أحد بطون قريش. أسلم قبل الهجرة بأربع سنوات. لقبه الرسول بالفاروق. اشترك في بدر وأحد، وتزوج الرسول من ابنته حفصة. بادر على إثر وفاة الرسول (ص) بمبايعة أبي بكر الصديق خليفة للمسلمين. أوصى أبو بكر بخلافته بعده. واصلت الجيوش العربية في عهده الفتوحات التي كانت قد بدأت في عهد أبي بكر. تمكّن قواده من فتح الشام والعراق وغالبية فارس ومصر. أول مَنْ نودي بأمير المؤمنين، وأول مَنِ اتخذ ديواناً لضبط المال، وأول مَنِ استقصى القضاء.

أو عتاة، لأنّ حياء المريض مهلكة، وكتم الأمر المستفيض سخافة، والدِّين النصيحة[1]، ولا حياء في الدِّين[2].

ومن موجبات الاكتتام أيضاً أنّ كلّ ما يخالج الفكر في موضوع مسألتنا معروف عند الأكثرين، ولكن بصورة مشتّتة،والناس فيه على أقسام، فَصِنفُ العلماء إما جبناء يهابون الخوض فيه، وإما مراؤون[3] مداجون يأبون أن تُخالِف أقوالُهم أحوالَهم وباقي الناس يأنفون أن يذعنوا النصح صادع غير معصوم، ولذلك كان القول من غير معرفة القائل أرعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للإجماع.

ثمّ يا أيّها الأخوان : أظنكم كذلك تستصوبون أن نترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متّبعوها تقليداً فلا نعرف مآخذ كثير من أحكامها، وأن نعتمد ما نعلم من صريح الكتاب وصحيح السنة وثابت الإجماع، وذلك لكيلا نتفرّق في الآراء، وليكون مانقرّره مقبولاً عند جميع أهل القبلة، إذ إنّ مذهب السلف هو الأصل الذي لا يردّ، ولا تستنكف الأمة أن ترجع إليه، وتجتمع عليه في بعض أمّهات المسائل، لأن في ذلك التساوي بين المذاهب، فلا يثقل على أحد نبذ تقليد أحد الأئمة في مسألة تخالف المتبادر[4] من نص الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة في مدوّنات الصدر الأول.

ولا يكبر هذا الرأي على البعض منكم؛ فما هو برأي حادث بين المسلمين، بل جميع أهل جزيرة العرب ما عدا أخلاط الحرمين على هذا الرأي، ولا يخفى عليكم أنّ أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين إلى ثمانية كلّهم من المسلمين السلفيّين عقيدة، وغالبهم الحنابلة[5] أو الزيدية[6] مذهباً، وقد نشأ الدِّين فيهم وبلغتهم، فهم أهله

---

(١) حديث شريف متفق عليه.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) في الأصل : مراؤن.
(٤) المعنى الظاهر في القرآن الكريم.
(٥) نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل. وهو مذهب يأخذ بظاهر النص من دون التأويل.
(٦) نسبة إلى الإمام زيد بن علي. والزيدية تقابل الإمامية لكنها أقرب إلى أهل السنة. وعندهم أن الإمامة للأصلح. وللزيديين كتاب المجموع في الحديث والفقه.

وحَمَلَتُهُ، وحافظوه وحُمَاتُهُ، وقلّما خالطوا الأغيار، أو وُجِدَتْ فيهم دواعي الإغراب والتفنّن في الدِّين لأجل الفخار[1] ولا يعظمنّ على البعض منكم أيضاً أنه كيف يُسوّغ لأحدنا أن يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد العهد، ويترك تقليد مَنْ يعرف أنّه أفضل منه وأجمع علماً وأكثر إحاطة واحتياطاً.

ولا أظن أنّ فينا مَنْ ليس في نفسه إشكال عظيم في تحرّي مَنْ هو الأعلم بين الأئمة والعلماء، والأحرى بالاعتماد على تحقيقه، لوجود اختلافات واضطرابات مهمّة بينهم ما بين نفي وإثبات، حتى في كثير من الأمور التعبّدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة المتكرّرة ألوف مرات، مثل : هل كان النبيّ عليه الصلاة والسلام، ثمّ جمهور أصحابه عليهم الرضوان، يُصلُّون وتر العشاء بتسليمة أم بتسليمتين ؟ وهل كانوا يقنتون[2] في الوتر أم في الصبح ؟ وهل كان المؤتمّون يقرؤون أم ينصتون ؟ وهل كانوا يرفعون الأيدي عند تكبيرات الانتقال أم لا يرفعون ؟ وهل يعقدون الأيدي أم يرسلونها ؟

فإذا كان الأئمة والعلماء الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف في تحقيق كيفيّة عبادة فعليّة هي عماد الدِّين، أعني الصلاة التي هي من المشهودات المتكررات، وتؤدي بالجموع والجماهير، فكيف يكون شأنهم في الأحكام التي تستند إلى قول أو فعل أو سكوت صدر عن النبي صلى الله عليه وسلّم مرّة أو مرات فقط، ورواها فرد أو أفراد؟.

فعلى هذا، لا أرى من مانع أن نترك النقول المتخالفة خصوصاً منها المتعلّق بالبعض القليل من الأصول، ونجتمع على الرجوع إلى ما نفهمه من النصوص، أو ما يتحقّق عندنا ـ حسب طاقتنا ـ أنه جرى عليه السلف، وبذلك تتّحد وجهتنا، ويتسنّى لنا الاتفاق على تقرير ما نقرّره، ويقوى الأمل في قبول الأمة منا ما ندعوها إليه.

وإني أسلفكم أيها السادات أنّه ينبغي أن لا يهولنا ما ينبسط في جمعيتنا من تفاقم أسباب الضعف والفتور كيلا نيأس من روح الله،

---

(١) سيأتي في أواخر السجل بحث مشبع في مزايا العرب (ك).
(٢) يقرؤون دعاء القنوت في صلاة الوتر.

وأنّ لا نتوهّم الإصابة في قول مَنْ قال : إنّنا أمة ميتة فلا ترجى حياتنا، كما لا إصابة في قول مَنْ قال : إذا نزل الضعف في دولة أو أمّة لا يرتفع؛ فهذه الرومان واليونان والأمريكان، الطليان واليابان وغيرها كلها أمم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل اللوازم الأدبية للحياة السياسية، بل ليس بيننا، ولا سيّما عرب الجزيرة منا، وبين أعظم الأمم الحيّة المعاصرة فرق سوى في العلم والأخلاق العالية، على أنّ مدّة حضانة العلم عشرون عاماً فقط، ومدّة حضانة الأخلاق أربعون سنة[١].

فعلينا أن نثق بعناية الله لا يُعبَدُ سواه، وبهذا الدِّين المبين الذي نشر لواء عزّه على العالمين، ولم يزل بالنظر لوضعه الإلهي ديناً حنيفاً متيناً محكماً مكيناً، لا يفضله، ولا يقاربه دين من الأديان في الحكمة والنظام ورسوخ البنيان.

ثمّ أيقنوا أيّها الإخوان أنّ الأمر ميسور، وأن ظواهر الأسباب ودلائل الأقدار مبشّرة أنّ الزمان قد استدار، ونشأ في الإسلام أنجاب أحرار وحكماء أبرار يُعَدُّ واحدهم بألف، وجمعهم بألف ألف. فقوّة جمعية منظّمة من هؤلاء النبلاء كافية لأن تخرق طبل حزب الشسيطان، وتسترعي سمع الأمة مهما كانت في رقاد عميق، وتقودها إلى النشاط، وإنْ كانت في فتور مُستحكِم عتيق، على أنّ محض انعقاد جمعيتنا هذه لمن أعظم تلك المبشِّرات، خصوصاً إذا وفّقها الله بعنايته لتأسيس جمعية قانونية منتظمة، لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً يفي بما لا يفي به عمر الواحد الفرد، وتأتي بأعمالها كّلها بعزائم صادقة لا يُفسدها التردُّد، وهذا هو سرّ ما ورد في الأثر من أن يد الله مع الجماعة[٢]، وهذا هو سرّ كون الجمعيات تقوم بالعظائم، وتأتي بالعجائب، وهذا هو سرّ نشأة الأمم الغربية، وهذا هو سرّ النجاح في كلّ الأعمال المهمّة، لأن سنة الله في خلقه أنّ كل أمر كلّياً كان

---

(١) إشارة إلى صعوبة اكتساب الأخلاق قياساً إلى تلقّي العلوم.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف : (يد الله مع الجماعة، وإنما يصيب الذئب من الغنم الشاردة). رواه الطبري والترمذي، وفي رواية للترمذي (ومن شذّ شذّ في النار) كشف الخفاء : ج٢، ص ٥٢٩، برقم ٣٢٢٣.

أو جزئياً لا يحصل إلا بقوّة وزمان متناسبين مع أهميته، وأنّ كلّ أمر يحصل بقوّة قليلة في زمان طويل يكون أحكم وأرسخ وأطول عمراً مما إذا حصل بمزيد من القوة في زمان قصير.

وكلّنا يعلم أنّ مسألتنا أعظم من أن يفي بها عمر إنسان ينقطع، أو مسلك سلطان لا يطّرد، أو قوّة عصبية حضرية حمقاء تفور سريعاً، وتغور سريعاً.

وإذا تفكّرنا أنّ مبدأنا أعظم الأعداد اثنان، فذلك مبدأ الجمعيّات شخصان ثم تتزايد حتّى تكمل، وتتقلّب أشكالاً حتّى ترسخ؛ فعلى هذا لا يبعد أن يتم لنا انعقاد جمعية منتظمة تنعقد الآمال بناصيتها. ولا ينبغي الاسترسال مع الوهم إلى أن الجمعيات معرّضة في شرقنا لتيّار السياسة فلا تعيش طويلاً، ولا سيّما إذا كانت فقيرة، ولم تكن كغالب الأكاديميات أي (المجامع العلمية)، تحت حماية رسميّة، بل الأليق بالحكمة والحزم والإقدام والثبات وتوقّع الخير إلى أنّ يتمّ المطلوب.

هذا، وإنّ شرقنا مشرق العظائم والزمان أبو العجائب، وما على الله بعزيز أن يتمّ لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهوريّ، إذا نادى مؤذنها حيّ على الفلاح في رأس الرجاء[1] يبلغ أقصى الصين صداه.

ومن المأمول أن تكون الحكومات الإسلامية راضية بهذه الجمعية، حامية لها ولو بعد حين، لأنّ وظيفتها الأساسية أن تنهض بالأمة من وهدة الجهالة، وترقى بها في معارج المعارف، متباعدة عن كلّ صبغة سياسية، وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد.

ولنبدأ الآن بتشخيص داء الفتور المستولي على الأمة تشخيصاً سياسياً مدققاً، فأرجوكم أيّها السادة أن يعمل كلّ منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفتور، ليبيّن رأيه، وما يفتح الله به عليه في اجتماعاتنا التي نواليها كل يوم، ماعدا يومي الثلاثاء والجمعة، من بعد طلوع الشمس بساعة إلى قبيل الظهر، أعني إلى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة، فنفتتح كلّ اجتماع بقراءة ضبط المذاكرات التي جرت في الاجتماع السابق، ثمّ نشرع بالمفاوضات.

---

(١) يقصد : رأس الرجاء الصالح، وقد عرّفنا به أثناء وروده في الشهباء.

وإنـي أخـتم اجتماعنـا اليـوم ببرنـامج المسـائل الأساسـيّة التـي تـدور عليهـا مـذاكرات جمعيتنـا، وينبغـي لكـلّ منـا أن يفتكـر فيهـا، ويدرسها، وهي عشر مسائل:

١ ـ موضع الداء.
٢ ـ أعراض الداء.
٣ ـ جراثيم الداء.
٤ ـ ما هو الداء ؟
٥ ـ ما هي وسائل استعمال الدواء ؟
٦ ـ ما هي الإسلامية ؟
٧ ـ كيف يكون التديّن بالإسلامية ؟
٨ ـ ما هو الشِّرك الخفيّ ؟
٩ ـ كيف تقاوم البدع ؟
١٠ى ـ تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية.

ولما انتهى خطب الأستاذ الرئيس، وانتهت الجلسة، قال السيد الفراتيّ : إني أرى أن يقيّد كلّ منا هذه المسائل العشر في جانب من ورقة التراجم ليكون القيد تذكرة له، فخفّ أربع منهم نحو المكتبة، وأخذ كلّ قلما، وقيّد فهرست المسائل، ثم توالى الباقون على ذلك؛ وعندما فرغوا من التحرير خاطبهم السيد الفراتيّ بقوله : إنّي أغتنم تشريفكم الأوّل لمحلّي[1] وسيلة لضيافتكم، وقد أعددتُ ما يتسهّل إعداده لغريب مثلي في مثل هذه البلدة المباركة، ثمّ خرج بهم إلى محلّ المائدة، وكان حديثهم على الطعام استقصاء أخبار مُهْتَدِي ليفربول[2] من السعيد الإنكليزي، وبعد أن طعموا عرض عليهم الشاي والقهوة والشراب المثلوج، فكل اختار ما ألف وأحبّ، ثمّ انصرفوا أزواجاً وفرادى مجيبين دعوة خير الدعاة، إذ كان قد دنا وقت الصلاة.

---

(١) منزلي.
(٢) الذين أسلموا من الإنكليز.

الاجتماع الثاني

(الداء أو الفتور العام)

يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع، وبعد قراءة ضبط الجلسة الأولى افتتح الكلام الأستاذ الرئيس فقال :

إنّا نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يُشبّهونها بالمرض، فيُطلقون عليها اسم الداء مجرّداً، أو مع وصفه بالدفين أو المزمن أو العضال، ولعل مأخذ ذلك ما ورد في الأثر، وألفته الأسماع من تشبيه المسلمين بالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى[1]. ويلوح لي أنّ إطلاق الفتور العام أليق بأن يكون عنواناً لهذا البحث لتعلق الحالة النازلة بالأدبيات أكثر منها بالمادّيات، ولأنّ آخر ما فيها ضعف الحس فيناسبه التعبير عنه بالفتور.

كما أنّ هذا الفتور في الحقيقة شامل لكافّة أعضاء الجسم الإسلاميّ، فيناسب أن يوصف بالعام، وربّما يتوقف الفكر في الوهلة الأولى عند الحكم بأنّ الفتور عام يشمل كافة المسلمين، ولكنْ؛ بعد التدقيق والاستقراء نجده شاملاً للجميع في مشارق الأرض ومغاربها لا يسلم منه إلاّ أفراد شاذة.

فيا أيها السادة : ما هو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين، من أيّ قوم كانوا وأينما وُجِدُوا، وكيفما كانت شؤونهم الدينية أو السياسية أو الإفرادية أو المعاشية؛ حتى إننا لا نكاد نجد إقليمين متجاورين أو ناحيتين في إقليم أو قريتين في ناحية أو بيتين في قرية، أهل أحدهما مسلمون والآخر غير مسلمين، إلاّ ونجد المسلمين أقلّ من جيرانهم نشاطاً وانتظاماً في جميع شؤونهم

---

(١) إشارة إلى الحديث الشريف : (مثل المسلمين في توادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

الحيوية الذاتية والعمومية؛ وكذلك نجدهم أقلّ إتقاناً من نظرائهم في كلّ فنّ وصنعة، ومع أننا نرى أكثر المسلمين في الحواضر، وجميعهم في البوادي، محافظين على تميّزهم عن غيرهم من جيرانهم ومخالطيهم في أمّهات المزايا الأخلاقية مثل الأمانة والشجاعة والسخاء ؟

فما هو، والحالة هذه، سبب تعمّم هذا الفتور، وملازمته لجامعة هذا الدِّين كملازمة العلّة للمعلول، بحيث أينما وُجِدَت الإسلامية وُجِدَ هذا الداء، حتّى توهّم كثير من الحكماء أن الإسلام والنظام لا يجتمعان ؟ هذا هو المشكل العظيم الذي يجب على جمعيتنا البحث فيه أوّلاً بحث تدقيق واستقراء، عسى أن نهتدي إلى جرثومة الدّاء عن يقين، فنسعى في مقاومتها، حتّى إذا ارتفعت العلّة برئ العليل إنْ شاء الله تعالى.

قال الفاضل الشامي : إنّي أوافق الأستاذ الرئيس على تعريفه وتوصيفه الحالة النازلة بالفتور، كما أنّي لا أعلم ما يعارض كون هذا الفتور عاماً محيطاً بجميع المسلمين.

قال الصاحب الهندي : إني، وإنْ كنت أقلّ الإخوان فضيلة، ولكنّني جوّال، وقد خبرتُ البلادَ وأحوالَ العباد، ولا شكّ عندي في أنّ هذا الفتور عام، وإنْ كان لا يظهر في بعض المواضع التي ليس فيها غير المسلمين، كأوساط جزيرة العرب وبعض جهات إفريقيا، ولا يظهر أيضاً في بعض مواقع أخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من أهل النحل الوثنية الغريبة الوضع، المتناهية في الشدّة، كبقايا الصابئة[١] حول دجلة[٢] الذين يُضيّعون كثيراً من أوقاتهم منغمسين في الماء تَعبُّداً، وكالكونغو من الزنوج[٣]، وكالبوذية[٤] من الهنود المعتقدين أنَّ كلَّ مصائبهم حتّى الموت الطبيعي من تأثير أعمال السحرة عندهم، فإنّ أمثال هؤلاء أكثر

(١) الذين تقتضي تعاليمهم الاغتسال في المياه الجارية، لذلك، فهم يُقيمون قرب الأنهار.
(٢) نهر ينبع من تركيا، شرق جبال طوروس، ثم يجري في العراق ماراً بالموصل وبغداد، ثم يلتقي مع الفرات ويمتزجان في شط العرب الذي يصبُّ في خليج البصرة.
(٣) اسم القبائل التي كانت تقطن ساحل إفريقيا الشرقي.
(٤) البوذية : عرّفنا بها في حواشي (الشهباء) من هذه الأعمال الكاملة.

فتوراً من المسلمين، على أنّ ذلك لا يرفع صفة الفتور وعموميّته عن المسلمين.

فقال الأستاذ الرئيس : إن الصاحب الهندي مصيب في تفصيله وتحريره، ولذلك، رجعتُ عن قولي بانّ المسلمين أحطّ من غيرهم مطلقاً إلى الحكم بأنهم أحطّ من غيرهم، ما عدا أهل النحل المتشدّدة في التديّن[١].

قال الحافظ البصري : يلوح لي أنّه يلزم استثناء الدهريّين والطبيعيّين وأمثالهم ممن لا دين لهم، لأنّهم لا بد أن يكونوا على غير نظام ولا ناموس في أخلاقهم، معذبين منغصين في حياتهم منحطّين عن أهل الأديان، كما يعترف بذلك الطبيعيّون فيقولون عن أنفسهم إنّهم أشقى الناس في الحياة الدنيا.

فأجابه الصاحب الهندي : إنّي كنتُ أيضاً أظن أنّه يوجد في البشر أفراد ممَّنْ لا دين لهم، وأنّ مَنْ كانوا كذلك لا خلق لهم؛ ثمّ إن خبرتي الطويلة قد برهنتْ لي أنّ الدِّين بمعناه العام وهو إدراك النفس وجود قوة غالبة تتصرّف في الكائنات، والخضوع لهذه القوّة على وجه يقوم في الفكر، هو أمر فطريّ في البشر؛ وأنّ قولهم فلان دهريّ أو طبيعيّ هو صفة لِمَنْ يتوهّم أن تلك القوّة هي الدهر أو الطبيعة فيدين لما يتوهّم.

بناء على ذلك ثَبتَ عندي ما يقرّره الأخلاقيون : من أنّه لا يصحّ وصف صنف من الناس بلا دين لهم مطلقاً، بل كلّ إنسان يدين بدين، إما صحيح، أو فاسد عن أصل صحيح، وإما باطل أو فاسد عن أصل باطل. والفاسدان يكون فسادهما إما بنقصان أو زيادة أو بتخليط، وهذه أقسام ثمانية.

فالدِّين الصحيح كافل للنظام والنجاح في الحال، والسعادة والفلاح في المآل. والباطل والفاسدان بنقصان قد يكون أصحابها على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة؛ وأمّا الفاسدان بزيادة أو بتخليط فمهلكة محضة. ثم أقول ربّما كان تقريري هذا غريباً في بابه فألتمسُ أنْ لا يقبل ولا يُردَّ إلا بعد التدقيق والتطبيق، لأنه أصل مهم لمسألة الفتور العام المستولي على المسلمين.

---

(١) المذاهب التي تميل إلى التعصب والمبالغة.

قال الأستاذ الرئيس : إنّي أجلّكم أيّها السادة الأفاضل عن لزوم تعريفكم آداب البحث والمناظرة، غير أنّي أنبّه فكركم لأمر لا بدّ هو قائم في نفوسكم جميعاً، أو تحبون أن يُصرَّح به، ألا وهو عدم الإصرار على الرأي الذاتي، وعدم الانتصار له، واعتبار أنّ ما يقوله ويبديه كلّ منّا إنْ هو إلاّ خاطر سَنَحَ له، فربّما كان صواباً أو خطأً، وربّما كان مغايراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً أو عملاً، وهو إنّما يورده في الظاهر معتمداً عليه، وفي الحقيقة مستشكلاً أو مستثبتاً أو مستطلعاً رأي الغير. بناء على ذلك فما أحدٌ منا مُلزم برأي يبديه، ولا هو بملوم عليه، وله أن يُعدّل أو يرجع عنه إلى ضده؛ لأنّنا إنّما نحن باحثون لا متناظرون[١]، فإذا أعجبنا رأي المتكلم منّا أثناء خطابه إعجاباً قويّاً فلا بأس أن نجهر بلفظ (مرحى)[٢]، تأييداً لإصابة حكمه وإشعاراً باستحسانه، وعلى هذا النسق فلنمضِ في بحثنا فيما هي أسباب الفتور العام.

قال الفاضل الشامي: إنّي أرى أنّ منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقاديّة والأخلاقية : مثل العقيدة الجبرية[٣]، التي من بعد كل تعديل فيها جعلت الأمة جبريّة باطناً قدريّة ظاهراً[٤]. (مرحى). ومثل الحثّ على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق، وإماتة المطالب النفسية : كحبّ المجد والرياسة، والتباعد عن الزينة والمفاخر، والإقدام على عظائم الأمور، وكالترغيب في أن يعيش المسلم كميّت قبل أن يموت. وكفى بهذه الأصول مفتّرات، مخدّرات، مثبّطات، معطّلات، لا

(١) لا متبارون في تقديم الحجج والبراهين للفوز بمكافأة.
(٢) (مرحى) كلمة نعجب تقولها العرب عند إصابة الرامي. (ك).
(٣) العقيدة الجبرية يعتقد معتنقوها أن الإنسان مسيّر، وأن الله هو الذي يخلق الأفعال كما يخلق الجمادات. من القائلين بها (جهم بن صفوان : ت ١٢٨ هـ = ٧٤٥ م). وتُسمّى أيضاً : الجهمية.
(٤) القدرية: اتجاه يرى أن الإنسان خالق لأفعاله، وهو حرٌ في اختياره، من القائلين به (غيلان الدمشقي). ومبدأ القدرية أحد أصول فكر المعتزلة.

يرتضيها عقل، ولم يأتِ بها شرع، ولمثلها نفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا ذر الغفاري[1] الربذة[2].

فأجابه البليغ القدسي : إنّ هذه الأصول الجبريّة والتزهيديّة الممتزجة بعقائد الأمة، وما هو أشدّ منها تعطيلاً للأخذ بالأسباب ولنشأة الحياة، موجودة في كافة الديانات، لتعدل من جهة شرّه الطبيعة البشرية في طلب الغايات، وتدفعها إلى التوسُّط في الأمور، ولتكون من جهة أخرى تسلية للعاجزين وتنفيساً عن المقهورين البائسين، وتوسُّلاً لحصول التساوي بين الأغنياء والفقراء في مظاهر النعيم.

ألا يرى إجماع كلّ الأديان على اعتقاد القدر خيره وشرّه من الله تعالى، أوخيره منه وشرّه من النفس أو من الشيطان ؟ ومع ذلك، ليس في البشر مَنْ ينسب أمراً إلى القدر إلاّ عند الجهل بسببه ستراً لجهله، أو عند العجز عن نيل الخير أو دفع الشرّ ستراً لعجزه، وحيث غلب أخيراً على المسلمين جهل أسباب المسبِّبات الكونيّة، والعجز عن كلّ عمل، التجؤوا إلى القدر والزهد تمويهاً لا تديُّناً.

وهذا التبتل والخروج عن المال من أعظم القربات في النصرانيّة، فهل كان قصد شارع الرهبانية أن ينقرض الناس كافّة بعد جيل واحد ؟ أم كان قصده أن يشرّعها على أنْ لا يتلبّس بها إلاّ البعض النزر ؟ كلاّ، لا يعقل في هذا المقام إلا التعميم، وينتج من ذلك أنّه لا يصحّ اعتبار هذه الأصول الجبريّة والتزهيديّة سبباً للفتور، بل هي سببٌ لاعتدال النشاط وسيره سيرَ انتظام ورسوخ.

وفي النظر إلى المشاقّ والعظائم التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لنيل الغنى والرياسة والفخار فضلاً عن الثواب، كفاية برهان، مع أنّ الأمة إذ ذاك كانت زاهدة فعلاً، لا كالزهد الذي ندّعيه الآن كذباً ورياءً. (مرحى).

---

(١) أبو ذر الغفاري (ت :٦٥٢ م)صحابي هاجر بعد وفاة النبي (ص) إلى بادية الشام، ثمّ قضى في الربذة. والذي نفاه إلى الربذة هو الخليفة عثمان بن عفان لا عمر بن الخطاب كما ذكر الكواكبي.

(٢) الربذة : موضع قرب المدينة المنورة.

إذا تتبّعنا كلّ ما ورد في الإسلامية[1] حاثّاً على الزهد، نجده موجّهاً إلى الترغيب بالأثرة العامة[2]، أي بتحويل المسلم ثمرة سعيه للمنفعة العمومية دون خصوص نفسه، حتّى إنّ كلّ ما ورد في الحثّ على الجهاد في سبيل الله مراد وبه سعي المؤمن بكل الوسائل، حتّى ببذل حياته لإعزاز كلمة الله وإقامة دينه، لا في خصوصيّة محاربة الكفّار كما تتوهّم العامة، كما أن المراد من محاربة الكفار هي من جهة إعزاز الجامعة الإسلامية، ومن أخرى خدمة الجامعة الإنسانية من حيث إلجاء الكفّار إلى مشاركة المسلمين في سعادة الدارين؛ لأنّ للأمم المترقية علماً ولاية طبيعية على الأمم المنحطّة، فيجب عليها إنسانية أن تهديها إلى الخير ولو كرهاً باسم الدِّين أو السياسة[3].

ثم قال : أمّا عندي، فَيخيَّل إليّ أن سبب الفتور هو تحوّل نوع السياسة الإسلامية، حيث كانت نيابيّة اشتراكية أي (ديمقراطية) تماماً، فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي المحاربات الداخلية مَلَكيّة مقيّدة بقواعد الشرع الأساسية، ثمّ صارت أشبه بالمطلّقة[4]. وقد نشأ هذا التحوّل من أنّ قواعد الشرع كانت في الأوّل غير مدوّنة ولا محرّرة، بسبب اشتغال الصحابة المؤسّسين رضي الله عنهم بالفتوحات، وتفرّقهم في البلاد، فظهر في أمر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء، وتحكّمت فيها آراء الدخلاء، فرجحوا الأخذ بما يلائم نزعتهم الوثنية[5] فاتخذ العمّال السياسيون ولا سيّما المتطرّفون منهم هذا التخالف في الأحكام وسائل للانقسام والاستقلال السياسي، فنشأ عن ذلك أنْ تفرّقت المملكة الإسلامية إلى طوائف متباينة مذهباً، متعادية سياسة، متكافحة على الدوام. وهكذا خرج الدِّين من حصانة أهله، وتفرّقت كلمة الأمة، فطمع بها

---

(١) الإسلامية : منهج الإسلام.

(٢) في (ط.م) (في الإيثار العام) ومُصحَّحة بخطّ اليد، مما يدلُّ على أنه خطأ طباعي، وأنّ الطبعات الأخرى كانت قبل طبعة م. الأثرة : حبُّ النفس، ويقابله : الإيثار.

(٣) لكن هذه الفكرة تخالف سياق آراء الكواكبي العام، ونظن أنه بها غير ما يظهر منها.

(٤) هنا يبدو تأثره بابن خلدون جلياً : ينظر : مقدمة ابن خلدون، القاهرة، طبعة مصطفى فهمي أفندي ١٣٢٢ = ١٩٠٤ م، ص ١٥٩.

(٥) وليتهم لم يدخلوا فيه، فلم يدنسوه، ولم يتغلّبوا على أهله حتى في أهم حق لقريش (ك) أ.هـ. ويقصد : حق الخلافة.

أعداؤها، وصارت معرّضة للمحاربات الداخلية والخارجية معاً لا تصادف سوى فترات قليلة تترقّى فيها العلوم والحضارة على حسبها. وقد أثّر استمرار الأمة في هذه الحروب أن صارت باعتبار الأكثريّة أمة جنديّة صنعة وأخلاقاً، بعيدة عن الفنون والصنائع الكسب بالوجوه الطبيعية. ثمّ بسبب فقدان القوّاد والمعدات لم يبق مجال للحروب الرابحة، فاقتصرت الأمة على المدافعات، خصوصاً منذ قرنين إلى الآن، أي منذ صارت الجنديّة عند غيرهم صنعة علميّة مفقودة عندنا، فصرنا نستعمل بأسنا بيننا فنعيش بالتغالب والتحايل لا بالتعاون والتبادل؛ وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط، ويولّد الخمول والفتور. (مرحى).

ابتدر الحكيم التونسي وأجابه : إنّ غيرنا من الأقوام، جرمانيا[١] مثلاً، وجدوا في حكومات مطلقة كليّاً وفي اختلافات مذهبيّة وفي انقسامات إلى طوائف سياسيّة وفي حروب مستمرّة، ولم يشملهم الفتور بوجه عام؛ فلا بدّ للفتور في المسلمين من سبب آخر.

ثم قال : وفيما أتصور أنّ بلاءنا من تأصل الجهل في غالب أمرائنا المترفين، الأخسرين أعمالاً، الذين ضلّوا وأضلّونا سواء السبيل وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، حتّى بلغ جهل هؤلاء منزلة أحطّ من جهل العجماوات التي لها طبائع ونواميس؛ فمنها التي تحمي زمارها، وتمنع عن حدودها، وتدافع عما استحفظت عليه؛ وهؤلاء ليس لهم طبائع ونواميس، يخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يشعرون[٢].ومنهم البعض ضالّون على علم، وهم الذين يشكون ويبكون حتّى يظن أنّهم مغلوبون على أمرهم، ويتشدّقون بالإصلاح السياسيّ مع أنّهم – وأيم الحق – يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم؛ يظهرون الرغبة في الإصلاح، ويبطنون الإصرار والعناد على ما هم عليه من إفساد دينهم ودنياهم، وهدم مباني مجدهم وإذلال أنفسهم والمسلمين، وهذا داء عياء لا يُرجى منه

---

(١) ألمانيا .

(٢) المعنى مستوحى من الآية الكريمة : ↓⑥↗③⬂❷✎📪🡐❑♌♦
📪🡐⓿↖❑☜⬩&☠📪✎🕯❑③⬃⑨✎⑨&✎☠⬀ ❑◆🕮❑③⬃⑨✎❽
✂🙰🙰📷⬂☺🡐⬩⬃👌✎☪✎✓✖◆▫⬩🙰🙰↖⇳☜◆📷⬃❸↖❑✂☎ ③◆🕔✷🕯⬆❑🕯🖫✎❼
✂🙰❀☜📪⬀🕐❁🕔❷✎↑ الحشر : ٢.

شفاء لأنّه داء الغرور، ولا يقرّ صاحبه لفاضل بفضيلة، ولا يجاري حازماً في مضمار، وقد سرى من الأمراء، إلى العلماء، إلى الكافة.

أجاب المولى الرومي : إنّ تحميل التبعة على الأمراء فقط غير سديد، خصوصاً لأنّ أمراءنا إنْ هم إلاّ لفيف منّا، فهم أمثالنا من كل وجه؛ وقد قيل(كما تكونوا يُولّى عليكم)[١] فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدنفين[٢].

وعندي أنّ البلية فَقْدُنا الحريّة، وما أدرانا ما الحريّة ؟! هي ما حرمنا معناه حتّى نسيناه، وحرم علينا لفظه حتّى استوحشناه[٣]. وقد عرّف الحريّة مَنْ عَرَّفها: (بأن يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله لا يعترضه مانع ظالم). ومن فروع الحريّة تساوي الحقوق ومحاسبة الحكّام باعتبار أنّهم وكلاء، وعدم الرهبة في المطالبة وبذل النصيحة. ومنها : حريّة التعليم، وحريّة المباحثات العلميّة؛ ومنا العدالة بأسرها حتّى لا يخشى إنسان من ظالم أو غاصب أو غدّار مغتال؛ ومنهم الأمن على الدِّين والأرواح، والأمن على الشرف والأعراض، والأمن على العلم واستثماره، فالحرية هي روح الدِّين، ويُنسب إلى حسان بن ثابت[٤] الشاعر الصحابي رضي الله عنه قوله :

وما الدينُ إلاّ أن تُقامَ شرائعٌ   وتـؤمَنَ سُـبْلٌ بيننا وهِضَـابُ[٥]

فلننظر كيف حصر هذا الصحابي الدِّين في إقامة الشرع والأمن.

---

(١) حديث ضعيف. رُوي بحذف النون في (تكونوا) وبإثباتها، كما روي أيضاً (يؤمر عليكم). رواه الديلمي والبيهقي والطبراني، وهنا (كما) بمعنى (أن) فنصبت تكونون من غير أن تكون عاملة بالنسبة إلى (يولّى). ينظر : السيوطي : الجامع الصغير : مج ٢، ص ٢٤٨، رقم الحديث ٦٤٠٦، و: العجلوني، كشف الخفاء : ج٢، ص ١٦٦، رقم الحديث ١٩٩٧.

(٢) مدنفين : محتضرين. الدنف : المرض الملازم الشديد.

(٣) إن المولى الرومي هو من أهل القسطنطينية الذين حرم عليهم سياسية التلفظ بكلمات : حرية وجمعية ووطن ومراد ورشاد وخلافة وخلع ومبعوث ومعتوه ومختل إلى نحو ذلك من الألفاظ التي تمس سياسة الوهم (ك).

(٤) حسان بن ثابت الأنصاري (ت : ٦٧٤ م) شاعر مخضرم وُلد ومات بالمدينة المنورة. دافع عن الإسلام، وهجا قريشاً، أُعجب به النبي (ص) فاتخذه شاعراً له. عُمي في أواخر أيامه.

(٥) البيت من البحر الطويل.

هذا، ولا شكّ أنّ الحرية أعزّ شيء على الإنسان بعد حياته، وإنّ بفقدانها تفقد الآمال، وتبطل الأعمال، وتموت النفوس، وتتعطّل الشرائع، وتختلُّ القوانين. وقد كان فينا راعي الخرفان حرّاً لا يعرف للملك شنآناً[1] يخاطب أميرَ المؤمنين بيا عمر، ويا عثمان، فصرنا ربّما نقتل الطفل في حجر أمّه ونلزمها السكوت فتسكت، ولا تجسر أن تزعج سمعنا ببكائها عليه.

وكان الجندي الفرد يؤمن جيش العدو فل يخفر له عهد، فصرنا نمنع الجيش العظيم صلاة الجمعة والعيدين، ونستهين دينه لا لحاجة غير الفخفخة الباطلة. (مرحى).

فلمثل هذه الحال لا غرور أن تسأم الأمّة حياتها، فيستولي عليها الفتور، وقد كرّت القرون، وتوالت البطون، ونحن على ذلك عاكفون، فتأصّل فينا فَقْدُ الآمال وتَرْكُ الأعمال والبعد عن الجدّ والارتياح للكسل والهزل، والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام أسْر النفس، والإخلاد إلى الخمول والتسفّل طلباً لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب. إلى أن صرنا ننفر من كلّ الماديات والجدّيات حتّى لا نطيق مطالعة الكتب النافعة ولا الإصغاء إلى النصيحة الواضحة، لأنّ ذلك يذكّرنا بمفقودنا العزيز، فتتألم أرواحنا، وتكاد تزهق إذا لم نلجأ إلى التناسي بالملهّيات والخرافات المروحات.

وهكذا ضَعُف إحساسنا، وماتت غيرتنا، وصرنا نغضب ونحقد على مَنْ يُذكّرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيّبة، لعجزنا عن القيام بها عجزاً واقعياً لا طبيعيّاً.

هذا، ونعترف أنّ فينا بعض أقوام ألفوا ألوف سنين الاستعباد والاستبداد، والذل والهوان، فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤلمهم مفارقته؛ وهذا هو سبب أنّ السواد الأعظم من الهنود والمصريين والتونسيين لا سيّما بعد أن نالوا رغم أنوفهم الأمن على الأنفس والأموال[2]، والحرية في الآراء والأعمال، لا يرثون، ولا يتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم[3]، بل ينظرون للناقمين على

---

(١) في الأصل (شنئاناً). والشنآن : العداوة.
(٢) نتيجة الاحتلال البريطاني والفرنسي لهم.
(٣) تعميم غير صحيح.

أمـرائهم المسـلمين شـذراً، وربّمـا يعتبـرون طـالبي الإصـلاح مـن المـارقين من الدِّين، كـأنّ مجرد كـون الأمير مسلماً يغنـي عن كلّ شيء حتّى عن العدل، وكأنّ طاعته واجبة على المسلمين، وإنْ كان يُخرِّب بلادهم، ويقتلِ أولادهم، ويقودهم لِيُسلِّمَهم لحكومات أجنبيـة، كمـا جـرى ذلـك قـبلاً معهـم، والحاصل أنّ فقدنا الحريّـة هـو سـبب الفتور والتقاعس عن كلّ صعب وميسور.

أجـاب المجتهـد التبريـزي : إنّ هـذا الحـال لـيس بعـامّ، مـع أن الفتور لم يزد ازدياداً عامّاً، بل هو في ازدياد واستحكام، فلا بدّ لذلك من سبب آخر.

ثمّ قال : ويلوح لي أنّ انحطاطنا من أنفسنا، إذ أننا كنّا خير أمّـة أُخرجت للناس، نعبد الله وحده، أي نخضـع ونتذلَّلُ لـه فقط، ونطيـع مَنْ أطاعـه مـا دام مطيعـاً لـه، فنـأمر بـالمعروف وننهـى عن المنكـر، أمرنـا شورى بيننـا، نتعاون على البر والتقوى، ولا نتعاون علـى الإثـم والعدوان، فتركنا ذلك كلّه ما صعب منه وما هان.

وقد يُظنّ أنّ أصعب هذه الأمور النهي عن المنكر، مع أنّ إزالـة المنكر في شرعنا تكون بالفعل، فـإنْ لـم يكـن فبـالقول، فـإنْ لـم يكـن فبالقلبَ، وهذه الدرجـة الثالثـة هـي الإعراض عن الخـائن والفاسق والنفور منـه وإيطال بغضه في الله؛ ومن علائم ذلـك تجنـب مجاملتـه ومعاملته، ولا شكّ أنّ إيفـاء هـذا الواجب الـديني كـافٍ للرَّدْعِ[1]،ولا يُتَصَوَّرُ العجز عنـه قطّ، قـال تعـالى : ↓ ❒◆♏⬧❒⬄◻⬀ ⑩ ⬀⬄◻⬃➚⬅
⬅✌⬅⬧⬄✡◻⬄◻" ⬄➔◆➔⬂✍♑⬅⚐
⬄✍⬅◆➔⬂✍⬀⬄⬄⬄⬄⬄⬄⬄⬄ ⬄⬄⬄⬄⬄⬄ ↑ [2]؛

فهذا هو سبب استرسـال الأمّـة لعبـادة الأمـراء والأهـواء والأوهـام، ولا طاعة العصاة اختياراً، ولترك التناصح، وللركون إلـى الفسّـاق، والإذعــان للاســتبداد، وللتخــاذل فــي الخيــر والشــر، قــال :↓
❒◆⬄☞⬄⬄⬄⬄⬄⬄ ⬄⬄⬄⬄⬄⬄⬄ ③◆⑨⇧⬉⬉❑♌◆
❒◆③◆⬄⬄⬄⬄⬄⬄⬄ ⬄⬄⬄⬄⬄⬄ ◆③◆⬄⬄⬉❑♌◆
❒◆③◆⬄⬄⬄⬄⬄⬄⬄ ⬄⬄⬄⬄⬄⬄ ◆③◆⬄⬄⬄❑♌◆
⬉◆⌶⬄ ⬄⬄⬄⬄⬄⬄⬄ 🗐 ❒◆📖⬆❒⬄⬄⬄⬄⬄⬄⬄

---

(١) في النص إشارات إلى آيات وأحاديث كثيرة.

(٢) البقرة : ٢٥١.

♎➔☠⇖ ✂☞☞♏❒☺←⊞▤▩✎⌖←❑♍☞ ↑[1] وعنـــه صـــلى الله عليه وسلم : (لتأمرن بالمعروف،ولتنهين عن المنكر، أو ليستعملنّ الله عليكم شراركم، فيسومونكم سوء العذاب)[2] إلـى غيـر ذلك مـن الآيات البيّنات والأحاديث المنذرات القاضيات بالخذلان علـى تـاركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا هو السبب الناشئ عنـه الفتور.

أجابـه المرشـد الفاسـيّ : إنّنـا كنـا علـى عهـد السلف الصـالح، شـريعتنا سـمحاء واضـحة المسـالك، معروفـة الواجبـات والمنـاهي، فكــان الأمــر بــالمعروف والنهــي عــن المنكــر وظيفــة لكــلّ مســلم ومسـلمة، وكنّـا فـي بسـاطة مـن العيش، متفرّغين لـذلك، ثـمّ شَـغَلَنَا شأن التوسّع فخصّصنا لـذلك محتسبين[3]. ثمّ دخل فـي ديننـا أقـوام ذوو بــأس ونفــاق أقــاموا الاكتســاب مكــان الاحتســاب، وحصــروا اهتمامهم في الجباية وآلتها التي هي الجندية فقط، فبطل الاحتساب، وبطـل الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر طبعـاً، فهـذا يصـلح أن يكون سبباً من جملـة الأسباب، ولكنّـه لا يكفي وحده لإيراث مـا نحـن فيه من الفتور.

علـى أنّ انحصـار همّـة الأمـراء الـدخلاء فـي الجبايـة والجنديّـة أدّى بهـم لإهمــال الـدّين كلّيــاً، ولــولا أنّ فــي القــرآن آيتــين اثنتــين لهجروه ظهريّاً، إحداهما قولـه تعالى: ↓ ❑◆📖❑⬭⊘➔⇖❑✂☎ ✂☞☞♐❷▪⬭←❑✌♦ ❑◆📖↑❑🖫🗁❼ ✂☞☞❀☞♦⬀❺⊘ ✎⊘☪▤↗⚐⬄ ↑ [4] مـع الغفلـة عـن المـراد بـأولي الأمـر، ومـا تقتضيه صيغة الجمع، وما يقتضيه قيد (منكم)، والثانية قولـه تعالى :↓ ❑◆♉⊠🕔♑⊠⑨←❑✂☎ ×⊘❼ ⬭⊠⌛⊘⓿✍✐ ✂☞☞✏★

---

(١) آل عمران : ١٠٤.

(٢) في الأصل (لتأمرون بالمعروف، ولتنهون...) وفي ط، م (لتـأمرنّ بـالمعروف، ولتنـهنَّ عن المنكر...). وتعلّق المنار (لفظ الحديث : (أو ليسلطن الله عليكم شراركم، ثم يدعو خيـاركم، فلا يستجيب لهم) رواه البزار عن عمر والطبراني عن أبـي هريـرة، وسندهما ضـعيف. وللترمـذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال : (أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابـاً منـه، ثـم تدعونـه فلا يستجيب لكم) وقال : حديث حسن.١.هـ.

(٣) موظفـون لمراقبـة البضـائع فـي الأسـواق مـن حيـث جودتهـا وأسـعارها وطـرق عرضـها وحفظها، وهم يُسمّون في عصرنا مراقبي التموين.

(٤) النساء : ٥٩.

﴾[1] مع إغفال : هل الجهاد المأمور به ما يُستحصل به إعزاز كلمة الله، أم ما تُؤيِّد بـه سلطةُ الأمـراء العاملين علـى الإطلاق ؟ فإهمال الاهتمام بالدِّين قد جرّ المسلمين إلى ما هم عليه حتّى خلت قلوبهم من الدِّين بالكلّية ولم يبق له عندهم أثر إلا على رؤوس الألسن، لا سيّما عند بعض الأمراء الأعاجم، الذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم لا يتراؤون بالدِّين إلا بقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الأمّة، كما إنّ ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بأنّهم مشركون، ولو شركاً خفيّاً من حيث لا يشعرون.

فإذا أُضيف إلى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور، يحكم عليهم الشرع والعقل بأنّ ملوك الأجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين، لأنّهم أقرب للعدل ولإقامة المصالح العامّة، وأقدر على إعمار البلاد وترقية العباد، وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من أكثرهم، كما يقتضيه مفهوم : لا يهلك الله القرى وأهلها مصلحون[2].

وقد افتخر النبّي عليه السلام بأنّه وُلد في زمن كسرى أنوشروان[3] عابد الكواكب[4] فقال : (وُلدتُ في زمن الملك العادل)[5].

وحكى (ابن طباطبا)[1] في (الآداب السلطانية والدول الإسلامية) أنّه لما فتح السلطان هلاكو[2] (وهو مجوسّي) بغداد

(١) الأنفال : ٧٤.
(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ↓ [illegible] [illegible] ↑ هود :١١٧. وطبعة المنار تثبت الآية في المتن بخلاف جميع الطبعات الأخرى.
(٣) أنو شروان، كسرى الأول (ت :٥٧٩م) حكم (٥٣١-٥٧٩م)بسط حكمه على بلخ وأجزاء من شبه الجزيرة العربية وأرمينيا والقوقاز. حارب الأباطرة البيزنطيين. أُعيد في عهده تنظيم الإدارة، وفُرضت الضرائب الثابتة على الأرض، وأُدخلت تحسينات على وسائل الري وطرق المواصلات والجيش. شَجَّعَ التعليم والتجارة، وبنى المدن.
(٤) يظن أن اتخاذ الشمس للآن شارة للملك في إيران، وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك، هو من بقايا دياناتهم الأولى.(ك).
(٥) تعليق طبعة المنار: (الحديث موضوع باطل، وإن استشهد به بعض العلماء والأعلام، ومنهم حجة الإسلام) ط.م. ذكره الصنعاني بالتنكير، وقال: إنه موضوع. ينظر :كشف الخفاء ج٢، ص ٤٥٤، الحديث ٢٩٢٧.

سنـــة ٦٥٦ هـ [٣] أمـر أن يُـستفتى علماؤهـا أيّهمـا أفضـل السـلطان الكـافر العـادل أم السـلطان المسـلم الجـائر ؟ فـاجتمع العلمـاء فـي المستنصرية لـذلك، فلمّـا وقفـوا علـى الفتيـا، أحجمـوا عن الجـواب، حيـث كـان رضـيّ الـدِّين علـي بـن طـاووس حاضـراً، وكـان مقـدّماً محترماً، فتناول الفتيا ووضع خطّه فيها بتفضيل العادل الكـافر علـى المسلم الجائر، فوضع العلماء خطوطهم بعده.

ثـمّ قـال : إنّـي أظـنّ أنّ السـبب الأعظـم لمحنتنـا هـو انحـلال الرابطة الدينية، لأنّ مبنى ديننا على أنّ الولاء فيه لعامّة المسلمين؛ فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤون العمومية رؤسـاء ديـن سـوى الإمـام إن وُجـدَ؛ وإلا فـالأمر يبقـى فوضـى بـين الجميـع، وإذا صـار الأمـر فوضـى بـين الكـلّ فبـالطبع تختـلّ الجامعـة الدينيـة، وتنحل الرابطة السياسية كما هو الواقع.

ومن أين لنا حكيم (كبسمرك) أو مُلزمٌ (كغاريبالـدي)[٤] يوفّـق بـين أمرائنـا، أو يُلـزمُهُم ويجمـع كلمتنـا ؟ وقـد زاد علـى ذلـك فَقْدُنا الرابطة الجنسية[٥] أيضاً فإنّ المسلمين في غير جزيرة العرب لفيف أخلاط دخلاء، وبقايا أقوام شتى لا تجمعهم جامعة غيـر التوجّـه إلـى هذه الكعبة المعظّمة.

ومن المقرّر المعروف أنّـه لـولا رؤسـاء الـدِّين فـي سـائر الملـل وروابطهم المنتظمة المطّردة، أو مَنْ يقوم مقام الرؤساء من الدعاة

---

(١) هـو محمـد بـن أحمـد الحسـني العلـوي (ت : هـ = ٩٣٤م) شـاعر وبلاغـي. وُلـد ومـات بأصبهان. نظم في الغزل والوصف، وألّف كتباً أدبية، منها : (تهذيب الطبع) و(عيار الشعر).

(٢) هولاكو (نحو ١٢١٧ - ١٢٦٥) فاتح مغولي، ومؤسس دولة المغول الإليخانية في إيران. حفيد جنكيز خان. قضى على الخلافة العباسية في بغداد (١٢٥٨ م) واحتل سورية. هاجم المصريون جيشه في الشام، وأبادوه سنة ١٢٦٠م.

(٣) تقابل ١٢٥٨ م.

(٤) غاريبالـديس، جيوزيبي (١٧٠٨-١٨٨٢) جنـدي وطنـي إيطـالي، مـن أبطـال حركـة البعث (الريزور جيمنتو). وُلد في نيس، وهرب بعد اشتراكه في مؤامرة جمهوريـة فاشلـة (١٨٣٥). شـارك فـي الحـروب الأهليـة بالبرازيـل وأورجـراي. نـزل عن آرائـه الجمهوريـة، وأيّد سياسـة كـافور وفيكتـور عمانويـل الثـاني. وفـي عـام (١٨٦٠) قـاد ألـف متطـوع عُرفـوا بـ (أصـحاب القمصان الحمر) وانتُخب نائبـاً (١٨٧٤) ولكن حياتـه السياسية ليست هامـة. وظل بطلاًشعبياً للإيطاليين.

(٥) الوطنية أو القومية.

أو مديري أو معلّمي المدارس الجامعة المتّحدة المبادئ، لضاعت الأديان، وتشعّبت أخلاق الأمم، ونالهم ما نالنا من أنّ كلّ فرد منّا أصبح أمّة في ذاته.

أجابه المحقّق المدني : إنّ فَقْدَ الرابطة الدينية والوحدة الخلقية لا يكفيان أن يكونا سبباً للفتور العام، بل لا بدّ لذلك من سبب أعمّ وأهمّ.

ثمّ قال : أمّا أنا، فالذي يجول في فكري، أنّ الطامّة من تشويش الدِّين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلّسين وغلاوة المتصوّفين الذين استولوا على الدِّين فضيّعوه، وضيعوا أهله. وذلك أنْ الدِّين إنما يُعرف بالعلم، والعلم يُعرف بالعلماء العاملين، وأعمال العلماء قيامهم في الأمّة مقام الأنبياء في الهداية إلى خير الدنيا والآخرة.ولا شكّ أنّ لمثل هذا المقام في الأمّة شرفاً باذخاً يتعاظم على نسبة الهمم في تحمّل عنائه والقيام بأعبائه.فبعض ضعيفي العلم وفاقدي العزم تطلّعوا إلى هذه المنزلة التي هي فوق طاقتهم، وحسدوا أهلها المتعالين عليهم، فتحيّلوا للمزاحمة والظهور مظهر العلماء العظماء بالإغراب في الدِّين وسلوك مسلك الزاهدين؛ ومن العادة أنْ يلجأ ضعيف العم إلى التصّوف، كما يلجأ فاقد المجد إلى الكبر، وكما يلجأ قليل المال إلى زينة اللباس والأثاث. (مرحى).

فصار هؤلاء المتعالين يُدلّسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يحتمله مُحكم النظم الكريم، فيفسّرون ـ مثلاً ـ البسملة أو الباء منها بسفر كبير، تفسيراً مملوءاً بلفظ لا معنى له، أو بحكم لا برهان عليه. ثمّ جاؤوا الأمّة بوراثة أسرار ادّعوها، وعلوم ابتدعوها، وعلوم لدنيّات ابتدعوها، وتسنّم مقامات اخترعوها، ووضع أحكام لفّقوها، وترتيب قربات زخرفوها، وبالإمعان نجدهم قد جاؤوا مصداقاً لما ورد في الحديث الصحيح : (لتتبعنّ سنن مَنْ كانٍ قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع)، وفي رواية (حذو القُذَّة بالقُذَّة[1]، حتّى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم)، (قلنا يارسول الله

(١) القُذّة : ريشة الطائر بعد تسويتها وإعدادها لتركّب في السهم، وخذو القذة بالقذة، مَثَلٌ يُضرَب للشيئين يستويان، ولا يتفاوتان.

اليهود والنصارى، قال هو: فَمَنْ)[1]؛ وذلك أنّ هؤلاء المدلّسين اقتبسوا ما هنالك كلّه أو جلّه عن أصحاب التلمود[2] وتفاسيرهم، ومن المجامع المسكونيّة[3] ومقرّراتها، ومن البابويّة ووراثة السرّ، ومن مضاهاة مقامات البطاركة والكردينالية والشهداء وأسقفية[4] كلّ بلد، ومظاهر القدّيسين وعجائبهم، والدعاة المبشِّرين وصبرهم، والرهبنات ورؤسائها، وحالة الأديرة وبادريتها، والرهبنة أي التظاهر بالفقر ورسومها، والحميّة وتوقيتها، ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في ألبستهم وشعورهم، ومن مراسم الكنائس وزينتها، والبيَع واحتفالاتها، والترنّحات ووزنها، والترنّمات وأصولها، وإقامة الكنائس على القبور وشدّ الرحال لزيارتها والإسراج عليها، والخضوع لديها وتعليق الآمال بسكّانها، وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والدستار[5] من احترام الذخيرة[6] وقدسيّة العكاز[7] وكذلك إمرار

اليد على الصدر عند ذكر بعض الصالحين من إمرارها على الصدر لإشارة التصلُّب؛ وانتزعوا الحقيقة من السرّ [8] ووحدة الوجود من الحلول[9]، والخلافة من الرسم[10]، والسقيا من تناول القربان[11]،

---

(١) حديث شريف رواه البخاري في صحيحه (كتاب الاعتصام) ومسلم في (العلم). وابن ماجة في (الفتن). والترمذي في (الفتن) أيضاً.

(٢) التلمود : من أهم كُتُبِ اليهود التي دُوّنت بعد الكتاب المقدس، وهو قسمان : (المشنا) أي مجموعة التقاليد التي تُمَثِّلُ الشريعة الشفاهية. و(غمارا) وهو تفسير (المِشنا). وللتلمود نسختان تختلف فيها الغمارا، هما : التلمود الفلسطيني (٢٣٠م) والتلمود البابلي (٥٠٠م).

(٣) المجامع المسكونية : المجمع مؤتمر مسيحي يعقده الأساقفة للتداول في شؤون الكنيسة. وهو (مسكوني) إذا دُعي إليه أساقفة العالم كله، وانعقد برئاسة البابا، خلافاً للإقليمي أو الوطني أو الطائفي.

(٤) أسقفية : هيئات كهنوتية مسيحية. بطريرك : يُطلق على بعض الرؤساء الدينيين الذين تمتد سلطتهم إلى عدد من الأساقفة. الكردينال : أحد الأحبار، وهم رفاق البابا ومستشاروه، ولهم الحق في انتخابه من بينهم. والبابا : هو السلطة العليا بينهم.

(٥) القدح : سهم الميسر. والدستار : الوتر من العدد.

(٦) الذخيرة : تقديس أدوات الأنبياء والصالحين وبقايا آثارهم.

(٧) العكاز : العصا التي تُنسب إلى الرسول (ص).

(٨) السرّ :أي التثليث.

(٩) الحلول : أي حلول الله في المخلوقات.

(١٠) الرسم : ترسيم رجال الدِّين من أصحاب السلطة الدينية.

(١١) القربان : الطقس الشائع في الكنيسة.

والمولد من الميلاد[١]، وحفلته من الأعياد؛ ورفع الأعلام من حمل الصلبان، وتعليق ألواح الأسماء المصدّرة بالنداء على الجدران من تعليق الصور والتماثيل؛ والاستفاضة والمراقبة من التوجّه بالقلوب إنحناء أمام الأصنام[٢] ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنّة من حظر الكهنة الكاثوليك قراءة الإنجيل على غيرهم، وسدّ اليهود باب الأخذ من التوراة وتمسّكهم بالتلمود إلى غير ذلك مّما جاء به المدلّسون تقليداً لهؤلاء شبراً شبراً، واقتفاء لأثرهم حجراً حجراً، وهكذا إذا اتبعنا البدع الطارئة نجد أكثرهم مقتبساً وقليلها مخترعاً.

وقد فعل المدلّسون ذلك سِحراً لعقول الجهلاء، واختلاباً لقلوب الضعفاء : كالنساء وذوي الأهواء والأمراض القلبيّة أو العصبيّة من العامة، والأمراء الليني القياد طبعاً إلى الشِّرك، لأنّ التعبّد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب إلى مداركهم من عبادة إله ليس بجوهر ولا عرض و↓ ⚈•⑩⍂"■ ⚆⊠☺⚮✦⚮◘⚮○⚮⊕ ★⊠⚘⇔⬈⊠ ↑[٣] ولأنّ التعبّد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع، كما وصف الله تعالى عبادة مشركي العرب فقال :↓ □◆✎◆ ⚮ ⚆⊠♎♌♦ ⊕❁⊠•☚➔⚮⬉☠⬀ ⬉⚮✡⑨⊡ ✂⚮⚈⍂♦⑩⍂✱♁⚮ ⚈⚮·· ✌⬉⌛⊠♎✐⬈⚈ □◆✍•⌚⇔⑨⚮③♦□☪ ↑ [٤] أي صفيراً وتصفيقاً، وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشهيقاً وخلاعة ونعيقاً. (مرحى).

والحاصل، أنّ بذلك وأمثاله نجح المدلّسون فيما يقصدون، ولا سيّما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير، وباستمالتهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتقشّف الشيطانيّ؛ وبتزيّينهم لهم رسوم تميل إليها النفوس الضعيفة الخاملة، سمّوها آداب السلوك، ما أنزل الله بها من سلطان، ولا عمل بها صحابيّ أو تابعيّ، ظاهرها أدب وباطنها تشريع وشرك؛ وبجذبهم البله الجاهلين بتصعيب الدِّين من طريق العلم والعمل بظاهر الشرع، وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم

---

(١) عيد المولد النبوي المأخوذ من عيد المسيح عليه السلام.
(٢) مراتب المريد الصوفي ومراحل علاقته بالخالق.
(٣) الشورى : ١١ .
(٤) الأنفال : ٣٥ .

وبأصحاب الفتور. وقد تجاسروا على وضع أحاديث مكذوبة أشاعوها في مؤلفاتهم، حتّى التبس أمرها على كثير من العلماء المخلصين من المتقدمين والمتأخرين، مع أنها لا أصل لها في كتب الحديث المعتبرة. وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب، ترغيباً في الاستفادة من الدخول في الرابطات والعصبيّات المنعقدة بين أشياعهم، وترهيباً بتهديدهم معاكسيهم أو مسيئي الظنّ بهم أو بإضرارهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، ضرراً يتعجّلهم في دنياهم قبل آخرتهم.(مرحى).

وقد قام لهؤلاء المدلّسين أسواق في بغداد ومصر والشام وتلمسان[1] قديماً، ولكن لا كسوقها في القسطنطينية[2] منذ أربعة قرون إلى الآن، حتى صارت هذه الأوهام السحرية والخزعبلات كأنها هي دين معظم أهلها، لا الإسلام؛ وكأنّهم لما ورثوا عن الروم الملك، حرصوا على أن يرثوا طبائعهم أيضاً، حتّى التوسّع في هذه المصارع السيئة؛ فاقتبس لهم المدلّسون كثيراً مّما بيّناه، وطبّقوه على الدِّين، وإنْ كان الدِّين يأباه، وزيّنه لهم الشيطان بأنّه من دقائق الدِّين وآدابه، ومن هذه العواصم سرى ذلك إلى الآفاق بالعدوى من الأمراء إلى العلماء الأغبياء إلى العوام.

فهؤلاء المدلّسون قد نالوا بسحرهم[3] نفوذاً عظيماً، به أفسدوا كثيراً في الدِّين، وبه جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطّالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة، وبه حوّلوا كثيراً من الجوامع مجامع للطّبالين الذين ترتجّ من دويّ طبولهم قلوب المتوهّمين، وتكفهرّ أعصابهم، فيتلبّسهم نوع من الخبل

---

(١) تلمسان : مدينة بالجزائر، كانت مركزاً للعلوم الفقهية والكلامية، ثم تدهور العلم فيها بعد الحكم العثماني لها.

(٢) التعريض بالدولة العثمانية واضح من خلال ذكره لعاصمتهم على أنها سوق للمدلّسين.

(٣) السحر لغة إخراج الباطل في صورة الحق بالتمويه والخداع، والسحر الذي في لسان الشرع هو أيضاً ليس غير ذلك بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون في قوله جلّت حكمته ↓: ▫■☺○⌂✍ 📖□⌂⌂◆□✌ ☎✂⌂◆⌂✆ 📖□⌂✓⇧☏ ✂⚘□⇔⌂➔⊗◆□ ⌂☐⌂Ⅱ◆□ ↓ (الأعـراف :١١٦). وقولـه:↓ ... ↑ (طه :٦٦).(ك).

يظنّونه حالة من الخشوع؛ وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم، وبه جعلوا مداخيل أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم، ممّا يُسمّى في البلاد العثمانية (دعاكو وطعامية).(مرحى).

وبذلك ضاق على العلماء الخناق، لا رزق ولا حرمة، وكفى بذلك مضيّعاً للعلم وللدِّين؛ لأنّه قد التبس العامّة علماء الدِّين الفقراء الأذلاّء من هؤلاء المدلّسين الأغنياء الأعزّاء، فتشوّشت عقائدهم، وضعفَ يقينهم. فَضَيّعَ الأكثرون حدود الله، وتجاوزوها، وفقدوا قوّة قوانين الله، ففسدت أيضاً دنياهم واعتراهم هذا الفتور.

أجاب المولى الرومي : إنّ كلّ الديانات معرّضة بالتمادي لأنواع من التشويش والفساد، ولكنْ، لا تفقد من أهلها حكماء ذوي نشاط وعزم، يُنبّهون الناس، ويرفعون الالتباس، أو يُعوّضون قواعد الدِّين إذا كان أصلها واهياً [(١)] فوهنت بقوانين موضوعة تقوم بنظم دنياهم، ويتحمّلون في سبيل ذلك ما يتجمّلون من المشاقّ خدمة لأفكارهم السامية، ويفدون ما عزّ وهان حفظاً لشرفهم، القائم بشرف قومهم، بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحرّكين في أيدي أقوام آخرين.

ولقد أثبت الحكماء المدقّقون بعد البحث الطويل العميق، أنّ المنشأ الأصلي لكل شقاء في بني حواء هو أمر واحد لا ثاني له : ألا وهو وجود السلطة القانونية منحلّة ولو قليلاً لفسادها، أو لغلبة سلطة شخصيّة أو أشخاصيّة عليها.

فما بال الزمان يضنّ علينا برجال يُنبّهون الناس، ويرفعون الالتباس ؟ يفتكرون بحزم، ويعملون بعزم، ولا ينفكّون حتّى ينالوا ما يقصدون، فينالون حمداً كثيراً وفخراً كبيراً وأجراً عظيماً.

وعندي أنّ داءنا الدَّفين : دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميّين، وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهّال المتعمِّمين.

نبّه السيد الفراتي الأستاذ الرئيس إلى قرب وقت الانصراف، وعندئذ جهر السيد الرئيس بشعار (لا نعبد إلا الله) استلفاتاً للإخوان، وقال لهم : إنّ أخانا المولى الرومي لفارس مغوار نحبّ

---

(١) لا كقواعد الدِّين الإسلامي.(ك).

منـه مـا عوّدنـا مـن التفصـيل والإشباع، والآن قد آن وقت الظهـر، وحان أنْ نتفرَّق لندرك الصلاة، وموعدنا غداً، إنْ شاء الله تعالى.

الاجتماع الثالث

(الداء أو الفتور العام)

يوم الخميس ثامن عشر ذي العقدة سنة ١٣١٦ هـ

في الوقت المعيَّن، وهو بعد طلوع الشمس بساعة، تمّ توارد الإخوان لمحفل الجمعية؛ غير أن الأستاذ الرئيس تأخَّر نحو نصف ساعة، ثمّ حضر، واعتذر بأنّه أعاقه عن الحضور أنّ حضرة الشريف الأمير(١) قد طلبه لزيارته، فما وسعه إلاّ الإجابة باكراً، وما يظنُّ أنْ يسترسل بينهما الحديثُ فيتأخّر عن الميعاد، ولكنْ صادف أنّ الحديث كان طويلاً.

ثمّ قال الأستاذ الرئيس : إننا متشوّقون لتمام بحث المولى الرومي، وأمر السَّيدُ الفراتيّ، كاتبَ الجمعيّة، فقرأ ضبط مذكرات الاجتماع السابق، حتّى بلغ آخره من عبارة المولى الرومي، وهو قوله: وعندي أنّ داءنا الدَّفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميّين، وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهلة المتعمِّمين.

فحينئذ أفاض المولى الرومي في الكلام، فقال : وهم المقربون من الأمراء على أنّهم علماء، وارتباط القضاء والإمضاء بهم، فإنّ هؤلاء المتعمِّمين في البلاد العثمانية كانوا اتخذوا لأنفسهم قانوناً سمّوه (طريق العلماء)، وجعلوا فيه من الأصول ما أنتج، منذ قرنين إلى الآن، أن يصير العلم منحة رسميّة تُعطى للجهّال، حتّى الأميّين، بل وللأطفال.

ويترقّى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال، بمجرّد تقادم السنين أو ترادف العنايات(٢) لا سيّما إذا كان من زمرة (زاد كان)، أي الأصلاء، فإنّه يكون طفلاً في المهد، ويُنعت في منشوره الرسميّ من قبل حضرة السلطان بأنّه : (أَعْلَمُ العلماءِ المحقّقين)؛ ثم يكون فطيماً فَيُخاطَبُ بأنّه : (أفضلُ الفضلاءِ المدقّقين)؛ ثم يصير

---

(١) كان يحكم مكة الأشراف الهاشميون.

(٢) كثرة الوساطات.

مراهقاً فَيُعطى المولويّة[١]، ويُشهد له بأنّه : (أقضى قضاة المسلمين، معدنُ الفضل واليقين، رافعُ أعلام الشريعة والدِّين، وارثُ علم الأنبياء والمرسَلين) ثمّ، وثمّ حتّى يُصَدَّر فيوصفَ : (بأعلم العلماء المتبحّرين، وأفضل الفضلاء المتورّعين، ينبوع الفضل واليقين)[٢] إلى آخر ما في تلك المناشير من الكذب المشين!

ولا يظنُّ ظانٌّ أن هذا الإطراء من حضرة السلطان للمتعمِّمين هو بقصد أن يقابلوه بالمثل، بوصفهم إيّاه ومخاطبتهم له بنحو : (المولى المقدس، ذي القدرة، صاحبِ العظمة والجلال، المنزّهِ عن النظير والمثال، واهبِ الحياة، ظلّ الله، خليفةِ رسول الله، مهبطِ الإلهامات، مصدرِ الكرامات، سلطانِ السلاطين، مالكِ رقاب العالمين، وَليِّ نعمةَ الثقلين، ملجأِ أهل الخافقين)[٣]. إلى غير ذلك من مصارع الشِّرك والكبرياء والمهالك.

هذا، ولا ريب، أنّ التسعين في المائة من العلماء المتبحّرين لا يُحسِنون قراءة نعوتهم المزوّرة، كما أنّ الخمسة وتسعين من أولئك المتورّعين، رافعي أعلام الشريعة والدِّين، يحاربون الله جهاراً، ويستحقّون ما يستحقّون من الله وملائكته والمؤمنين.

ويكفي حجّة عليهم بذلك، تمييزهم جميعاً بلباس عروسي[٤]، محلّى بكثير من الفضّة والذهب، مّما هو حرام بالإجماع، ولا يحتمل التأويل؛ وقد اقتبسوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والقلنسوات المذهّبة عند إقامة شعائرهم، وفي احتفالاتهم الرسميّة. وهذا الخطيب في بعض جوامع السلاطين، يستوي على المنبر، ويقول : اتقوا الله، وعلى رأسه وصدره ومنكبيه هذا اللباس المنكر. (مرحى).

وهؤلاء قضاة القسطنطينية على عهدنا أكثرهم لا يعرضون لحضرة السلطان المعظم نصبَ خطيبٍ لإقامة الجمعة، ولا ينصّبون وصيّاً على أبله، أو مختلّ العقل، أو مسرف فاسد التدابير؛ ولا

---

(١) طريقة صوفية تُنسب إلى جلال الدِّين الرومي، كان يقيم أصحابها (حلقات الذكر) بالأناشيد والرقص على توقيعات آلات الطرب. والمقصود هنا : مرتبة.
(٢) صفات كان يحصل عليها المتملِّقون في ظلّ الدولة العثمانية.
(٣) ألقاب كانت شائعة في فترة الحكم العثماني.
(٤) التشريفة المزركشة التي يمنحها السلطان لمنافقيه.

يعزلـون متولّيـاً أو وصـيّاً لخيانــة فــي مــال الوقـف أو اليتـيم؛ ولا يقضون في مسألة خلع زوجة، ولا يسمعون بيّنة تواتر[١]؛ إلى غير ذلـك مـن قضـايا وأحكـام شـرعية كثيـرة لا يجـوز شـرعاً ولا إدارة إهمالها، ولا حجّة لهم في ارتكاب إثم تعطيلها غير مجاراة الأوهام.

ثمّ إنّ هؤلاء المتعمِّمين ماكفاهم هذا القانون، فألحقوه بقانون آخر سمّوه قانون (توجيه الجهات)؛ جعلوا فيه التدريس والإرشاد والوعظ والخطابة والإمامة وسائر الخدم الدينية، كالعروض، تُباع، وتشرى، وتوهب، وتورث، وما ينحلُّ منها نادراً عن غير وارث، يبيعها القضاة لمن يريدون؛ ويتكرمون بها على المتملّقين؛ وبهذا القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والمنافقين.

ثمّ لما وُضع قانون (تشكيل الولايات)، لم يرض المتعمّمون حتّى جعلوا فيه قاضي المسلمين، وكذلك مفتي المؤمنين في كل بلد، عضوين في مجلس الإدارة، يحكمان بأشياء كثيرة ممّا يصادم الشرع كالربا والضريبة على الخمور، والرسوم العرفية، وغيرها مما كان الأليق والأنسب بالإسلامية أنْ يبقى العلماء بعيدين عنه. كما أنّ القسّيس، بل الشمّاس[٢] لا يحضر مجلساً يُعقد فيه زواج أو تفريق مدنيان، ولا يشهد في صك دَيْنٍ دَاخَلَهُ ربا، فضلاً عن أنْ يقضي، أو يمضي بصفة رسميّة كهنوتيّة، أمثال ذلك من الأعمال التي تصادم دين النصرانيّة.

ثمّ لما وُضِعَ (قانون العدليّة)[٣]، تهافت المتعمّمون على جعل قاضي المسلمين رئيساً للمحكمة النظامية[٤]، التي تحكم بما لم ينزل الله، وبما يتبرأ الدِّين الحنيف منه، من نحو : ربا صريح، ومن إبطال حدود الله التي صرّح بها القرآن كليّاً، أو باستبدالها بعقوبات سياسيّة، أو بتغريمات ماليّة؛ ومن نحو : معاقبة العباد بمجرد الظنّ، والرأي، وشهادة الواحد، وشهادة الفاسق، وشهادة العاهرة المجاهرة، مما لا يلائم الشرع قطعيّاً؛ ومن نحو : تنفيذ كلّ حكم

---

(١) الخبر أو الحديث المتواتر : ما أخبر به جمع يُؤمَنُ تواطؤهم على الكذب. والخبر المتواتر : مصطلح في الحديث.
(٢) الشمّاس : مرتبة كنسية.
(٣) نظام المحاكم.
(٤) أي : الرسمية المدنية.

عرفيّ، حقّ أو باطل، بدون النظر فيه. ومن تحصيل الضرائب وغرامات. ومن توقيف الأحكام الشرعيّة على استيفاء الرسوم من الأخصام وأموال الأيتام.

ومن أهمّ دسائس المتعمّمين، أنّهم ينفثون في صدور الأمراء لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي[1]، وإنْ كان مضرّاً، ومعاداة الشورى، وإنْ كانت سُنّة، والمحافظة على الحالة الجارية، وإنْ كانت سيئة. ويلقون عليهم بأنّ مشاركة الأمّة في تدبير شؤونها، وإطلاق حريّة الانتقاد لها، يخلّ بنفوذ الأمراء، ويخالف السياسة الشرعية؛ ويلقنونهم حُجَجَاً واهنة، لولا أنّ أمامها جهل الأمة، ووراءها سطوة الإمارة، لما تحرّكت بها شفتان، ولا تردّد في ردّها إنسان.

والأمرُ الأمَرُّ أنّ أولئك الأمراء يقتبسون من هذه الحجج، ما يتسلحون به في مقابلة مَنْ يعترض على سياستهم من الدول الأجنبية، بقولهم : إنّ قواعد الدِّين الإسلامي لا تلائم أصول الشورى، ولا تقبل النظام والترقيات المدنية، وأنّهم مغلوبون على أمرهم، ومضطرّون لرعاية دين رعاياهم، ومجاراة ميل الفكر العام.

ولنرجع لبحث العلماء الرسميين، فنقول : بهذه القوانين عند العثمانيين، وبأشباهها عند أكثر حكومات المسلمين، ضلّ المتعمّمون، وصاروا أضرّ[2] على الدِّين من الشياطين.

وبهذه القوانين استأثر الجهلاء الفاسقون بمزايا العلماء العاملين، واغتصبوا أرزاقهم من بيت المال، ومن أوقاف الأسلاف، فبالضرورة قلّت الرغبات في تحصيل العلوم، وثبطت الهمم، وصار طالب العلم يضطر للاكتفاء ببلغة منه، ويشتغل بالاحتراف للارتزاق، وهكذا فسد العلم، وقلّ أهله، فاختلّت التربية الدينيّة في الأمّة، فوقعت في الفتور، وعمّت فيها الشرور.

أجاب الرياضي الكردي : إنّ هذا الداء خاص ببعض الأمم الإسلامية، فلا يصلح سبباً للفتور العام الذي نبحث فيه، ونتساءل عنه؛ وعندي أن السبب العام، هو أنّ علمائنا كانوا اقتصروا على

---

(١) أي الانفراد فيما تجب المشورة فيه.

(٢) الصواب : أكثر ضرراً.

العلوم الدِّينية وبعض الرياضيات، وأهملوا باقي العلوم الرياضيّة والطبيعيّة، التي كانت إذ ذاك ليست بذي بال، ولا تفيد سوى الجمال والكمال، فَفُقِدَ أهلها من بين المسلمين، واندرست كُتُبُهَا، وانقطعت علاقتها، فصارت منفوراً منها، على حكم : (المرءُ عدوٌّ ما جهل)؛ بل صار المتطلّع إليها منهم يُفسَّق[1] ويُرمى بالزيغ والزندقة[2]، على حين أخذت هذه العلوم تنمو في الغرب؛ وعلى كرّ القرون ترقّت، وظهر لها ثمرات عظيمة في كافّة الشؤون الماديّة والأدبية، حتّى صارت كالشمس، لا حياة لذي حياة إلاّ بنورها، فأصبح المسلمون - مع شاسع بعدهم عنها - محتاجين إليها لمجاراة جيرانهم، احتياجاً يعمّ الجزئيّات والكليّات : من تربية الطفل إلى سياسة الممالك، ومن استنبات الأرض إلى استمطار السماء، ومن عمل الإبرة والقوارير إلى عمل المدافع والبوارج، ومن استخدام اليد والحمار إلى استخدام البرق والبخار.[3]

ولا شك أن المسلمين أصبحوا - بعد الاكتشافات الجديدة - يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكمية فوائد عظيمة جداً، بالنظر إلى كشفها بعض أسرار كتاب الله وبالغ الحكمة المنطوية فيه، مما كان مستوراً إلى الآن، وقد خبط فيه المفسرون خبط عشواء[4]، كظهور حياة الجمادات بماء التبلور[5]؛ وكازدواج النباتات عامة[6]،

(١) يُتَّهَم بالفسق.

(٢) زنديق : مُعرَّب عن الفارسية، أطلقه الفرس قديماً على الخارج عن دين الدولة ببدع معينة، أهمها القول بأزلية العالم. استعمله المسلمون أولاً للدلالة على القائلين بالأصلين : النور والظلمة، على مذهب المانوية وغيرهم الثنوية، ثم اتسع معناه، فشمل الدهريين والملحدين وسائر أصحاب المعتقدات الضالة، بل أطلق على المتشككين، وكل متحرر من أحكام الدِّين فكراً وعملاً.

(٣) ما تزال الرياضيات تحقق المزيد من التقدم العلمي، وقد أدرك الكواكبي أهميتها في وقت مبكر.

(٤) بعد كلمة (عشواء) حتى كلمة (الحديد) لا وجود لها ولا لحواشيها في (ط. م).

(٥) [illegible]. الأنبياء : ٣٠.

(٦) [illegible] يس : ٣٦.

وكقبول الأرض الانتقاص وانشقاق القمر منها[1]؛ وكانفتاق الأرض من السماء[2]؛ وكحدوث الجدري الذي نشأ في أصحاب الفيل بالمكروب[3]، وكظهور سلسلة خلق الحيوان من تراب وطين وصلصال، بقاعدة الترقي[4] التي أثبتها العلاّمة دارون[5]؛ وكظهور صفة الحركة الدائمة من الشخوص والهبوط المستمرّين في الكائنات كلّها[6] وكظهور سرّ ضبط المقادير في التركيبات الكيماوية[7]؛ وكظهور انقسام طبقات الأرض إلى سبعة[8] على الرأي الأصح؛ وكظهور أن السماء فضاء بالإجماع؛ وبذلك تندفع

[illegible] طـــــه :٥٣. [illegible] الحج : ٥. [illegible] الرعد : ٣.

(١) [illegible] الرعد : ٤١.

(٢) [illegible] الأنبياء : ٣٠.

(٣) [illegible] الفيـل :٣. أي متتابعـة مجتمعـة، [illegible] الفيـل٤، أي مـن الطـين الـذي يتماسك على سطح المستنقعات.

يرى - واضحاً من حواشي الكواكبي - أنه لم يُحِلْ أياً من الظواهر العلمية إلى تفسيرات غيبية، بل حاول أن يفسرها تفسيرات علمية تُدْرَك بالعقل. الحواشي من وضعه، وتثبيت الإحالة من وضعنا.

(٤) يقصد (نظرية النشوء والتطور) التي قال بها دارون (١٨٠٩ – ١٨٨٢) عالم طبيعة إنكليزي، صاحب نظرية التطور والارتقاء في الأجناس الحية. قال بالبقاء للأصلح.

(٥) [illegible] المؤمنون : ١٢ (ك)

(٦) [illegible] يـس : ٤٠ .(ك). راجع لما ذكر عند [illegible] يس : ٣٣. لا خاص بالشمس والقمر. (ك).

(٧) [illegible] الرعد : ٨.

(٨) إشارة إلى قولـه تعالى : [illegible] الطلاق : ١٢

مشكلة قبولها الفتق والرتق[١]، وكظهور امتلاء الكون بالأثير وأنّه أصل مادّة الكائنات[٢]؛ وكالإخبار عن المركوبات البريّة والبخارية والكهربائية[٣]. وغير ذلك من الحقائق التي كشفها العلم أخيراً، وأَعْظِمْ بها من براهين قطعية على إعجاز القرآن، وتجدّد إعجازه ماكرَّ الجديدان[٤]. بل أضحى المسلمون محتاجين للحكمة العقليّة، التي كادت تجعل الغربيّين أدرى منّا حتّى في مباني ديننا؛ كاستدلالهم بالمقايسة على أن نبيّنا، عليه الصلاة والسلام، أفضل العالمين عقلاً وأخلاقاً؛ وكإثباتهم بالمقابل أنّ ديننا أسمى الديانات حكمة ومزية.

وعندي أنه لولا هذا القصور ما وقع المسلمون في هذا الفتور، والأمل بعناية الله أنهم بعد زمن قصير أو طويل، لا بدّ أن يلتفتوا لهذه العلوم النافعة، فيستعيدوا نشأتهم، بل يجلبوا إلى دينهم العالمَ المتمدّنَ، لأنّ نور المعارف، على قدر إبعاده العقلاء عن النصرانيّة وأمثالها، يقربهم من الإسلاميّة، لأنّ الدِّين المملوء بالخرافات والعقل المتنوّر لا يجتمعان في دماغ واحد. (مرحى).

ثمّ إن تبعة هذا التقصير، وإنْ كانت تلحق علماء الأمّة المتقدمين، إلاّ أنّ علماءنا المتأخرين أكثر قصوراً، لأنهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم، ولم يحصل فيهم ميلٌ لاقتباسها؛ بل نراهم مقتصرين على تدريس اللغة والفقه فقط، أو بعلاوة شيء من الحساب إكمالاً للفرائض والمواريث قلّما يفيد.

وكذلك نرى وعّاظنا مقتصرين على البحث في النوافل والقربات المزيّدة في الدِّين، ورواية الحكايات الإسرائيليات[٥]؛

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: [illegible] الأنبياء : ٣٠.

(٢) [illegible] فصلت : ١١. (ك).

(٣) [illegible] يس: ٤١-٤٢ (ك).

(٤) يقصد : الليل والنهار.

(٥) ما حاول اليهود دسّه في الكتب الإسلامية.

ومثلهم المرشدون أهل الطرائق، مقتصرون على حكايات نوادرها الزهّاد، من صحيح وموضوع[١]، ورواية كرامات الأنجاب والنقباء والأبدال[٢]، وعلى ضبط وزن التمايل وأصول الإنشاد؛ ولا ننسى خطباءنا واقتصارهم على تكرار عبارات في النعت، والدعاء للغزاة والمجاهدين، وتعداد فضائل العبادات.

والحاصل، أنّ تقصيرات العلماء الأقدمين، واقتصارات المتأخّرين، وتباعد المسلمين إلى الآن عن العلوم النافعة الحيويّة، جعلتهم أحطّ بكثير عن الأمم. ولاشكّ أنّه إذا تمادى تباعدهم هذا خمسين عاماً أخرى، تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها ما بين الإنسان وباقي أنواع الحيوان. فبناءً عليه، يكون ناموس الارتقاء هو المسبّب لهذا الفتور، كما قال تعالى :↓ 🕭➔✍⬀
♦✖⇦☙🕭⅄✎✍✂ ❽✍☐♦✌⬄○☐④ ⬀✍🗠♎
•• ♦✖⇦☙🕭⅄✎✍✂♦☐ ♦♌☐⇦☺■🖬✍➔♦③
↑ ♦♌☐⇦☺■🖬✍➔♦③ [٣].

فأجابه الكامل الإسكندري : إنّ هذا سبب من الأسباب، ولا يكفي وحده لحلّ الإشكال، لأنَّ فَقْدَ العلوم الحكميّة والطبيعيّة لا يصلح سبباً لفقد الإحساس الملّي[٤] والأخلاق العالية، لأنّها توجد في أعرق الأمم جهالة. وإنما سبب فتور حياتنا الأدبيّة هو يأسنا من المباراة، وذلك أنّنا كنّا علماء راشدين، وكان جيراننا متأخّرين عنّا، فعرفنا البقاء فنمنا، واجتهدوا فلحقونا، ولبثنا نياماً فاجتازوا وسبقونا، وتركونا وراء؛ وطال نومنا، فَبَعُدَ الشوط حتّى صار ما بعد ورائنا وراء، فصغرت نفوسنا وفترت همّتنا، وضعف إحساسنا، فيئسنا من اللّحاق والمجاراة؛ وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة وألسنتنا تفيض بقولنا : ↓ ♒🗠☐♦✂✎⬈⬋
⬉♦🖬■⑩⬂☪♦✍✎🕮☐♉🗠❽⬃⬉⇳✡•✍✎🕮☐🏲✍
↑ 🖫✍⑩⬑•☐✌♊☙✌ ✍♦☪•♍ ✍♦✌ ✍♦☼⬀❸🗠♍✽🕒 [٥]؛

---

(١) مُبْتَدَع.
(٢) ألقاب لرتب الصوفية.
(٣) الزمر : ٩.
(٤) عند الكواكب الملة تعني القوم، والملي ـ هنا ـ القومي، أو الوطني. وهو مصطلح كان شائعاً في الدولة العثمانية، بالعربية والتركية على حد سواء.
(٥) إبراهيم : ٢١.

فعدنا إلى كهف النوم مستسلمين للقضاء، نطلب الفرج بمجرّد التمنّي والدعاء، ذاهلين عن أنّ الله تعالى، جلّت حكمته، رتّب هذه الحياة الدنيا على أسباب ظاهريّة، ولم يشأ أن يجعلها كالآخرة عالم أقدار؛ فهذا اليأس هو سبب الفتور، فنسأل الله تعالى اللطف من المقدور.

أجابه العارف التاتاري : إنّ هذه شكاية حال، ولا تفي بالجواب؛ لأنّه ما السبب في هذا النوم الذي غشي المسلمين، ولم يزل يغشاهم دون كثير غيرهم من الأمم التي انتبهت، وسارت، ولحقها ظعن[1] الأحياء ؟ وما المسلمون الأبعدين[2] المنقطعين كأهل الصين، ولا هم بالمتوحشين العريقين كأهل أمريكا الأصليّين.

ثمّ قال : أنا أرى أنّ عارضَنا فَقْدُنَا السراة والهداة : فلا أمير عامّ حازم مطالع لسوق الأمّة طوعاً أو كُرهاً إلى الإرشاد؛ ولا حكيمٌ معترف له بالمزيّة والإخلاص، لتنقاد إليه الأمراء والناس؛ ولا تربية قويمة المبادئ، ينتج منها رأي عامّ لا يطرقه تخاذل وانقسام؛ ولا جمعيات منتظمة تسعى بالخير، وتتابع السير. ولذلك،حلّ فينا الفتور، وإلى الله ترجع الأمور.

أجابه الفقيه الأفغاني : إنّ ما وصفته من أمير وحكيم لا يوجدان في الأمم المنحطّة إلاّ اتفاقاً، أمّا الرأي العام والجمعيّات فلا يُفْقَدَان إلا بسبب فَقْدِ الإحساس، وهذا ما نتساءل عنه.

وذكر أنّ الداء العام فيما يراه هو الفقر الآخذ بالزمام، لأنّ الفقرَ قائدُ كلّ شرّ، ورائدُ كل نحس، فمنه جَهْلُنا، ومنه فسادُ أخلاقنا، بل منه تشتُّتُ آرائنا حتى في ديننا، ومنه فَقْدُ إحساسنا، ومنه إلى كلّ ما نحن فيه، أو نتوقّع أننا سنوافيه.

فهذه فطرتنا، لا نقص فيها عن غيرنا؛ وعددنا كثير، وبلادنا متواصلة، وأرضنا مخصبة، ومعادننا غنيّة، وشرعنا قويم، وفخارنا قديم؛ فلا ينقصنا عن الأمم الحيّة غير القوة الماليّة، التي أصبحت لا تُحَصَّلُ إلاّ بالعلوم والفنون العالية، وهذه لا تُحصَّل إلاّ بالمال

---

(١) رحيل. ظَعَنَ : سار، وارتحل.

(٢) بالبعيدين.

الطائل؛ فوقعنا في مشكل الدور[١]، وعسى أن نهتدي لفكّه سبيلاً، وإلاّ فيحيق بنا ناموس فناء الضعيف في القويّ وبيننا الجاهل والعالم.

ومن أعظم أسباب فقر الأمّة : أنّ شريعتنا مبنيّة على أنّ في أموال الأغنياء حقّاً معلوماً للبائس والمحروم[٢]، فيؤخذ من الأغنياء، ويُوزّع على الفقراء؛ وهذه الحكومات الإسلامية، قد قلبت الموضوع، فصارت تجبي الأموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للأغنياء، وتحابي بها المسرفين والسفهاء.

أجاب السعيد الإنكليزي : إنّ المسلمين من حيث مجموعهم أغنياء لا يعوزهم المال اللازم للتدرج في العلوم، حتّى للسياحات البحريّة والقطبيّة، لأنّ فريضة الزكاة على مالكي النصاب والكفّارات الماليّة، جاعلة لفقراء الأمّة وبعض المصاريف العموميّة نصيباً غير قليل في مال الأغنياء؛ بحيث إذا عاش المسلمون مسلمين حقيقة أمنوا الفقر، وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتمنّى ما هو من نوعها أغلب العالم المتمدّن الإفرنجي، وهم لم يهتدوا بَعْدُ لطريقة نيلها، مع أنّه تسعى وراء ذلك منهم جمعيات وعصبيّات مكوّنة من ملايين باسم (كومون[٣]، وفنيان[٤]، ونيهلست، وسوسيالست[٥])، كلّها تطلب التساوي أو التقارب في الحقوق والحالة المعاشية؛ ذلك التساوي والتقارب المقرّرين في الإسلاميّة ديناً بوسيلة أنواع الزكاة والكفّارات، ولكنّ تعطيل إيتاء الزكاة وإيفاء الكفّارات سَبَّبَ بعض الفتور المبحوث فيه، كما سبَّبَ إهمالُ الزكاة فَقْدَ الثمرات العظيمة من معرفة المسلم ميزانية ثروته سنويّاً،

---

(١) اصطلاح منطقي يعني (الحلقة المفرغة).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ↓ ◻◆×♐⑦☑ 📖◻👌⬂◻◆◻♎♑♑♈☠⬀ ○☒📪✌
♎ℯ♎◼○○♐✎✶♐✍⇫ ◻◆✂♐✈◻☼◻⬧⬄❷⬉◻✈♎ ↑ الذاريات ١٩.

(٣) كومون : تُطلق في العصور الوسطى على أي بلدة قامت بعد سقوط الإمبراطورية الرومانيّة، عندما أصبحت الدول الأوربية ذات حكم مركزي، ألغت الحكومات ـ تدريجياً ـ امتياز الكومونات. وظهر أقدم الكومونات في شرق إيطاليا.

(٤) الفنيان : حركة تدعى (الأخوة الفنيانية)، وهي جمعية سرية ثورية أيرلندية، نظمت في (١٨٥٨ م) للحصول على الاستقلال عن إنكلترا.

(٥) اشتراكية.

فيوفّق نفقاته على نسبة ثروته ودخله، ولا شكّ أنّ الواحد من الأربعين يكفي أن يُبذل لأجل هذه الثمرة وحدها.

والشريعة الإسلاميّة هي أوّل شريعة ساقت الناس والحكومات لأصول البودجة[١] المؤسّس عليه فن الاقتصاد المالي، الإفرادي والسياسي.

ويخيل لي أنّ سبب هذا الفتور، الذي أخلّ حتّى في الدِّين، هو فَقْدُ الاجتماعات والمفاوضات؛ وذلك أنّ المسلمين في القرون الأخيرة قد نسوا بالكلّية حكمةَ تشريع الجماعة والجمعة وجمعيّة الحجّ؛ وتركِ خطبائهم ووعاظهم، خوفاً من أهل السياسة، التعرّض للشؤون العامة.

كما أنّ علماءهم صاروا يَسْتُرون جُنْبَهُم بجعلهم التحدّث في الأمور العموميّة والخوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يغني، وأن إتيان ذلك في الجوامع من اللغو الذي لا يجوز، وربّما اعتبروه من الغيبة أو التجسس أو السعي بالفساد؛ فسرى ذلك إلى أفراد الأمة، وصار كل شخص لا يهتمّ إلاّ بخويصة نفسه وحفظ حياته في يومه، كأنّه خُلق أمة واحدة؛ وسيموت غداً، جاهلاً أن له حقوقاً على الجامعة الإسلامية والجامعة البشريّة، وأنّ لهما عليه مثلها، ذاهلاً عن أنَّهُ مدني الطبع، لا يعيش إلاّ بالاشتراك، ناسياً أو جاهلاً أوامر الكتاب والسنّة له بذلك. (مرحى).

ثم بتوالي القرون والبطون على هذه الحال، تأصّل في الأمة فقد الإحساس، إلى درجة أنّه لو خربت هذه الكعبة، والعياذ بالله تعالى، لما تقطّبت الحياة أكثر من لحظة، ولا أقول لما زاد تلاطم الناس على سبعة أيّام كما ورد في الأثر، لأنّ المراد بأولئك الناس أهل خزينة العرب إذ ذاك.

وإذا دقّقنا النظر في حالة الأمم الحيّة المعاصرة، وهي ليس عندها ما عندنا من الوسائل الشريفة للاجتماعات والمفاوضات، نجدهم قد احتالوا للاجتماعات ولاسترعاء السمع والاستلفاف بوسائل شتّى :

---

(١) من الكلمة الفرنسيّة Budget أي الميزانية.

١ ـ منها تخصيصهم يوماً في الأسبوع للبطالة والتفرّغ من الأشغال الخاصّة، لتحصل بين النّاس الاجتماعات، وتنعقد الندوات، فيتباحثون، ويتناجون.

٢ ـ ومنها تخصيصهم أيّاماً، يَتَفَرَّغون فيها لتذاكر مهمّات الأعمال لأعاظم رجالهم الماضين، تشويقاً للتمثّل بهم.

٣ ـ ومنها إعدادهم في مدنهم ساحات ومنتديات، تسهيلاً للاجتماع والمذكرات وإلقاء الخطب وإبداء التظاهرات.

٤ ـ ومنها إيجادهم المنتزهات[١] الزاهية العموميّة، وإجراء الاحتفالات الرسميّة والمهرجانات بقصد السوق للاجتماعات.

٥ ـ ومنها إيجادهم محلاّت التشخيص المعروف (بالكوميديا والتياترو) [٢]، بقصد إراءة العبر واسترعاء السمع للحكم والوقائع، ولو ضمن أنواع من الخلاعة التي اتُّخذت شباكاً لمقاصد الجمع والإسماع، ويعتبرون أنّ نفعها أكبر من ضرر الخلاعة.

٦ ـ ومنها اعتناؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم الملّية [٣]، المفصّلة المدمجة بالعلل والأسباب، تمكيناً لحبّ الجنسيّة [٣].

٧ ـ ومنها حرصهم على حفظ العاديات المنبّهة، وادخار الآثار القديمة المنوّهة، واقتناء النفائس المشّعرة بالمفاخر.

٨ ـ ومنها إقامتُهم النصب، المفكِّرة بما نصبت له من مهمّات الوقائع القديمة.

٩ ـ ومنها نشرهم في الجرائد اليوميّة كلّ الوقائع والمطالعات الفكريّة.

١٠ ـ ومنها بثّهم في الأغاني والنشائد الحِكَمَ والحماساتِ؛ إلى غير ذلك من الوسائل التي تُنشئ في القوم نشأة حياة اجتماعية، وتولِّد في الرؤوس حميّة وحماسة، وفي النفوس سموّاً ونشاطاً.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب : المنتزهات.

(٢)المسرح. والكوميديا : مسرحية ذات طابع خفيف، تُكتب بقصد التسلية، أو هي عمل أدبي تهدف طريقة عرضه إلى إحداث الشعور بالبهجة.

(٣) القومية.

أمّا المسلمون فإنهم كما سبق بيانه، أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة، المؤسّسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي، أعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعيّة الحجّ؛ حتّى كأن الشارع لم يقصد منها أداء الفريضة فقط بصورة تعبّديّة بسيطة، والحال[1] حكمة الشارع أبلغ من ذلك، وعندي أنّ هذا أعظم أسباب الفتور. (مرحى).

فأجابه الإمام الصينيّ : إنّ هذا أشبه بالعوارض منه بالأسباب، فهو أَلْيقُ بأن يكون دواءً للدَّاء، ونحن مهتمّون ابتداءً بمعرفة سبب الفتور.

ثم قال: إني أرى أنّ السبب الأكبر للفتور هو تكبُّر الأمراء، وميلُهم للعلماء المتملّقين المنافقين، الذين يتصاغرون لديهم، ويتذلّلون لهم، ويُحَرِّفون أحكام الدِّين ليوفقوها على أهوائهم؛ فماذا يُرجى من علماء يشترون بدينهم دنياهم، ويُقبّلون يَدَ الأمير لِتُقَبِّل العامةُ أيديهم، ويُحقّرون أنفسهم للعظماء ليتعاظموا على ألوف من الضعفاء، أكبر همّهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاشل، لا يُحسنون أمراً من الأمور حتّى ولا الخصومة، فتراهم لا يتراغمون إلاّ بتكفير بعضهم بعضاً عند الأمراء والعامّة ؟

وهذا داء عياء صعب المداواة جدّاً، لأنّ كِبَرَ الأمراء يمنعهم من الميل إلى العلماء العاملين، الذين فيهم نوع غلظة لا بدّ منها، ولنعمّا هي مزيّة لولاها لَفُقِدَ الدِّين بالكلية. (مرحى).

فلا شكّ أنّ في هذا الزمان، أفضلَ الجهاد في الله الحطُّ من قدر العلماء المنافقين عند العامّة، وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاملين؛ حتّى إذا رأى الأمراء انقياد الناس لهؤلاء أقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم، وأذعنوا لهم طوعاً أو كرهاً؛ على أنّه يجب على حكماء الأمة المجاهدين في الله أن يعتنوا بالوسائل الليّنة لتثقيف عقول العلماء العاملين، لأنّ العلم رافعٌ للجهل فقط، ولا يفيد عقلاً ولا كياسة؛ فيلزم تعليمهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدِّين، وهكذا يفعل الحكماء عندنا معاشر إسلام الصين، ولا تفقد أيّة بلدة

---

(١) عبارة دارجة في القرن الماضي، وهي تماثل (في الواقع أنّ).

كانت رجالاً حكماء نبلاء يمتازون طبعاً على العامة، لهم نوع من الولاء حتّى على العلماء.

وهؤلاء الذين نُسمّيهم عندنا بالحكماء هم الذين يُطلق عليهم في الإسلامية اسم أهل الحلّ والعقد، الذين لا تنعقد شرعاً (الإمامة) إلاّ ببيعتهم؛ وهم خواصّ الطبقة العليا في الأمّة، الذين أمر الله عزّ شأنه نبيّه بمشاورتهم في الأمر، الذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الإمام والعمّال، لأنّهم رؤساء الأمّة ووكلاء العامّة، والقائمون في الحكومة الإسلامية مقام مجالس النوّاب والأشراف في الحكومات المقيّدة[1]، ومقام الأسرة المملوكيّة التي لها حقّ السيطرة على الملوك في الحكومة المطلقة كالصين وروسيا؛ ومقام شيوخ الأفخاد[2] في إزاء أمراء العشائر العربيّة، أولئك الأمراء الذين ليس لهم من الأمر غير تنفيذ ما يبرمه الشيوخ.

وإذا دقّقنا النظر في أدوار الحكومات الإسلاميّة من عهد الرسالة إلى الآن، نجد ترقّيها وانحطاطها تابعين لقوّة أو ضعف احتساب أهل الحلّ والعقد واشتراكهم في تدبير شؤون الأمّة.

وإذا أرجعنا البصر على التاريخ الإسلاميّ، نجد أنّ النبي عليه السلام كان أطوع المخلوقات للشورى امتثالاً لأمر ربّه في قوله تعـــــالى : ↓ ❑◆⬏⌧⌨❑⬧⬤⬬⬥⬀⬭➔⬵⬀ ❼⬤⬵ ⬶⌨⌧⬾⬱⬼⬷❺⬦ ↑[3]، حتّى إنّه ترك الخلافة لمجرّد رأي الامّة.

ثم كان أوّل الخلفاء[4] رضي الله عنه أشبه الناس به حتّى أخذ رأي سراة الصحابة فيمن خلَّف، ثم الخليفة الثاني[5] اتّبعَ أثر الأوّل، وإنْ استأثر في ترتيب الشورى فيمَنْ يخلفه، ثم الخليفة الثالث[6] اجتهد في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمّات، فلم يستقم له الأمر، وظهرت الفتن كما هو معلوم؛ ثمّ معاوية ـ رحمه الله ـ كان

---

(١) الدستوريّة.

(٢) الفخذ : فرع من فروع البطن، والفخد والبطن مصطلحان يدلان على أقسام القبيلة العربية.

(٣) آل عمران : ١٥٩.

(٤) أبو بكر الصديق.

(٥) عمر بن الخطاب.

(٦) عثمان بن عفان.

قليل الاستقلال بالرأي فحسُنت أيّامه عن قبل. وهكذا، كانت دولة الأمويّين تحت سيطرة أهل الحلّ والعقد لا سيمّا من سراة بني أميّة، فانتظمت على عهدهم الأحوال، كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العبّاسيين، حيث كانوا مذعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم(١)، ثمّ لمّا استبدوا في الرأي والتدبير، فخالفوا أمر الله واتباع طريقة رسول الله، ساءت الحال حتى فُقِدَ الملك.

هكذا عند التدقيق في كلّ فرع من الدول الإسلامية الماضية والحاضرة، بل في ترجمة كلّ فرد من الملوك والأمراء، بل في حال كلّ ذي عائلة أو كلّ إنسان فرد، نجد الصلاح والفساد دائريين مع سُنَّة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي(٢).

فإذا تقرّر هذا، علمنا أن سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الأمراء شيمة وتكبّراً، وترك أهل الحلّ والعقد والاحتساب جهلاً وجبانة؛ وهذا عند بعض الأقوام المسلمين كإيران، وأمّا الأكثر فقد أمسوا لا علماء هداة ولا سراة أباة، بل هم فوضى في الدِّين والدنيا. ولا بدع فيمَنْ يكونون على مثل هذا الحال، أنْ لا يُرجى لهم دواء إلاّ بعناية بعض الحكماء، الذين يُنجَبُون من أيّ طبقة كانت من الأمّة، وقد قضت سُنّة الله في خلقه أنْ لا تخلو أمّة من الحكماء.

فأجاب العالم النجديّ : إنّ شؤون السياسة في الصين تختلف كثيراً عنها في غيرها، وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبابرة كما عند غيرهم، فالحكماء في الصين آمنون؛ ومن جهة أخرى لم يزل الإسلام في الصين حنيفاً خفيفاً، لم يفسده التفنّن والتشديد، ومع ذلك، نرى الفتور شاملهم أيضاً.ونحن الآن نبحث عن السبب العامّ لهذا الداء، وليس كلّ السبب أحوال الأمراء والعلماء.

ثمّ قال : إنّي أجزم، ولا أقول أظنّ أو أخال، أنّ سبب الفتور الطارئ الملازم لجامعة هذا الدِّين هو هذا الدِّين الحاضر ذاته، ولا برهان أعظم من الملازمة، وما جاء الخفاء إلاّ من شدّة الوضوح؛

---

(١) وفي ذلك مغالاة، إذْ لم تسلم ممارسات العباسيين من الاستبداد، كما أن بني أمية عمدوا إلى حصر أهل الحل والعقد في أسرتهم وحسب.

(٢) فيتّسع الصلاح باتّساع الشورى.

فهل بقي من شكّ بعد هذه الأبحاث التي سبقت في جمعيتنا، ولا سيمّا ما بيّنه المحقّق المدنيّ، في أنّ الدِّين الموجود الآن بالنظر إلى ما ندين به لا بالنظر إلى ما نقرّره، وباعتبار ما نفعله لا باعتبار ما نقوله، ليس هو الدِّين الذي تميّز به أسلافنا مئين من السنيين على العالمين؟ كلاّ، بل طرأت على الدِّين طوارئُ تغيير غيّرت نظامه.

وذلك أنّ الأخلاف تركوا أشياء من أحكامه : كإعداد القوة بالعلم والمالِ، والجهاد في الدِّين، والأمر بالمعروف، وإزالة المنكر، وإقامة الحدود، وإيتاء الزكاة؛ وغير ذلك ممّا أوضحه الإخوان الكرام، وزاد فيه المتأخّرون بدعاً وتقليداتٍ وخرافاتٍ ليست منه، كشيوع عبادة القبور، والتسليم لمدّعي علم الغيب والتصرف في المقدور.

وهذه الطوارئ من تغييراتٍ أو متروكاتٍ أو مزيداتٍ أكثرها يتعلق بأصول الدِّين، وبعضها بأصل الأصول أعني التوحيد[1]،وكفئ بأن يكون سبباً للفتور، وقد قال الله تعالى : [illegible] [2]. (مرحى).

ولقائل أن يقول : إذا سلّمنا أنّ الدِّين تغيّر عمّا كان عليه، فما تأثير ذلك في الفتور العامّ الذي هو من شؤون الحياة الدنيا، وها نحن نجد أكثر الأمم الحيّة التي نغبطها قد طرأ على دينها التغييرُ والتبديلُ في الأصول والفروع، ولم يؤثر ذلك في الفتور؛ بل زعم كثير من حكماء تلك الأمم أنّهم ما أخذوا في الترقّي إلاّ بعد عزلهم شؤون الدِّين عن شؤون الحياة، وجعلهم الدِّين أمراً وجدانياً محضاً لا علاقة له بشؤون الحياة الجارية على نواميس الطبيعة.

فالجواب على ذلك بأنّه كما يُطالب كلُّ إنسان بأن يكون صاحب ناموس، أي متّبعاً على وجه الاطراد في أخلاقه وأعماله قانوناً ما، موافقاً ولو في الأصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو

---

(١) يبدوا واضحاً من حديث (العالم النجدي) أنه ينتمي إلى النزعة الوهابية، ومعلوم أن الوهابية وجدت المناخ الملائم لها في نجد.

(٢) الرعد : ١١.

منها، وإلا فيكون لا ناموس له، منفوراً منه مضطهداً؛ فكذلك كلّ قوم مكلّفون بأن يكون لهم ناموس عام بينهم، ملائم نوعاً لقوانين الأمم التي لها معهم علاقات جواريّة أو تجاريّة أو مناسبات سياسيّة، وإلاّ فيكونون قوماً متوحّشين لا خلاق لهم ولا نظام، منفوراً منهم مضطهدين.

وذلك أنّ الناموس الطبيعيّ في البشر هو ناموسٌ وحشيٌّ لا خير فيه، لأنّ مبانيه هي تنازع البقاء، وحفظ النوع، والتزاحم على الأسهل، والاعتماد على القوّة، وطلب الغايات، وحبّ الرئاسة، وحرص الادخار، ومجاراة الظروف، وعدم الثبات على حال، إلى غير ذلك. وكلّها قواعد شرّ ومجالب ضرّ، لا يلطّفها غير ناموس شريف واحد، مودوع في فطرة الإنسان، وهو : إذعانه الفكري للقوة الغالبة، أي معرفة الله بالإلهام الفطري، الذي هو إلهام النفس رشدها، وإلهامها فجورها وتقواها[1]. (مرحى).

ولا ريب في أنّ لهذه الفطرة الدينية في الإنسان علاقة عظمى في شؤون حياته، لأنّها أقوى وأفضل وازع يعدّل سائر نواميسه المضرّة، ويخفّف مرارة الحياة التي لا يسلم منها ابن أنثى، وذلك بما يؤمّله المؤمن من المجازاة والمكافأة، والانتقام منه وله. (مرحى).

وعند تدقيق حالة جميع الأديان والنحل تدقيقاً تاريخياً، توجد كلّها ناشئة عن أصل صحيح بسيط سماويّ، لاترى فيه عِوَجاً ولا أمتاً، يوجد أن كل دين كان في أوّليته باثّاً في أهله النظام والنشاط، وراقياً بهم إلى أوج السعادة في الحياة، إلى أن يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنّن والزيادات رجوعاً إلى أصلين اثنين : (الإشراك بالله، والتشديد في الدِّين). فيأخذ في الانحطاط في الأمّة، ولم يزل نازلاً بها إلى أن تبلغ حالة أقبح من الحالة الأصلية الهمجيّة، فتنتهي بالانقراض أو الاندماج في أمّة أخرى.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾. الشمس : ٨.

أو يتدارك الله تلك الأمّة بعناية بالغة، فيبعث لهم رسولاً يُجدّد دينهم، أو يخلق فيهم أنبياء أو حكماء يُصلحون لهم ما فسد من دينهم، كما حصل ذلك في الأمم الماضية : كعاد وثمود،وكالسِّريان وإسرائيل وكنعان وإسماعيل، وكما قال الله تعالى :🡻 ❐◆✎♦✍
✍♦➔⬀⑨⌧ ✍☺✎⬀❐⬧♲ ❐✍⬁⚈⬉⓿♉☙ ✦✐✍✁ ⬤♍♲⬧🗎
⬤⬨♒⌘✓♦⌨⬉③ 🗐✍✵☹⌧❍ ⬀☠⬅♑🗁⌧⑨⌧♎ ⬂❶♒⓿
☙⬧♑⬅⚐ ✎❐✍ ③♦✌✵⓿➔❐♍⬤ 🡹 [1].
وعند التأمل يوجد الشِّرك والتشديد كأنهما أمران طبيعيّان في الإنسان، يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان؛ لأن النفس تميل إلى عبادة المشهود الحاضر أكثر من ميلها إلى عبادة المعقول الغائب، ومفطورة على التشديد رغبة في التميّز؛ والشيطان يُسعف النفس بالتسويل والتأويل، والتحويل والتضليل، إلى أن يفسد الدِّين. (مرحى).

ثم إذا دقّقنا حالة الإسلامية في القرون الخالية، نجدها عند أكثر أهل القبلة قد أصابها بعضُ ما أصاب قبلها غيرَها من الأديان؛ كما أخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين، ووعدنا بوقوعنا فيه سيدُ المرسلين، وأرشدنا إلى طرائق التخلّص منه إنْ كنّا راشدين.

أعني بذلك ما طرأ على الإسلاميّة من التأويل والتحريف في بعض أصولها وكثير من فروعها، حتّى استولى عليها التشديد والتشويش، وتطرّق لها الشِّرك الخفيّ والجليّ من يمينها وشمالها، فأمست محتاجة إلى التجديد بتفريق الغَي من الرشد، وعندي أنّ هذه الحال أعمّ وأعظم سبب للفتور المبحوث فيه، قال الله تعالى :🡻 ❐◆✎♦♊⇧ 🕮❐⬉⇧❷◆✓◆ ⬉♦♊ ❶♉🗎⇩❷✍❽ ⬦⬥✉♒♌❐
✐⬧🕮⬉⓿ ✎♦➔♉⓾⌖♦❐☪ ✍❁✡🗏☪♲ 🡹 [2]. (مرحى).

وأنتم أيها السادة الأفاضل، في غناء عن إيضاح ذلك لكم بوجه التفضيل.

قال الأستاذ الرئيس : إنّي أرى أنّ البحث في أعراض الدّاء وأسبابه وجرائمه، وما هو الدواء، وكيف يُستعمل، قد نضج أو

(١) التوبة : ١١٥.
(٢) طه : ١٢٤.

كـاد؛ وقـد قرّرنــا فــي اجتماعنــا الأوّل أنّنــا سـنبحث فــي : مــاهي الإسلامية ؟ وما يتبع ذلك ممّا أدرجنـاه فـي برنـامج المباحـث، وإنّـي أرى أنّ تقريـر أخينـا العـالم النجـدي نِعْم المـدخل لنقـل البحـث، ولا سيّما إذا تكرّم بتفصيل ما أجمله؛ لأنّ مسائل منشأ الـديانات، وسـنن الله فـي مسـراها، وأسـباب طـوارئ التغيـر والتحريـف عليهـا، كلّهـا مسـائل مهمّـة تقتضـي تـدقيق النظـر واستقصـاء التحقيـق، ويَحسـن فيهـا الإطالـة والاسـتيعاب. بنـاء عليـه، نرجـو مـن العـالم النجـديّ أنّ يتكرّم بإعادة ما قرّره بصورة مفصّلة في اجتماعنـا الآتـي، إذ اليـوم قد آذن لنا الوقت بالانصراف.

الاجتماع الرابع
(الدِّين والإسلام والشِّرك والتصوف)
يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ

انتظمت الجمعية في اليوم المذكور صباحاً، وقُرئ الضبط السابق حسب العادة، وأذن الأستاذ الرئيس بالشروع في البحث.

فقال العالم النجديّ : إنّي أستسمح السادة الإخوان عن إمْلالهم بمقدّمات وتعريفات هم أعلم منّي بها، بل هي عندهم في رتبة البديهيات، ولكنْ، لا بدّ منها للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكريّ والترتيب القياسيّ، فأقول :

إنّ النوع الإنساني مفطور على الشعور بوجود قوّة غالبة عاقلة، لا تتكيّف، تتصرّف في الكائنات على نواميس منتظمة، فالعامّة يُعبِّرون عن هذه القوّة بلفظ (الطبيعة)؛ والراشدون من الناس مهتدون إلى أنّ لهذه القوّة مَنْ هو قائم بها، يعبِّرون عنه بلفظ (الله). ثمّ إن هذا الشعور يختلف قوّة وضعفاً، حسب ضعف النفس وقوّتها، ويختلف الناس في تصوّر وتوصيف ماهيّة هذه القوّة حسب مراتب الإدراك فيهم، أو حسبما يُصادفهم من التلقّي عن غيرهم، وذلك هو (الضلال والهداية). على أنّ الضلال غالب لأنّ موازين العقول البشريّة مهما كانت واسعة قويّة، لا تسع وتتحمّل وزن جبال الأزليّة والأبديّة، والامتثال، والأزمان، والإمكان، ونحو ذلك، ممّا لصعوبته سمّي العلم به علم ما وراء العقل؛ ولهذا، لا يقال في حقّ الضالّين أنّهم منحطّون عقلاً عن المهتدين، بل كثير منهم، في الماضين والحاضرين، أسمى عقلاً بمراتب كبيرة من المهتدين، ولكن صعوبة التصوُّر والحكم أوقعتهم في بحار من الأوهام وظلمات من الضّلال، على أنّ البارئ تعالى قدّر اللطف ببعض عباده، وأراد إقامة الحجّة على الآخرين، فأوجد بعض أفراد من البشر يُميّزون في تصوُّر توصيف ماهيّة القوّة

تمييزاً كبيراً، فصاروا هداة للناس هم (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام.

ثمّ بعض الأنبياء الكارم قاموا فيمَنْ حولهم من الناس مقام المشرّعين؛ وأثبتوا، ببراهين خرق العادات على يدهم عند التحدّي أي عند طلب ذلك منهم[١]، أنّ مخاطبيهم مُكلَّفون من قبل الله تعالى باتباعهم وهم (المرسَلون) فآمن بهم مَنْ آمن، أي شهدوا لهم بالرسالة واتبعوهم في هديهم مستسلمين، فأخرجوهم من بحار الأوهام إلى ساحل الحكمة، ومن ظلمات الضّلال إلى نور الهداية، وهؤلاء (المؤمنون)، فهذه مقدّمة أولى. (مرحى).

ومن المؤمنين : نحن معاشر (المسلمين)؛ علمنا، بما علمنا، أنّ محمداً بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي أجلّ البشر حكمة وفضيلة، وصدّقناه بأنّه رسول الله للعالمين كافة، مُصَحِّحَاً ملّة إبراهيم، داعياً لعبادة الله وحده، هادياً إلى ما يكلف الله له عباده من أمر ونهي، كافلين لكل خير في الحياة وبعد الممات.

ومن أمّهات قواعد ديننا، أنْ نعتقد : أنّ محمداً عليه السلام بلَّغ رسالته، لم يترك، ولم يكتم منها شيئاً، وأنّه أتمّ وظيفته بما جاء به من كتاب الله، وبما قاله، أو فعله، أو أقرّه على سبيل التشريع إكمالاً لدين الله.

ومن أهمّ قواعد ديننا أيضاً : أنّه محظور علينا أنْ نزيدَ على ما بلّغنا إياه رسولُ الله، أو ننقصَ منه أو نتصرَّفَ فيه بعقولنا، بل مُتحتّم علينا أنّ نتبع ما جاء به الصريحُ المحكم من القرآن، والواضح الثابت ممّا قاله الرسول، أو فعله، أو أقرّه، وما أجمع عليه الصحابة، إن أدركنا حكمة ذلك التشريع، أو لم نقدر على إدراكها، وأن نترك ما يتشابه علينا من القرآن، فنقول فيه : ↓
[illegible]
[illegible]
[illegible]

---

(١) هكذا فسّر التحدي هنا. والمعروف في علم الكلام أن التحدي طلب المعارضة للمعجزة بأن يقول الرسول : هذه آية صدقي، فاءتوا بمثلها، أو فآمنوا. (ط. م).

↑ ✍◆☪♒■✉◆⑥ ♋⑨☪♋↖ ⇧♊♋♓✂ ✌✌➚✍ ◷♋○♒✉ [1].

ومن قواعد ديننا كذلك : أن نكون مختارين في باقي شؤوننا الحيويّة، نتصرَّف فيها كما نشاء، مع رعاية القواعد العموميّة التي شرّعها، أو ندب إليها الرسول، وتقتضيها الحكمة أو الفضيلة، كعدم الإضرار بالنفس أو الغير، والرأفة على الضعيف، والسعي وراء العلم النافع، والكسب بتبادل الأعمال، والاعتدال في الأمور، والإنصاف في المعاملات، والعدل في الحكم، والوفاء بالعهد، إلى غير ذلك من القواعد الشريفة العامّة. وهذه مقدمة ثانية.

ويتفرَّع عن هاتين المقدّمتين بعض مسائل مهمّة، ينبغي أيضاً إفرادها في البحث تباعاً وإشباعاً.

منها أنّ أصل الإيمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدّم، فلا يحتاجون فيه إلى الرسل، وإنّما حاجتهم إليهم في الاهتداء إلى كيفيّة الإيمان بالله كما يجب من التوحيد والتنزيه.

وهؤلاء قوم نوح، وقوم إبراهيم، وجاهلية العرب، واليهود والنّصارى، ومجوس فارس، ووثنيّو الهند والصين، ومتوحّشو إفريقيا وأميركا وسائر البشر، كلّهم كانوا، ولا زالوا، أهل فطرة دينيّة يعرفون الله، وليس فيهم مَنْ ينكره كليّاً كما قال عزّ من قال : ↓❒◆♐♒♌ ♊♋♓✂ ★⌧⌀⇔➚♋ ♐♒◆⑦✪○♐⌨○♒⌧← ▤◷◆◆☺⬃⑨♋■♋◷ ↑[2]. ويل البشر، يغلب عليهم الإشراك بالله، فيخصّصونه تعالى شأنه بتدبير الأمور الكلية والشؤون العظام كالخالقيّة[3] وتقسيم الأرزاق والآجال، كأنّهم يجلّونه عن تدبير الأمور الجزئيّة، ويتوهّمون أنّ تحت أمره مقرّبين وأعواناً ووسائط من ملائكة وجنّ وأرواح، وبشر وحيوانات، وشجر وحجر؛ وأنّه جعل لهم وللنواميس الكونيّة من أفلاك وطبائع، وللحالات النفسيّة

---

(١) آل عمران : ٧. في الأصل : (آمنا به، كل من عندي ربنا، وما يعلم تأويله إلا الله) وهو خطأ وقع فيه (محمد عمارة) أيضاً، ولم يتنبّه إلى تصويبه. يُنظر الأعمال الكاملة، ط : ١٩٧٠، ص ١٨٨، وأيضاً ط : ٧٥، ص ٢٧٦. ولأهمية النص القرآني اقتضى التنبيه.

(٢) الإسراء : ٤٤.

(٣) الخالقية : فعل الخلق.

من سحر وتوجّه فكر،دخلاً وتأثيراً في تدبير الأمور الجزئيّة إيقاعاً أو منعاً، وأعطاهم شيئاً من القوّة القدسية وعلم الغيب.

وتوهّمهم هذا ناشئ عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على إدارة الملوك في اختصاصهم بتدبير مهمّات الأمور، وتفويضهم ما دون ذلك للعمال الأعوان، واستعانتهم بالأخصّاء والخدَّام، وربطهم مجرى الأعمال بالقوانين والنظامات. (مرحى).

ومن تَتَبُّع تواريخ الأمم الغابرة وأفكار الأمم الحاضرة، لا يستريب فيما قرَّرناه من أنّ آفة البشر الشِّرك الذي أوضحناه فقط، وكفى بالقرآن برهاناً، فقد قال تعالى :↓ ❏◆⚈⬧⬄⬁⬀✖
♓⌧❏⬧☜♦♑⬅☠✌❏♊⇧ ⌘⌧◼■◼⬨♦
⬅⬄❏⬧⬄♎⬨❖❏☿⬧⬄✿♓⬨⬧⬄❍⬧⬄⬥
⬨⬧⬄⬥◆⚈❏⬅⬀♊ ⚈⬄⬧⬄✦ ↑ [1]. وقال تعالى :↓ ⬧⬄♦⬧⬄⬀ ⬄⬧⬄⬧⬨⬧⬄⬅ ⬄⬧⬄⬧⇧⬀❏♌♦ ↑[2] وقال تعالى : ↓ ⬄⬨⌧⬨
⬄⬨⇧⬀❏⬧⬄☎ ⌧⬀♦⬧⬧ ★⬧⬧⬧⬄ ⬧❏◼♦⬧⬧⬄ ↑[3]. وقال تعالى :↓ ⬧♦♊ ⬄⬨⬄ ⬧⬄⬧⬧⬧⬄⬧⬧ ⬧❏⬧⬧⇧⬧⬧⬧⬅
⬧⬧◼⬅⬧⬧ ⬧⬧⬧ ⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧ ↑[4]. إلى غير ذلك من الآيات البيّنات المُثْبِتَة أنّ زيغ البشر هو الإشراك من بعض الوجوه فقط، لا الإنكار ولا الإشراك المطلق، لأنّ العقل البشري مهما تسفَّل[5] لا ينزل درجة الشِّرك المطلق.

بناء عليه، جرت عادة الله تعالى - جلّت حكمته - أنْ يبعث الرُّسل، يُنقِذون الناسَ من ضلالة الشِّرك، وينتشلونهم من وهدة شرّه في الحياة الدنيا والآخرة، ويهدونهم إلى رأس الحكمة أي (معرفة الله) حقّ معرفته لكي يعبدوه وحده. وبذلك، تتم حجته عليهم، ويملكون حرّيّتهم التي تحميهم من أن يكونوا أرقّاء أذلاّء لألف شيء من أرواح وأجسام وأوهام، فثمرة الإيمان بأنْ (لا إله إلاّ الله) عتق العقول من الإسارة[6]، وثمرة الإذعان بأنَّ (محمداً

---

(١) لقمان :٢٥ ، والزمر :٣٨.
(٢) الأنعام :٤١.
(٣) الجن :١٨.
(٤) البقرة : ٢٥٥.
(٥) تدنى في تفكيره.
(٦) الأسر والعبودية والقيد.

رسـوا الله) اتّباعـه حقّاً فـي شـريعته التـي تحـول بـين المسـلم وبـين نزوعه إلى الشِّرك، وتنيله سعادة الدَّارين.

ثمّ إنّ الإنسان، قُتل ما أكفره، وقبح ما أجهلُه[١]، لا يـهتدي إلـى التوحيـد إلاّ بجهـد عظـيم، وينـدفع، أو ينقـاد بشـعرة إلـى الشّـرك، فيتلبس به على مراتب ودرجات في اعتقاد وجود قوّة قدسية تُرجى وتُتقى في غير الله،أو تبعاً لله، ذاهلاً عن أنه لـو كـان فـي الأرض أو في السماء آلهة غير الله، أي أصحاب قوّة في شيء ولو في تحريك ذرة رمل، لفسدتا.

فالنـاس سريعو الإعراض عن ذكر الله، إلى ذكر مَنْ يتوهّمـون فيهم أنـهم شركاء وأنداد لله، فيعبدونـهم، أي يُعظّمونـهم، ويخضـعون لهـم، ويـدعونـهم، ويسـتمدُّون مـنهم، ويرفعـون حاجـاتهم إلـيهم، ويرجون عنـد ذكـر أسمائهم الخيـر، ويتوقّعون من سخطهم الشـرّ، وقـــد قـــال الله تعـــالى : ↓ ❐◆✎♦⇧ ♊ 🕮❐⇖⇧❷◆✓◆ ⇖◆♊ ➊🙰🖹⇩❷🙵❸ ▫⬧🖂🙜♌❐ 🖋⬧🕮⇖🕛 ✎◆➔🙰⑩⌖◆❐☪ ⮹✡🗏☪🕭 ↑[٢]، والله صـادق الوعـد، نـافـذ الحكـم. وفـي الواقـع، وبالضـرورة والطبـع، لا معيشـة أشـدّ ضـنكاً مـن معيشـة المشـركين الـذين وصـفهم الله عـزّ وجـلّ بـأنّهم لأنفسـهم ظـالمون، فقـال :↓ ➒🙜♍⬝ ✃🙢🙞⌑ ♏🖣❸⬀🖞⌧ 🙞⬧➔➊🖬▫🏱⬋ ⇖◆➔🙰⑩🏱🙵 ↑[٣]،وقـــــــــــال : ↓ ❐◆⬧⬧ ③◆➔⬂🖬🙰🏱➊ ❻◆🙡🙪🖮⮹ 🕮❐■◆⑨✡✃ ↑[٤]. وهـذا زيـد بـن عمـرو بـن نفيـل[٥]، الحكـيم الجاهلي، ضجر من الشِّرك فقال من أبيات له :

أرَبَّـــاً واحـــداً أم ألـــفُ ربٍّ | أدين إذا تقسَّمت الأمُور؟ [٦]

---

(١) إشـــارة إلـــى قولـــه تعـــالى : ↓ 🕭➔✍🙰🙜⬬• ✃🙞“☀☼○❁🕓♊← ✎◆♦🙞🖋 🕮❐🙥⬂🖽⌧❷◆■←🕛 ↑. عبس : ١٧.

(٢) طه : ١٢٤.

(٣) لقمان : ١٣.

(٤) الكهف : ٤٩.

(٥) زيد بن عمرو بن نفيل : هو ابن عم عمر بن الخطاب (رض)، أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(٦) البيتان من البحر الوافر. ورواية البيت الثاني في كتب الأدب على الشكل الآتي :

عزلتُ اللاتَ والعُزّى جميعاً | كذلكَ يفعلُ الجَلِدُ الصبورُ

تركتُ اللاتَ والعُزّى جميعاً كذلكَ يفعلُ الرَّجُلُ الخبيرُ

ومثل الحياة الأدبية في الموحِّدين والمشركين : كبلد سلطانُه حكيم قاهر، بابه مفتوح لكل مراجع، ويُنفِّذ قانوناً واحداً، ولا يصغي لساع ولا لشفيع، ولا يشاركه في حكمه أحد. وبلد آخر سلطانه جبان مغلوب على أمره، نال منه مقربوه المتعاكسون وأعوانه المتشاكسون مراتب من الكرامة ونفوذ الكلمة عنده، وأحرزوا سلطة استقضائه ما يشاؤون من حوائج خير لذويهم، أو دفع شرّ عن أتباعهم، فهل يستوي أهل البلدين ؟ كلا، لا تستوي السعادة والشقاء، ولله المثل الأعلى - فإنّه جلَّتْ عظمته - لا يرضى أن يشاركه في ملكه أحد، كما قا ل تعالى : [1]. ولا شكّ أنّ الشِّرك من أكبر الفجور وعمل السوء،

وقد قال تعالى : [2]. وقال تعالى : [3].

وما الجحيم والمجازاة خاصّان بالآخرة، بل يشملان الحياة الدنيا والآخرة.

ثمّ أقول : فإذا أراد المسلم أن يعلم ما هو الشِّرك المشؤوم عند الله، بمقتضى ما عرَّفه إيّاه في كتابه المبين، يلزم أن يغرف ما هو مدلول ألفاظ : (إيمان، وإسلام، وعبادة، وتوحيد، وشرك) في اللغة العربية التي هي لغة القرآن، حيث قال تعالى : [4]، وقال تعالى :

---

(١) النساء : ١١٦.
(٢) الانفطار : ١٤.
(٣) النساء : ١٢٣.
(٤) الزخرف : ٣.

﴾[1]. فإذا علم المسلم معنى هذه الألفاظ، وأراد أن يمتثل أمر ربه بأن لا يتعدى حدود الله، يتعيّن حينئذ عنده ما هو مراد الله بالشِّرك الذي لا يرضاه، الذي أشفق، وأخاف علينا نبيّنا عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيه، فقال (إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم الشِّرك)[2].

ومَنْ يبحث عمّا ذُكر من الألفاظ، يجد أنّ أهل اللغة مجمعون على أنّ المدلول للفظ (الإيمان) الطاعة والتسليم بدون اعتراض[3]، وللفظة (العبادة) التذلّل والخضوع[4]؛ وللفظة (التوحيد) العلم بأنّ الشيء واحد، ومضافة إلى الله نفي الأنداد والأشباه عنه. ومن هذه المادة[5] الواحد والأحد، صفتان لله، معناهما المنفرد الذي لا نظير له أو ليس معه غيره. وأصل معنى مادة الشِّرك لغة الخلط، واستعمالاً اسم الله للإشراك بالله. في اصطلاح المؤمنين الإشراك بالله في (ذاته) أو (ملكه) أو (صفاته).

ثمّ إذا وزّعنا اعتقاداتِ مَنْ وصفهم الله تعالى بالشِّرك في كتابه العزيز على هذه الأنواع الثلاثة، نجد مظنة (الإشراك في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول، وهو أنه، تعالى شأنه عما يصفون، أفنى، أو يُفني بعض الأشخاص في ذاته، كقول النصارى في عيسى ومريم عليها السلام، وقول علمائنا في وحدة الوجود، وهذا النوع من الشِّرك عسر التصوّر والتفريق حتّى عند أساطين أهله، ولذلك،

---

(١) إبراهيم : ٤.
(٢) تُعلِّق المنار في م.ط : (الحديث رواه ابن ماجه بن شداد بن أوس، ولفظه : (إنَّ أَخْوَفَ ما أخافُ على أمتي الإشراكُ بالله، أما أنني لست أقول تعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولكنْ أعمالاً لغير الله، وشهوة خفية) رواه أحمد والبيهقي بلفظ آخر. أ. هـ.

الحديث : ورد في سنن ابن ماجه /باب الزهد، باب الحدود، وابن حنبل : ٢٢/١، ٤٤-٧/٣، ٠٠٣٠.

والترمذي : الحدود، الفتن، الزهد.
(٣) (ما فسّر به الإيمان. هو معنى (الإسلام) وعدم ذكر هذا اللفظ يدل على أنه سقط في الأصل تفسير الإيمان، وهو التصديق القطعي بلا تردُّد، وسقط بعده لفظ الإسلام فصار تفسيره للإيمان.) (ط.م).
(٤) (فسَّر العبادة بالمشهور في كتب اللغة وغيرها، ولكنَّ استعمال العرب يدلَّ على أنهم لا يُسمّون كل تذلُّل وخضوع عبادة، وإنما يخصّون العبادة بالخضوع الناشئ عن الاعتقاد بسلطة غيبية وراء الأسباب العادية)، (ط.م).
(٥) يقصد المادة اللغوية المعجمية.

يُسمّيه النصارى حقيقة سرّيّة، ويُسمّيه علماؤنا (حقيقة ذوقية)[١]. (مرحى).

أمّا مظنّات (الإشراك في الملك) : فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين بتدبير بعض الشؤون الكونية، كاعتقاد اليهود في ملك الموت، وكاعتقاد بعض الناس تصرّف غير الله في شيء من شؤون الكون، كقول مَنْ يقول : فلانٌ عليه دركُ البرّ أو البحر، أو الشام أو مصر[٢].

وأمّا مظنّات (الإشراك في الصفات) : فهي الاعتقاد في مخلوق أنّه مُتَّصف بشيء من صفات الكمال من المرتبة العليا، التي لا تنبغي إلاّ لواجب الوجود جَلَّتْ شؤونه.

وهذا النوع الثالث أكثر شيوعاً من النوعين الأولين لثلاثة أسباب :

الأول : كون غير الأحديّة والخالقية، ونحوها من الصفات الخاصة بالله تعالى، صفات مشتركة يعسرُ على غير العلماء الراشدين تمييز الحدّ الفارق بين مراتبها في المخلوقين، وبين مراتبها المختصّة به تعالى.

الثاني : ما نطقت به الشرائع من تفويض الله ـ تعالى ـ بعض الأمور إلى الملائكة، واستجابة دعاء المقرّبين، وإكرامه ـ تعالى ـ بعض عباده الصالحين، ووعده بقبول شفاعة مَنْ يأذن لهم بها يوم القيامة، فالتبس الأمر على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف.

الثالث : هو كون التعظيم مدرجة طبيعيّة للإغراق والتغالي، ومطيّة سريعة السير لا يلتوي عنانها عن تجاوز الحدود إلا برغم الطبع وتوفيق الله، ولذلك، قاسى الرسُلُ أُولو العزم الشدائدَ في كبح جماح الناس عن إشراكهم معظّميهم مع الله في مرتبة بعض صفاته العليا، وركبوا متون الصعاب والعزائم في إرجاع الناس إلى حدّ الاعتدال؛ وشدّدوا النكير على إطراء الناس إياهم؛ وحذّروا،

---

(١) الإدراك الحدسي.
(٢) أي اقتسام الأولياء التصرف في شؤون الكون.

وأنـذروا مـن مقاربـة مظـانّ الشِّرك، حتّـى الخفـي الـذي يـدبُّ دبيـب النمل.

ومن المعلوم عندنا أنّ نبينا ـ عليه أفضل السلام ـ لبث عشرة أعوام يقاسي الأهوال فـي دعوتـه النـاس إلـى التوحيد فقط، وسمّى أمّته الموحّدين، وأنزل الله القرآن رُبْعَهُ في التوحيد؛ وتأسَّس دين الله على كلمة (لا إله إلا الله)، وجُعلت أفضل الذكر لحكمة أنّ المسلم مهمـا رسـخ فـي الإيمـان، يبقـى محتاجـاً إلـى نفـي الشِّرك عن فكره احتياجاً مستمراً، وذلك لما قلنا من شدّة ميل الإنسـان إلـى الشِّرك، ولشـدّة التباسـه عليـه، ولشـدّة قربـه منـه طبعـاً، فنسـأل الله تعـالى الحماية. (مرحى).

ومـا هـذا خـاصّ بالمسلمين، بـل مضـت الأمـم كلهـا، لـم يكـد يفارقهـا رُسُلُهَا الكـرام إلاّ ووقعت فـي الشِّرك، كقـوم موسـى عليـه السلام فارقهم أربعين ليلة، فاتخذوا العجل[1]. (مرحى).

ثـمّ إذا انقلبنـا فـي البحـث إلـى مـا هـو الشِّرك فـي نظـر القـرآن وأهله لنتّقيه، نجد أن الله ـ تعالى ـ قـال فـي حقّ اليهـود والنصـارى :↓ ✂︎☙✂︎✋③⬧⓪➚❐▦✂︎☎ 🕮❐❍⇕⌛⬧☙⑥◆♎➔☠⬀ ❐◆⑥↓♎⬀⌛⬧⏲☪◆♑←☠⬀ 🕮❐⑥⬀🖃☙⬧🖃☙ॐ☙ ✋♓⚹♊ ⑩←❐♍⏲ ✂︎☙✍★↑[2]. مـع أنّـه لـم يوجـد مـن قبـل ولا مـن بعـد مـن الأحبـار والرهبـان مـن ادّعـى المماثلـة، ونـازع الله الخالقيـة أو الإحياء أو الإماتة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبيّة عند العامّة من الإسلام، حسبما تلقّوه من مروّجي الشِّرك بالتأويل والإيهام، بل الأحبـار والرهبـان إنّمـا شـاركوا الله ـ تعـالى ـ فـي التشـريع المقدس فقـط، فقـالوا : هـذا حـلال وهـذا حـرام، فَقَبِـلَ مـنهم أتبـاعهم ذلـك، فـــوصفهم الله ـ تعالى ـ أنّهم اتخذوا أرباباً مِن دون الله.

ونجد أيضاً أنّ الله تعالى سمّى قريشاً مشركين، مع أنّه وصفهم بقولـــــــه : ↓ ❐◆♑⬀✂︎⬦⟿✕ ♒⬀❐♁♒♑☞♦♑←☠ ✋♊❐⇕ ⌘⬜◻■🖃♦ ✂︎☙♒❍❍☺⬜⏲❐◆❐☠♉ ❐◆✂︎☙❀☞⑥⬀⮛◆

---

(١) إشـــارة إلـــى قولـــه تعـــالى :↓ ❐◆✂︎☙✋③⬧⓪⌧ ♎⬧❐⬀⮛⮜ ✋❐⬜✍⬀🗐 🖃✋♊ ⬀⬧♒◆➔⬀⑨♊■♊⏲ ✋♊♊⇕ ❍⮜🖬♊⑩▒✍♑ 🕃 ⇔ ⮜♊⮣⇕⌧⬧ ♉⬜❍⑨✡✂︎ ✍↟🕮⮜⏲ ⌘⬈❐◆✂︎⑥⬊ ↑ الأعراف:١٤٨.

(٢) التوبة :٣١.

⑲⓿◆◑→❑⑲↗♊⓿ ✂︎𝒜✎✦ ↑[1] أي يُخصّصــون الخالقيــة بالله، ووَصَفَ توسّلهم بالأصنام إلى الله بالعبادة، فحكى عنهم قولهم : ↓ ✌♦𝒜 ☼♦➔✍⌛➔⑨←♎➔☠⬀ ◑♐◆·
⑲♉⓿↖◑◆❷♒♔✉←❑☼♦𝒜✎ ◑♐🖫■❼ ✂︎𝒜✎★
♾↖⑲♉♖◆❼✂︎ ↑[2]؛ والمعظّمـة مـن المسـلمين يظنّـون أنّ هـذه الدرجة التي هي التوسّل ليست من العبادة ولا من الشِّرك؛ ويُسمّون المتوسَّل بهم وسائط، ويقولون إنّـه لابـد مـن الواسطة بـين العبـد والربّ، وأنّ الواسطة لا تُنكر.

ويُعلم من ذلك أنّ مشركي قريش ما عبدوا أصنامهم لذاتها، ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير، بل اتّخذوها قِبْلة يعظّمونها بندائها والسجود أمامها، أو ذبح القرابين عندها، أو النذر لها على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قـرب من الله ـ تعالى ـ وشفاعة عنده، فيحبّون هذه الأعمال الاحترامية منهم، فينفعونهم بشفاء مريض أو إغناء فقير وغير ذلك، وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً، أو أخلّوا في احترام تماثيلهم يغضبون، فيضرونهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم.

ونجـد أن الله ـ تعالى ـ قـال :↓ ◆⌧◆▫ ✍◆⑨⇧↖↖❑✂︎☎ ✌♦➚⌂ ✂︎𝒜✎★ 🕮❑■♦⑨✡✂︎ ↑[3]، وأصـل معنـى الـدعاء النـداء، ودعـا الله : ابتهـل إليـه بالتوسُّل، واسـتعان بـه، والـدليل الكاشـف لهـذا المعنـى قولـه تعـالى :↓ ✉♦✍⬀ ◑♐③▪𝒜■←
✍◆⑨⇧↖↖❑♌♦ ▫◆⓿◆▤⬁⌖♉✂︎← ✌♦𝒜 ✍◆⑨⇧↖↖❑♌♦ ↑[4]؛ وكذلك أنزل الاستعـانة بـه مقرونة بعبادته في قوله جلّت كلمته :↓ ◑♐③▪𝒜🖰⌧ ☼♦➔⬀🖮←⑨← ❑◆◑♐③▪𝒜🖰⌧ ♠■○⇔✌♦➔♉✓▫⍌ ↑[5].

وبما ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شِركاً به حتّى صرّح النبي صلى الله عليه وسلم في الحلف

---

(١) لقمان : ٢٥،الزمر : ٣٨.
(٢) الزمر : ٣.
(٣) الجن : ١٨.
(٤) الأنعام : ٤١.
(٥) الفاتحة : ٥.

بغير الله أنّه شِركٌ فقال: (مَنْ حلف بغير الله فقد أشرك)[1]. وجعل الله القربان لغيره والإهلال والذبح على الأنصاب شِركاً، وحَرَّمَ تسييب السّوائب[2] والبحائر[3] لما فيها من ذلك المعنى. ومكان المشركون يحجّون لغير بيت الله بقصد زيارة محلاّت لأصنامهم، فنهى النبيّ عليه الصلاة والسلام أمّته على مثل ذلك، فقال : (لا تُشَدُّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى)[4] بناء عليه، لا ريب أنّ هذه الأعمال وأمثالها شِركٌ، أو مدرجة للشِّرك. (مرحى).

فليُنظر الآن، هل فشا في الإسلام شيء من هذه الأعمال وأشباهها في الصورة أو الحكم ؟ ومَنْ لا تأخذه في الله لومة لائم، لا يرى بدّاً من التصريح بأنّ حالة السواد الأعظم من أهل القبلة، في غير جزيرة العرب[5]، تشبه حالة المشركين من كلّ الوجوه، وأنّ الدِّين عندهم عاد غريباً كما بدأ كشأن غيرهم من الأمم.

فمنهم الذين استبدلوا الأصنام بالقبور، فبنوا عليها المساجد والمشاهد، وأسرجوا لها، وأرخَوا عليها الستور، يطوفون حولها مقبّلين مستلمين أركانها، ويهتفون بأسماء سكانها في الشدائد، ويذبحون عندها القرابين يُهلّ بها عمداً لغير الله، وينذرون لها النذور، ويشدّون للحج إليها الرحال، ويعلقون بسكّانها الآمال، يستنزلون الرحمة بذكرهم وعند قبورهم، ويرجونهم - بإلحاح وخضوع ومراقبة وخشوع - أنْ يتوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات، وكلّ ذلك من الحبّ والتعظيم لغير الله، والخوف والرجاء من سواه.

---

(١) كذا في الطبعات كلها، وأما في ط.م : (مَنْ حلف بغير الله فقد كفر وأشرك). وتعلّق المنار على الحديث بالقول: (الحديث رواه الترمذي، وحَسَّنَهُ وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال صحيح على شرطهما) ا. هـ.

(٢) السوائب : النوق التي تُترك لنذر، أو لأنها ولدت عشر إناث، فَتُهَمل.

(٣) البحائر : النوق إذا شقت أذنها، وتكون آخر إناث السائبة.

(٤) حاشية ط.م (رواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة، ورروياه عن أبي سعيد. رواه أصحاب السنن وغيرهم).أ.هـ.

(٥) لوجود الحركة الوهابية فيها، والتي تُحَرِّم التبرك بالأولياء.

ومنهم مَن استعاضوا ألواح التماثيل عند النصارى والمشركين بألواح فيها أسماء معظّميهم، مصدّرةً بالنداء تبركاً وذكراً ودعاءً، يُعلّقونها على الجدران في بيوتهم، بل في مساجدهم أيضاً[١] ويتوّجون بها الأعلام من نحو : يا علي[٢]، ياشاذلي[٣]، يادسوقي[٤]، يارفاعي[٥]، يابهاء الدِّين النقشي[٦]، يا جلال الرومي[٧]، يا بكتاش ولي[٨].

ومنهم ناس يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله، ذكراً مشوباً بإنشاد المدائح والمغالاة لشعراء المتأخرين، التي أهون ما فيها الإطراء الذي نهانا عنه النبيّ عليه الصلاة والسلام حتّى لنفسه الشريفة فقال : (لا تطروني كما أطرت اليهود والنصارى

---

(١) كجوامع القسطنطينية وبلاد الأتراك. (ك). وتُعلِّق ط. م قائلة : (كذا في هامش الأصل، ومثل بلاد الترك أكثر بلاد المسلمين) ا.هـ. وهذا دليل على أن ط.م تلت ط.ق.

(٢) ابن عم النبي. عاش في كنفه. تزوج فاطمة بنت الرسول، وأنجب منها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم. رابع الخلفاء الراشدين. طعنه أحد الخوارج وهو يهم بصلاة الفجر، فقضى عام ٦٦١، عن ثلاث وستين سنة، ودُفن بالكوفة، وإليه ينتسب الشيعة والعلويون.

(٣) أبو الحسن الشاذلي (١١٩٦-١٢٥٨) صوفي مشهور. ومؤسس طريقة صوفية تُعرف بالشاذلية. حَجَّ مرات كثيرة، ومات في الحجة الأخيرة وهو يجتاز صحراء مصر.

(٤) دسوقي : إبراهيم بن عبد المجيد الدسوقي (١٢٣٥-١٢٧٧) من دسوق بمصر. بها قبره. ويُقام له مولد كبير. صوفي، وّليَّ، تُنسب له كرامات وخوارق، صاحب الطريقة الدسوقية. له كثير من الكتب.

(٥) رفاعي : أحمد بن علي رفاعي (١١٠٦-١١٨٣) نشأ في البصرة، وأسّس الطريقة الرفاعية في الطرق. اشتهر الرفاعية بالقبض على الثعابين كالحواة. ومن عقائدهم عدم إيذاء الحيوان أو قتله.

(٦) بهاء الدِّين النقشي : مؤسس الطريقة النقشبندية في فارس، وتمتاز بطريقة خاصة في الذكر، ولها فروع في الصين وتركستان وقازان وتركيا.

(٧) محمد بن محمد بن حسين الخطيبي البكري المعروف بمولانا جلال الدِّين (١٢٠٧-١٢٧٣) أكبر شعراء الصوفية الإيرانيين، تُرجمت أشعاره إلى لغات مختلفة، له (ديوان شمس تبريزي) و(المثنوي) و(وفيه ما فيه). له مريدون بإيران، والهند وآسيا الصغرى، ومنهم تتألف المولوية.

(٨) البكتاشية: فرقة صوفية تركية تُنسب إلى السيد محمد بن إبراهيم آتا، الشهير بالحاج بكتاش (-١٣٣٦)، له (مقالات) يتبع فيه فكرة الاثني عشرية. اتصلت البكتاشية بفرقة الإنكشارية فسَمّوا أنفسهم بها. تسلّطت البكتاشية على الإنكشارية إلى أن قضى السلطان محمود الثاني على هذه الطريقة (١٨٢٦).

أنبيـاءهم)[١]. وبإنشـاد مقامـات شـيوخية، تغـالوا فيهـا بالاسـتغاثة بشـيوخهم والاسـتمداد مـنهم بصـيغ لـو سـمعها مشـركو قـريش لكفّـروهم، لأنّ أبلـغ صـيغة تلبيـة كانـت لمشـركي قـريش قـولهم : (لبّيك، اللّهم لبيك لا شريك غيـر شريك واحد، تملكـه ومـا ملـك)[٢]، وهذه أخفُّ شركاً من المقامات الشيوخية التـي يهدرون بهـا إنشـاداً بأصوات عالية مجتمعة، وقلوب محترقة خاشعة كقولهم :

عبد القــادر يا كيـلانـي ياذا الفضلِ والإحسان[٣]
صرتُ في خطب شديد من إحسانك لا تنساني

وقولـهم :

ألاّهم[٤] يارفاعي لي أنـــا المحســـوب أنـــا المنسوب[٣]
رفــاعي لا تضيعني أنا المحسوب أنا المنسوب

إلـى نحـو ذلك ممـا لا يُشَكُّ فيـه شكّ أنـه مـن صريح الإشـراك الذي يأباه الدِّين الحنيف.

ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع المبين، فابتدعوا أحكاماً فـي الدِّين سمّوها علم الباطن، أو علم الحقيقـة، أو علـم التصوف. علمـاً لـم يعـرف شـيئاً مـن الصـحابة والتـابعون وأهـل القـرون الأولـى المشهود لهم بالفضل في الدِّين. علماً نزعوا مسائله من تـأويلات المتشـابه مـن القـرآن، ومـع أنّ الله ـ تعالى ـ أمرنـا أن نقـول فـي المتشابه منه ↓ ◆⬈✁✋⬥❍❏ ✍☜❏☝❍✉ ✍⬈⬈ ✋♓♋✌⇧ ⬉♋☺⑨♋ ❻◆☺☺✋☐⬥☜❏ ✍◆✋⬥❍ ↑[٥]، وقـال تعـالـى :↓ ❏◆✋⬥✍ ③◆➔⬀☐✋☐ ⬉✋⬈ ✍✋☐⬄③✁◆☐✋⬉☐⬉☐◑ ◆⬈⑤☐◇⬈ ✁✍✎✦ ↑[٥].

وقـال عـز شـأنه فـي حقّهـم :↓ ❏◆❍⬈❶◆✁ ❻◆☐☐③⬀✳❂ ✁✍✋✢✋⬉✪⇦✳◆ ❻◆❏→❏→⑥ ◆✱◆⬈✍✘☑ ⬈◆⑧✋❍⬉✋◆ ✍☜⬈⬈◆⬈ ⇧❹✐⬈⇦ ⬉◆❃⬀⬉⬉✁⬄

(١) (لفظ الحديث: لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد الله فقولـوا عبد الله ورسوله. رواه البخاري، والترمذي في الشمايل ولا أذكر غيرهما الآن) (ط.م)أ.هـ. والحديث رواه البخاري : الأنبياء، الدارمي : الرقاق، ابن حنبل : ٣/١، ٢٤، ٤٧، ٥٥.

(٢) يُنقل عنهم (إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) (ط.م) أ. هـ.

(٣) نوع من التوسُّلات الدينية الشعبية، غير موزونة.

(٤) في ط.ق وط.ج (اللّهم يارفاعي إني ...) عدا (ط.م).

(٥) و (٢) آل عمران :٧ .

[illegible] [1]. وقـــال تعـــالى : [illegible] [2]. وقـــال تعالى : [illegible] [3] وقـــال تعالى: [illegible] [4].

وانتـزع هـؤلاء المـداجون أيضـاً بعـض تلـك المزيـدات مـن مشكلات الأحاديث والآثـار، وممّـا جاء عن النبـيّ عليـه السلام من قوله على سبيل الحكاية، أو عمل على سبيل العادة، أي لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع. أو من الأحاديث التي وضعها أساطينـها إغراباً في الدِّين لأجل جذب القلوب، كمـا ورد فـي الحـديث ومعنـاه : (يُفْتَحُ بـالقرآن علـى النـاس حتـى يقـرأه المـرأة والصـبي والرجل، فيقول الرجل قد قرأتُ القرآن فلم أُتبع، لأقومنّ بـه فيـهم لعلي أُتبع، فيقوم فيهم فلا يُتبَع؛ فيقول قد قرأتُ القرآن، وقمتُ بـه فلم أُتبع، لأحتظرنّ في بيتي مسجداً لعلّي أُتبع، فيحتظر فـي بيتـه مسجداً فلا يُتبع، فيقول قد قرأتُ القرآن، وقمتُ بـه، واحتظرتُ فـي بيتـي مسجداً فلم أُتبع، والله لآتينَّهم بحديثٍ لا يجدونـه في كتاب الله، ولم يسمعوه عن رسول الله لعلي أُتبع)[5].

ومنهم فئة اخترعوا عباداتٍ وقرباتٍ لم يأت بها الإسلام، ولا عَهْدَ لـه بهـا إلـى آواخـر القرن الرابع؛ فكأن الله ـ تعالى ـ ترك لنـا ديننا ناقصاً فهم أكملوه، أو كأن الله ـ جلّ شأنّه ـ لم ينـزّل يوم حجّة الوداع : [illegible] [6].

---

(١) الأنعام : ٦٨.
(٢) الإسراء : ٣٦.
(٣) هود : ١١٣.
(٤) النور : ٦٣.
(٥) كذا في الأصل، والصواب : (يُفتَحُ القرآنُ على النـاس ...) سنن الدرامي : المقدمة.
(٦) المائدة : ٣.

أو كأنّ النبي عليه السلام لم يتمّم ـ كما يزعمون ـ تبليغَ رسالته، فهم أتمّوها لنا، أو كتم شيئاً من الدِّين وأسرّ به إلى بعض أصحابه وهم أبو بكر وعلي وبلال رضي الله عنهم، وهؤلاء أسرّوا به إلى غيرهم؛ وهكذا تسلسل حتّى وصل إليهم، فأفشوه لمن أرادوا من المؤمنين، تعالى الله ورسوله عما يأفكون. وهل ليس من الكفر بإجماع الأمّة اعتقاد أنّ النبي عليه السلام نقّص التبليغ، أو كتمَ، أو أسرَّ شيئاً من الدِّين. (مرحى).

ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهواً ولعباً، فجعلوا منه التغنّي والرقص، ونقر الدفوف ودقّ الطبول، ولبس الأخضر والأحمر، واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيّات، يخدعون بذلك البسطاء، ويسترهبون الحمقاء.

ومنهم قوم يعتبرون البلادة سلاحاً، والخمول خيراً، والخبل خشوعاً، والصرع وصولاً، والهذيان عرفاناً، والجنون منتهى المراتب السبع للكمال.

ومنهم خلفاء كهنة العرب، يدّعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل وأحكام النجوم، أو الروحانّي الزايرجة[١]، أو الأبجدات، أو بالنظر في الماء أو السماء والودع، أو باستخدام الجنّ والمردة؛ إلى غير ذلك من صنائع التدليس والإيهام والخزعبلات. وليس العجب انتشار ذلك بين العامّة الذين هم كالأنعام في كلّ الأمم والأقوام، بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواصّ وقليل من العلماء، كأنّه من غريز الكمالات في دين الإسلام. (مرحى).

فهذه[٢] حالات السَّواد الأعظم من الأمّة، وكلّها إمّا شِرْكٌ صراح، أو مظنّات إشراك، حكمها في الحكمة الدينية حكم الشِّرك بلا إشكال، وما جرَّ الأمّة إلى هذه الحالات الجاهلية، وبالتعبير الأصحّ رجع بها إلى الشِّرك الأوّل، إلاّ الميل الطبيعيّ للشِّرك كما سبق بيانه، مع قلّة علماء الدِّين، وتهاون الموجودين في الهدى

---

(١) الزايرجة : من الفارسية : علم أحكام مواقع النجوم، جدول اكتشاف المستقبل، وذكره ابن خلدون كعلم كشف المخبأ، وذكرها الحاج خليفة في (الكشف).

(٢) في الأصل : أفهذه.

والإرشاد.

نعم رَدُّ العامّة عن ميلها أمرٌ غير هيّن، وقد شبّه النبيّ عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله : (مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن، ويغلبنه، فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها)[١].

وقد قال الله ـ تعالى ـ في العلماء المتهاونين عن الإرشاد كيلا يقابلوا الناس بما لا يهوون : ↓ ◗⧹♌□ ✂︎✍︎✎⅄🔔♋︎⇦▫︎♐︎
③♦▤⬁☞🡐☺🡐□♌♦👌♦✍︎ 📖□☼❽♦✌♦ ✂︎✍︎✎✦👌♋︎♊︎⌘
✂︎✍︎📞⧗⬂🖝☝♦🕚🖫🖎 □♦④□⌖⇳✋◱❸↖□♍︎♐︎ 📬⧹○♋︎🕗
♦•⊞□✡✡✍︎ 🔔•🖫♋︎⓿☒🕐 · 📖⬆□🕯📞•🕚✹⟐✗⌨◱ 👌♦✍︎
③♦🕯▫︎📬↗🖫➔□♍︎♐︎ ×⧹❼ 📬🡐⮕↗□☼♋︎♑︎⧹🏳⬄ ◗⧹•·
✂︎✍︎📞☪□✍︎❻♦ ↑[٢] وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي : نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)[٣].

بناء عليه، فالتبعة كلّ التبعة على العلماء الراشدين، ولم يزل ـ والحمد لله ـ في القوس منزع، ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكليّة كما أنذرنا به النبي عليه السلام في قوله : (إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس، ولكن يقبض العلماء، حتّى إذا لم يبقِ عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء، فَسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا)[٤]، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

---

(١) تعليق ط.م : (الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ : " مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها، وهو يذهبُّهن عنها. وأنا آخذ بحجزكم من النار، وأنتم تفلّتون من يدي " أ.هـ) رواه مسلم في كتاب الفضائل، والترمذي في كتاب الأدب، يُنظر ـ أيضاً ـ : البخاري : الرقاق.

(٢) البقرة : ١٧٤.

(٣) تعليق ط.م : (رواه الترمذي، وقال : حسن غريب) أ. هـ. رواه الترمذي وأحمد بن حنبل في مسنده.

(٤) تعليق ط.م : (رواه الشيخان وأصحاب السنن، ماعدا أبو داود، عن عبد الله بن عمرو، ولفظ مسلم : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس، ولكنْ يقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فَسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا " وفي

ثم قال[١] : ولننتقل من بحث الشِّرك والإعراض عن ذكر الله إلى بيان أسباب التشديد في الدِّين، وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون، فأقول :

قد وُجد فينا علماء كان أحدهم يطلّع في الكتاب أو السُّنَّة على أمر أو نهي فيتلقّاه حسب فهمه، ثمّ يعدّي الحكم[٢] إلى أجزاء المأمور به أو المنهيّ عنه، أو إلى دواعيه، أو إلى ما يشاكله ولو من بعض الوجوه، وذلك رغبة منه في أنْ يلتمس لكلّ أمر حكماً شرعياً، فتختلط الأمور في فكره، وتشبَّه عليه الأحكام، ولا سيّما من تعارض الروايات، فيلتزم الأشدَّ، ويأخذ بالأحوط، ويجعله شرعاً، ومنهم مَنْ توسَّع فصار يحمل كلّ ما فعله، أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع والحقّ؛ كما سبق لنا ذكره أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة. ومنهم مَنْ تورّع فصار لا يرى لزوماً لتحقيق معنى الآية، أو للتثبّت في الحديث إذا كان الأمر من فضائل الأعمال، فيأخذ بالأحوط، فيعمل به، فيقع في التشديد، ويظنّ الناس منه ذلك ورعاً وتقوى ومزيد علم واعتناءً بالدين، فيميلون إلى تقليده، ويُرجِّحون فتواه على غيره.

وهكذا بالتمادي عَظُمَ التشديد في الدِّين حتّى صار إصراً وأغلالاً، فكأنّنا لم نقبل ما منَّ الله به علينا من التخفيف، فوضع عنّا ما كان على غيرنا ثقيل التكليف، قال تعالى شأنه وجلّت حكمته : ❼⌧✗ ⬀⌨⬈▤⬂⓿■◘◆⬃ •⬂⬀➔⬀♉ ⬀◆✎◆❑ ⬇ ⬆[٣]. وقال مبشّراً جلّت منّته : ⬇ ❑◆③◆⌧⬈• ⬅♑⬂◆⬉ ⬀⬅ ... ⬆[٤]، أي يخفّف عنهم التكاليف الثقيلة.

البخاري : " من العباد " بدل " من الناس "، وقال : " حتى إذا لم يبق عالم " كما هنا) أ.هـ. والحديث رواه الستة.

(١) يقصد (العالم النجدي) الذي بدأ الحديث في بداية الاجتماع الرابع.

(٢) يعدّي الحكم : يُعَمِّمُهُ.

(٣) الحج : ٧٨.

(٤) الأعراف : ١٥٧.

وعلَّمنا كيف ندعوه بعد أنّ بيّن لنا أنّه : ↓ •• ③⇱▤⬩◘&♉✂←
✂🙰✏✦ ☼⬧⊞⬂❍✧🙰 ❍♋⬩⬪ ❏⇱♏⬄➔⊠♑⊠🙰 ↑[1] فنقول
: ↓ ❻⬧❑✹☼⬧🙰 •• ✍➔⬧⊠✂❀♉⓿⬁☼⬧✏🙰 ❍♋♌
⬧#❍⬁⓾☪⬧🙰✏ 🕮❏❏⬀ 🕮❏⌘⬀⬌⬧⃝☼⬧🙰 🗐
❻⬧❑✹☼⬧🙰 ❏⬧•• ✍⬧⬄☺♉⬁⇱⬧◘■⓾⬂☪⬧🙰✏
❍♋☺⇧❷✻✂ ✍⊠☺⊠🙰 ❍⊠☺⊠◘☜⬧❍←⓿ ⇱⬧✍■❼
✂🙰✏⅄♉⬄⬄☙ ♉⅃♏⬧🙰 ↑[2] وأمرنا بقوله
تعالى : ↓ •• ✍⬧⬄⬂◘➔❏✂☎ ×♋❼ ⓾♉③☪♉⌛➔☠⬀ ↑[3].

وقد ورد في الحديث : (لن يشادّ الدِّين أحد إلاّ غلبة)[4] وفي حديث آخر : (هلك المتنطّعون)[5] أي المتشدّدون في الدِّين. وظنّ بعض الصحابة أنّ تَرْكَ السُّحور أفضل بالنظر إلى حكمة تشريع الصيام، فنهاهم النبيّ عليه السلام عن ظنّ الفضيلة في تَرْكِهِ، وقال عمر، رضي الله عنه، بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَنْ أراد أن يصل النافلة بالفرض (بهذا هلكَ مَنْ قبلكم)، فقال النبي عليه السلام : (أصاب اللهُ بكَ يا ابنَ الخطاب)[6].

وأنكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص[7] التزامَهُ قيامَ الليل وصيامَ النهار واجتنابَ النساء، وقال له : (أرغبتَ عن سُنَّتي) ؟ فقال : بل سُنَّتَكَ أبغي، قال : (فإني أصوم، وأفطر، وأصلي، وأنام، وأنكح النساء، فمَنْ رغب عن سُنَّتي فليسَ منّي)[8]. وقد كان عثمان بن مظعون وأصحابه عزموا على سرد[1]

---

(١) البقرة : ٢٨٦.
(٢) البقرة : ٢٨٦.
(٣) النساء : ١٧٠.
(٤) تعليق ط.م : (رواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ " لن يشادّ هذا الدِّين أحد إلا غلبه، فَسَدِّدُوا وقارِبُوا " ورواه غيره أيضاً) أ. هـ. الحديث مطلعه : " إنَّ هذا الدِّينَ متينٌ " رواه أحمد في مسنده.
(٥) تعليق ط.م : (رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن مسعود) أ.هـ.
(٦) تعليق ط.م : (رواه أبو داود والطبراني والحاكم عن أبي رمثة) أ.هـ. ينظر صحيح مسلم : باب الإيمان.
(٧) تعليق ط.م : (رواه الشيخان وغيرهما بألفاظ مختلفة) أ.هـ. رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن حنبل.
(٨) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب (ت ٢ هـ = ٦٢٤ م) من حكماء العرب في الجاهلية. أسلم، وبالغ في الزهد.

الصوم وقيام الليل والاختصاء، وكانوا حرّموا الفطرَ على أنفسهم ظنّاً أنّه قربة إلى ربّهم، فنهاهم الله عن ذلك لأنّه غلوّ في الدِّين واعتداء عمّا شرّع، فأنزل[٢] : ↓ ③◆⏲❃♁□⑨☙♐□✍
✁✍ ✆ ✌◆⬀✌⬁⬂◆☋☛◻✁☎ ••
✌◆◆☛◆⬄☎⬅ ✂✂⬃☎◆✆✌⬅◐✍ ✁✍
✂✂□⬀✍✁ ✦⬂⬂⬃⬄ ◻◆••
✍✁ ◘⬆⬈♍ • ⬈⬂◆☛◉⑥ ••◆✌⬀❹
✁✍⬃☺←→☞◆⑨☛☜◆ ↑[٣]، أي أنّه لا يحبّ مَن اعتدى حدوده، وما رسمه من اقتصاد في أمور الدِّين.

وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام : (والذي نفسي بيده، ما تركتُ شيئاً يقرّبكم من الجنة، ويباعدكم من النار إلاّ أمرتُكم به، وما تركتُ شيئاً يقرّبكم من النار ويباعدكم عن الجنة إلاّ نهيتكم عنه)[٤]. فإذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد ؟

وورد في حديث البخاري[٥] : (إن أعظم المسلمين جرماً مَنْ سأل عن شيء لم يُحرَّم فَحُرِّمَ من أجل مسألته)[٦]. وبمقتضى هذا الحديث ما أحقّ بعض المحقّقين المتشدّدين بوصف المجرمين ؟

وهذه مسألة السواك مثلاً، فإنه ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فيها أنّه قال : (لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسواك)[٧]. فهذا الحديث مع صراحته في ذاته أنّ السواك لا يتجاوز حدّ الندب،

---

(١) متابعته.

(٢) تعليق ط. م : (أصل الحديث رواه الشيخان وغيرهما، وورد في أسباب النزول) أ.هـ.

(٣) المائدة : ٨٧.

(٤)

(٥) محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ =٨١٠ - ٨٧٠) محدّث، حافظ، فقيه. له (الجامع الصغير) و(الجامع الكبير) وغيرهما.

(٦) تعليق ط.م : (رواه الشافعي وأحمد والشيخان وأبو داود وابن حيان عن سعد بن أبي وقاص، ولفظه " إن أعظم المسلمين جرماً مَنْ سأل عن شيء لم يُحرَّم على الناس " وفي رواية " على المسلمين " فَحُرِّم من أجل مسألته).أ.هـ.رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن حنبل.

(٧) تعليق ط. م : (رواه أحمد والترمذي والضياء عن زيد بن خالد الجهني بزيادة " عند كل صلاة، ولأخرتُ العشاء إلى ثلث الليل" ورواه مالك والشافعي والبيهقي والطبراني في الأوسط عن علي بزيادة " مع كل وضوء " وهو حسن الإسناد).أ.هـ. متفق عليه.

جعلـه الأكثـرون سـنّة، وخصّصــه بعضــهم بعـود الأراك[1]، وعمّـم بعضهم الإصبع وغيرها بشرط عدم الإدماء؛ وفصّل بعضـهم أنّـه إذا قصر عن شبر، وقيل عن فتر، كـان مخالفـاً للسّنّة. وتفنّن آخرون بـأنّ مـن السّـنة أن تكون فتحتـه مقدار نصف الإبهـام ولا يزيـد عن غلظ أصبع؛ وبيّن بعضهم كيفية استعماله فقـال : يسند ببطن رأس الخنصر، ويُمسَك بأصـابع الوسـطى، ويُدعم الإبهـام قائمـاً. وفصّل بعضهم أن يبدأ بإدخاله مبلولاً في الشدق الأيمن، ثمّ يراوحـه ثلاثـاً، ثمّ يتفل، وقيل يتمضمض؛ ثمّ يراوحـه، ويتمضمض ثانيـة، وهكذا يفعل مرة ثالثة.

وبحـث بعضـهم فـي أنّ هـذه المضمضـة هـل تكفـي عـن سـنّة المضمضـة فـي الوضـوء أم لا ؟ ومَـنْ قـال لا تكفـي احـتجّ بنقصـان الغرغرة؛ واختلفوا فـي أوقـات استعماله فـي اليـوم مرّة أو عنـد كلّ وضوء، أو عند تلاوة القـرآن أيضـاً، حتّـى الـبعض صـاروا يتبرّكـون بعود الأراك يُخلِّلـون بـه الفـم يابسـاً، والـبعض يعدّون لـه كثيـراً مـن الخواصّ، منـها أنّه إذا وُضع قائماً يركبه الشيطان؛ والـبعض خـالف فقال: بل إذا أُلقي يورث لمستعمله الجذام، وكثير من العامّة يتوهّم السواك بالأراك من شعائر دين الإسـلام. إلـى غيـر هـذا مـن مباحـث التشديد والتشويش المؤدِّيَيْن إلى التَّرْكِ، علـى عكس مـراد الشـارع عليه السلام من الندب إلى تعهدّ الفم بالتنظيف كيفما كان.

ثـمّ قـال العـالم النجـديّ : هـذا مـا ألهمنـي ربّـي بيانـه فـي هـذا الموضوع، وربّما كان لي فيه سقطات، ولا سيّما في نظـر السـادات الشافعية[2] من الإخوان كالعلاّمة المصريّ والرياضـيّ الكرديّ، لأنّ أغلب العلماء الشافعيّة محسنون الظنّ بِغُلاة الصوفية، ويلتمسـون لهـم الأعـذار، وهـم لا شـكّ أبصـر بهـم مِنّـا معاشـر أهـل الجزيـرة، لفقدانهم بين أظهرنا كليّاً ولندرتهم في سواحلنا؛ ولولا سياحتي فـي

(١) السواكُ يتخذ مـن شـجرة السـواك، وهـي أشـجار مـن الفصـيلة الأراكيـة، تنبـت فـي أوديـة الصحارى، خوارة العود، أوراقها خضر متقابلة، تكسب لبن الماشية التي تأكلها رائحة طيبة، ويُتخذ من أغصانها وجذورها مساويك.

(٢) أتباع المذهب الشافعي الذي أسَّسه الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ــ ٢٠٤ هـ = ٧٦٧ ــ ٨١٩ م).

بلاد مصر والغرب[١]. والروم والشام لما عرفتُ أكثر ما ذكرتُ وأنكرتُ إلاّ عن سماع،ولكنتُ أقربَ لتحسين الظنّ، ولكن ما بعد العيان لتحسين الظنّ مجال، وما بعد الهدى إلاّ الضلال، فنسأل الله تعالى أن يلهمنا سواء السبيل.

فأجابه العلاّمة المصريّ : إنّ أكثر الصوفية من رجال مذهبنا، ونحن معاشرَ الشافعيّة نتأوّل لهم كثيراً ممّا ينكره ظاهر الشرع، ونلتمّس له وجوهاً ولو ضعيفة لأنّنا نرى مؤسّسي التصوف الأوّلين كالجنيد[٢] وابن سبعين[٣] من أحسن المسلمين حالاً وقولاً.

وفيما يلوح لي أنّ منشأ ذلك فينا جملة أمور منها : كون علماء الشافعيّة بعيدين عن الإمامة والسياسة العامّة إلاّ عهداً قصيراً؛ ومنها كون المذهب الشافعيّ مؤسّساً على الأحوط والأكمل في العبادات والمعاملات، أي على العزائم دون الرخص[٤]؛ ومنها كون المذهب مبنياً على مزيد من العناية في النيّات.

بناءً عليه، فالشافعيّ في شغل شاغل بِخُوَيصة[٥] نفسه، وهمّ مستمرّ من جهة دينه، ومحمول على تصحيح النيّات وتحسين الظنون، ومَنْ كان كذلك مَالَ بالطبع إلى الزهد والإعجاب بالزاهدين، وحمل أعمال المتظاهرين بالصلاح على الصحّة والإخلاص، بخلاف العلماء الحنفية : فإنهم من عهد أبي يوسف[٦]

---

(١) أي : المغرب.

(٢) الجنيد هو أبو القاسم محمد البغدادي (ت : ٢٩٨ هـ = ٩١٠ م) صوفي سنّي بغدادي، له طريقة صوفية تُعرف باسم "الجنيدية " امتاز مذهبه بإيثار الصحو على السكر الذي آثره البسطامي وغيره.

(٣) ابن سبعين هو قطب الدِّين بن محمد الإشبيلي (٦١٤ ــ ٦٨٨ هـ = ١٢١٧ ــ ١٢٦٩ م) فيلسوف صوفي، عربي أندلسي، منشئ طريقة السبعينية للتصوف يقول بوحدة الوجود. توفي بمكة. له "ما لابدّ للعارف منه" و"جواب صاحب صقلية" و" رسالة الإحاطة " وغيرها.

(٤) شدة التكليف بعيداً عن التخفيف والتسهيل.

(٥) تصغير خاصّة.

(٦) الحنفية : أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ ــ ١٥٠ هـ ٦٩٩ ــ ٧٦٧ م) القائل بالقياس والرأي. وهو من أصل فارسي.

لم ينقطع تقلّبهم في النظر في[1] الشؤون العامة في عموم آسيا، وكذا المالكية[2] في الغرب[3] وإمارات أفريقيا - والحنابلة[4] والزيديّة في الجزيرة. ومن لوازم السياسة الحزم، وتغليب سوء الظن، وإتقان النقد، والأخذ بالجروح[5]، ومحاكمات الشؤون لأجل العمل بالأسهل الأنسب.

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بأنّهم كانوا، ولازالو بعيدين عن التوسّع في العلوم والفنون، وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة ورأي وعزيمة، وقد ورد قول النبيّ عليه السلام فيهم : (إنّ الشيطان قد آيس أن يعبده المسلمون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش)[6] أي إغراء بعضهم بعض. وكذلك أهل الجزيرة، لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية، فإذا قرؤوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان، فينفرون من التوسع في البحث، ولا يعيرون سمعاً للإشكالات، فلا يحتاجون للتدقيقات والأبحاث التي تُسبّب التشديد والتشويش. وأمّا غيرهم من الأمم الإسلامية فيتلقّون العربية صنعة، ويُقاسون العناء في استخراج المعاني والمفاهيم، ومن طبيعة كلّ كلام في كلّ لغة إذا مخضته الأذهان تعبت، وتشتَّتت فيه الأفهام.

---

(١) أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (ت : ١٨٢ هـ = ٧٩٨ م) من أصل عربي. أخذ عن أبي حنيفة ومالك. اشتغل بالقضاء حتى صار كبير القضاة على عهد الرشيد. له "كتاب الخراج" وغيره.

(٢) المالكية هم أتباع مذهب الإمام عبيد الله مالك بن أنس الأصبحي (٩٣ – ١٧٩ هـ = ٧١١ – ٧٩٥ م).

(٣) المغرب.

(٤) الحنابلة هم أتباع مذهب الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني (١٦٤ – ٢٤١ هـ = ٧٨٠ – ٨٥٥ م) وهو الذي عذّبه المأمون الذي انتصر للمعتزلة من أجل مسألة القول بخلق القرآن.

(٥) الجروح : التشكيك.

(٦) تعليق ط. م : (رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث جابر بلفظ "إن الشيطان قد يئس [وفي رواية أيس] أن يعبده المصلّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم" وعجيب أن لفظ "في الجزيرة العربية" سقط من الجامع الصغير المطبوع، مع أنه مثبت في أصله الجامع الكبير) أ.هـ. والحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وابن حنبل.

وربّما جاز أن يُقال في السادة الشافعيّة، ولا سيّما في علماء مصر منهم، إنَّ انطباعهم على سهولة الانقياد سهّلت أيضاً دخول الفنون الدِّينية المستحدثة عليهم؛ ووداعة أخلاقهم تأبى عليهم إساءة الظنّ ما أمكن تحسينه، فبناءً عليه، حازت هذه الفنون التصوّفية المستحدثة قبولاً عند علماء الشافعيّة الأوّلين، فتبعهم الآخرون.

هذا، وحيث قلنا إنّ من خلق المصريين سهولة الانقياد ولا سيّما للحقّ، وكذلك علماء الشافعية الأكراد كلّهم أهل نظر وتحقيق، فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما يتعلق منها بمظنات الشِّركِ الجالبِ للمقت والضّنْك، ولا شك أنّهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى : [illegible][1]. وقوله تعالى : [illegible][2]. وقوله تعالى : [illegible][3]. وقوله تعالى : [illegible][4]. هذا، وكثير من علماء الشافعية، الأقدمين والمتأخرين؛ المنتصرون للمذهب السلفيّ السّديد[5]

---

(١) النور : ٥١.
(٢) النساء : ٥٩.
(٣) الأنفال : ٢٤.
(٤) الأعراف : ٣.
(٥) السابق على المذهب.

المقاومون للبدع والتشديد؛ والحقّ أنّ التصوُّفَ المتغالى فيه لا تصحّ نسبته لمذهب مخصوص، فهذا الشيخ الجيلي[١] رضي الله عنه حنبلي وصوفي.

قال الأستاذ الرئيس : إن أخانا النجدي يعلم أنّ ما أفاض به علينا لا غبار عليه بالنظر إلى قواعد الدِّين وواقع الحال، وكفى بما استشهد به من الآيات البيّنات براهين دامغة، ولله على عباده الحجّة البالغة. وعبارة التردّد التي ختم به خطابه، يُترَكُ بها الحكم لرأي الجمعية، ما هي إلاّ نزعة مَنْ فَقَدَ حرّيّة الرأي والخطابة. فأرجوه، وأرجو سائرَ الإخوان الكرام أن لا يتهيّبوا في الله لومة لائم، ورأي كلّ منا هو جتهاده وما على المجتهد سبيل. وليعلموا أنّ رائد جمعيّتنا هذه الإخلاص، فالله كافل بنجاحها، وغاية كلّ منّا إعزاز كلمة الله، والله ضامن إعزازه، قال تعالى : ↓ ◑♐♌ ✍⬥☪⬗⬆❸⬉❐✃☎ ✃✍✎⅄ ③⧫☪⬗⬆❸⬀📬⬈☠⬀ ↑[٢].

نعم، هذا النوع من الإرشاد، أعني الانتقاد على الاعتقاد، هو شديد الواقع والصَّدْعَ على التائهين في الوهلة الأولى، لأنّ الآراء الاعتقادية مؤسّسة غالباًعلى الوراثة والتقليد دون الاستدلال والتحقيق، وجارية على التعاند دون التقانع. على أنّ أعضاء جمعيّتنا هذه وكافة علماء الهداية في الأمّة، يشربون ـ والحمد لله ـ من عين واحدة هي عين الحقّ الظاهر الباهر الذي لا يخفى على أحد. فكلّ منهم يختلج في فكره ما يخالج فكر الآخرين عينه أو شبهه، لكنّه يتهَيَّبُ التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلّسين. ويخاف من الانفراد في الانتقاد في زمان فشا فيه الفساد، وعمَّ البلاد والعباد، وقلّ أنصار الحقّ، وكثر التخاذل بين الخلق.

ويسرّني ـ والله ـ ظهور الثمرة الأولى من جمعيّتنا هذه، أعني اطمئنان كلّ منا على إصابة رأيه، واطّلاعه على أنّ له في الآفاق رفاقاً يرون ما يراه، ويسرون مسراه، فيقوى بذلك جنانه، وينطلق

---

(١) تعليق (ط.م) : (عبد القادر الجيلي شافعي المذهب، ثم صار يؤلف ويفتي بمذهب أحمد إحياءً له).أ.هـ.

(٢) محمد : ٧.

لسانه، فيحصل على نشاط وعزم في إعلاء كلمـة الله، ويصبح غير هيّاب لوم اللائمين ولا تحامل الجاهلين. ومن الحكمة استعمال اللين والتـدريج والحـزم والثبـات فـي سياسـة الإرشـاد، كمـا جـرى علـى الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام. وقد بسطتُ ذلك في اجتماعنا الأوّل، وسنلاحظه في قانون الجمعيـة الدائمـة الذي نقرّره إنْ شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسُّنَّة في اجتماعاتنا الآتية، أمّا اليوم فقد انتهى الوقت، وانتصف النهار.

الاجتماع الخامس

(الاستهداء بالكتاب والسنّة)

يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ

في الوقت المعيَّن في اليوم المذكور تَكاملَ الاجتماع، واستعدَّت الهيئة للمداولة والسَّماع، وقرأ كاتبُ الجمعية ضبطَ الجلسة السابقة حسب القاعدة المرعيّة.

قـال الأسـتاذ الـرئيس : سنبحث بعد يـومين فـي وضـع قـانون للجمعيـة الدائمـة، وإنّـي أرى أن نفوّض للجنـة منّـا مـن الـذين سبق لهم دخول في جمعيات علميّـة، أو الـذين لهـم وقـوف علـى مبـاني[١] الجمعيات القانونيّة ولا سيّما الغربية المعروفة باسم (أكاديميـات)[٢] لتـنظّم لنـا هـذه اللجنـة سـانحة[٣] قـانون نضـعها تحـت البحـث فـي الجمعية.

وإنّـي أكلّف لهذه اللجنـة أخانـا السيّد الفراتـي ليقوم بكتابتهـا، وأخانـا السـعيد الإنكليـزي ليفيد اللجنـة عمّـا يعلمـه عن الأكاديميـات

(١) نُظُم.
(٢) لجان تأسيس.
(٣) مبادئ أوليّة أو مسوّدة.

وعن مجربات جمعيّات ليفربول ورأس الرجاء[1]، وإخواننا العلامة المصريّ والصاحب الهنديّ والمدقّق التركيّ[2] وهذا يرأسهم لأنه أسنّهم[3]، وهؤلاء خمسة أعضاء، فهل تستصوب الجمعية ذلك، وترى الكفاية والكفاءة أم تستدرك شيئاً ؟

ثم ابتدر السعيد الإنكليزي للمقال مخاطباً الأستاذ الرئيس فقال: إننا مسلمي (ليفربول) حديثو عهد بالإسلام، ولنا إشكالات مهمّة تتعلق ببحث اليوم، أعني بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنّة، لأن أكثرنا قد اهتدينا - والحمد لله - إلى الإسلامية منتقلين إليها من (البروتستانتية) أي الطائفة الإنجيليّة لا من الكاثوليك أي الطائفة التقليديّة، فنميل طبعاً لاتّباع الكتاب والسنّة فقط، ولا نثق بقول غير معصوم فيما ندين[4]. وقد تركنا دين آبائنا وقومنا لنتّبع دين محمد نبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام، لا لنتبع الحنفيّ أو الشافعيّ أو الحنبليّ أو المالكيّ، وإنْ كانوا ثقاة ناقلين.

ولنا جمعيّة منظمة لها شعبتان في أمريكا وجنوب إفريقيا، ونحن راغبون أن نسعى سعياً حثيثاً في الدعوة للدِّين السامي الإسلامي المبين.والأقوام الذين ندعوهم غالبهم متمدّنون أي أفكارهم متنوّرة بالعلوم والمعارف، وأكبر أملنا بهداية فئتين الأولى من البروتستان والثانية الزنادقة.

أمّا أملنا في البروتستان فلأنّهم منقلبون حديثاً من الكاثوليكيّة انقلاباً ناشئاً عن ترجيحهم الاقتصار على الإنجيل ومجموعة الكتب المقدّسة متوناً فقط، أي بإهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات التي لا يوجد لها أصل صريح في الإنجيل. والبروتستان في أوربّا وأمريكا يزيدون على مائة مليون من النفوس كلّهم مفطورون على التديّن، قليلو العناد في الاعتقاد، مستعدّون لقبول البحث والانقياد للحقّ بشرط ظهوره ظهوراً عقلياً؛ ولا سيّما إذا كان الحقّ ملائماً لأسباب هجرهم الكاثوليكيّة من نحو: إنكارهم الرياسة الدينيّة

(١) رأس الرجاء الصالح.
(٢) هو من تُرْكِ كاشغر لا من أتراك الروم. (ك) أي إنّه لا يُمَثِّلُ العثمانيين، بل هو من أتراك أواسط آسيا.
(٣) أكبرهم سنّاً.
(٤) طرق استنباط الأحكام.

والرهبانيّـة، والتوسّل بالقديسين وطلب الشفاعة منهم، واحترام الصور والتماثيل، والدعاء لأجل الأموات، وبيع الغفران والقول بأن للبطارقة[1] قوّة قدسيّة وقوّة تشريعيّة، وأنّ للبابا[2] صفة العصمة عن الخطأ في الدِّين، وأنّ للأساقفة[3] ومن دونهم القسّيسين[4] مراتب مقدّسة، إلى غير ذلك مما يُنتج في النصرانيّة سلطة دينيّة وتشديدات تعبّديّة لا يوجد لها أصل في الإنجيل.

وقد يشبه هؤلاء البروتستان في رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف باسم القرّائين[5]، وهم الآخذون بأصل التوراة والمزامير[6] النابذون للتلمود، أيّ لتفسيرات ومزيدات الأحبار والحاخامين[7] الأقدمين.

أمّا الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانيّة كليّاً لعدم ملاءمتها للعقل، وهؤلاء في أوربا وأمريكا كذلك يزيدون على مائة مليون من النفوس، غالبهم مستعدون لقبول ديانة تكون معقولة حرّة سمحاء تريحهم من نَصَبِ الكفر في الحياة الحاضرة فضلاً عن العذاب في الآخرة.

ومن غريب نتائج التدقيق : أنّ أفراد هذه الفئة كلّما بَعُدوا عن النصرانيّة نفوراً من شركها وخرافاتها وتشديداتها، يقربون طبعاً من التوحيد والإسلامية وحكمتها وسماحتها.

فبناء على هذه الآمال ترى جمعيّة (ليفربول) أهميّة عظيمة لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنّة، وتصوير حكمة وسماحة الدِّين الإسلامي للعالم المتمدّن. فأرجو حضرة الأستاذ الرئيس أن يسمح لي بتفهّم مسألة الاستهداء على أسلوب المحاورة

(١) البطرك : مقدّم النصارى، ورئيس رؤساء الأساقفة.
(٢) البابا: الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية، وأُطلق أخيراً على رئيس الكنيسة الأرثوذكسية أيضاً.
(٣) الأسقف: لقب ديني لأحبار النصارى، فوق القسيس ودون المطران.
(٤) القس : رئيس من رؤساء النصارى في الدِّين، وهو الآن في مرتبة الأسقف والشمّاس.
(٥) هم اليهود السلفيون.
(٦) مزامير داود : أحد كتب العهد القديم، ويشتمل على /١٥٠ قطعة شعرية تكوّن الأناشيد الدينية الأساسيّة في اليهودية والمسيحية، ويُعزى نَظْمُ كثير منها إلى نبيّ الله داود.
(٧) رُتَبُ يهوديّة. ومعنى الحبر : العالِم.

والمسـاجلة مـع بعـض الإخـوان الأفاضـل فـي هـذا المحفـل العلمـيّ العظيم.

فأجابه الأستاذ الرئيس بقوله : سَاجِلْ مَنْ شئتَ، وخَاطِبْ مَنْ أردتَ، فالإخوان كلّهم علماء أفاضل حكماء.

فقال السعيد الإنكليزي مخاطباً العالم النجديّ : إنّكَ يا مولاي قد صوّرتَ فـي مقدمـة خطابكَ فـي التوحيد مَنْ هو المسلم،وأَلزَمْتَـهُ العملَ بالكتاب والسنّة، فأرجوكَ أنْ تُعرّفني أولاً ما هو الكتاب ؟ وما هي السنّة ؟

فقال العالم النجديّ : أمّا (الكتاب) فهو هذا القرآن الـذي وصـل إلينـا بطريـق لا تحتمـل الشـبهة فيـه لاجتمـاع الكلمـة واتّفـاق الأمّـة عليه، وتناقلها إياه جيلاً عن جيل، وحفظاً في الصدور، وضبطاً فـي السطور، مـع الحـرص العظيم علـى كيفيّـة أدائـه لفظـاً، وعلـى هيئـة إملائه كتابة، ومع الاعتناء الكامل في تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقتـه، ومـع حفـظ اللغـة العربيـة المضـريّة القرشـيّة التـي نـزل بهـا بإتقان لا مزيد عليه. وبقاء القرآن محفوظاً من التحريف والتغيير وموجبات الريب إلى الآن هو أحد وجوه إعجازه، حيث جاء مصدّقاً لقولـــه تعـــالى فيـــه :⍗ ◑☯✡✸🙘 ✞⧫♦⧄♊🡐 ☼⧫❽☐⌂⧄☪◆🙘
✂🙘✍🔔♏♉✍⧄❷◆ ☐◆◑♉✡✸🙘 ⌂⧫❍🡐➀
🖫❍◆⧫✇⊞♉➔⬤☐♌⧫ ↑[1].

أمّـا (السّـنة) فهـي مـا قالـه الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام، أو فَعَلَـهُ أو أقـرَّهُ، ولـم يكـن صـدر منـه ذلـك علـى سـبيل الاختصـاص أو الحكايـــة أو العـــادة؛ وقـــد اعتنـــى الصـــحابة، ولا ســـيّما التـــابعون وتـابعوهم رضـي الله عنـهم، بحفـظ السنّـة حديثِهَا وآثارِهـا وسيرِهـا غايـــة الاعتنـــاء؛ وتناقلوهـــا بالروايـــة والســـند المتسلســـل متحـــرّين الوثوق منتهى مراتب التحرّي وثوقـاً تامـاً وقبـولاً عامّـاً فـي الأمّـة، فوصلتنا بكمال الضبط خصوصاً منها الكتب الستّة[2].

---

(١) الحجر : ٩.

(٢) الكتب الجامعة للحديث النبويّ الشريف وهي : صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، جامع الترمذي، سنن ابن ماجة، سنن النسائي.

قال السعيد الإنكليزي : لايشكّ أحد حتّى العدو والمعاند في أنّه لم تبلغ أمّة من الأمم شَأْوَ المسلمين في اعتنائهم بحفظ القرآن الكريم وضبطهم التاريخ النبويّ أو السنّة، وكذلك يُقال في اعتنائهم باللغة العربيّة التي هي آلة فهم الخطاب.

وبالنظر إلى ذلك كان يجب أن نُحرِّر الشريعة الإسلاميّة أحسن تحرير، فلا يوجد فيها ما وُجِدَ في غيرها بسبب عدم ضبط أصولها من اختلاف ومباينات مهمّة بين العلماء الأئمة، فأرجوكَ أنْ تُبَيِّنَ لي ما هو منشأ هذا التشتّت الذي نراه في الأحكام.

أجابه العالم النجديّ : إنّ الاختلافات الموجودة في الشريعة ليست كما يُظَنُّ شاملة للأصول، بل أصول الدِّين كلّها والبعض من الفروع متّفق عليها لأن لها في القرآن أو السنّة أحكاماً صريحة قطعيّة الثبوت، قطعيّة الدلالة، أو ثابتة بإجماع الأمّة الذي لا يجوز العقل فيه أن يكون عن غير أصل في الشرع[١].

أمّا الخلافات فإنّما هي فروع تلك الأصول وفي بعض الأحكام التي ليس لها في القرآن أو السنة نصوص صريحة، بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومَنْ جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الأحكام التي تخالفوا فيها إمّا تلقيّاً من بعض الصحابة، فكلّ قلّد مَنْ صادف[٢]؛ وإمّا استنبطوها اجتهاداً من نصوص الكتاب أو السنّة بالمدلول المحتمل، أو بالمفهوم أو بالاقتصاد، أو من قرائن الحال أو قرائن المقال، أو بالتوفيق أو بالتخريج أو بالتفريع أو بالقياس، أو باتحاد العلّة أو باتحاد النتيجة أو بالتأويل أو الاستحسان. وهذه الأحكام الخلافية كلها ترجع إلى دلائل إمّا قطعية الثبوت ظنية الدلالة، أو ظنية الثبوت ظنّية الدلالة.

---

(١) تعليق ط.م : (هذا القول غير مسلم به، إذ لا يجوز العقل أن يقول المجتهدون في زمن من الأزمان قولاً مبنيّاً على خطأ في الاجتهاد، لا سيّما إذا كانوا قليلي العدد، كما هو الواقع بعد الصدر الأوّل. وقد حصل هذا في جميع الملل، والذي لا يجوزه العقل هو الذي لا يمكن أن يقع) . ا . هـ.

(٢) تعليق ط. م : (وهذا أيضاً غير صحيح، فإن هؤلاء الأئمة ما كانوا مقلّدين للصحابة). ا. هـ.

ولكلّ واحد من المجتهدين أصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر، ومنشأ معظمها الخلافات النحويّة والبيانيّة.

ثمّ إن أكثر الخلافات هي في مسائل المعاملات، وعلى كلّ حالٍ جاحِدُها لا يُكفَّر باتّفاق الأئمة، بل المتخالفون لا يفسق بعضهم بعضاً إذا كان التخالف عن اجتهاد لا عن هوى نفس أو تقصير في التتبّع الممكن للمقيم في دار الإسلام. (مرحى).

قال السعيد الانكليزي : إني أشكركَ على ما أجملتَ، وأوضحتَ، غير أنّك لم تذكر في جملة أسباب الاختلاف في اعتبار الناسخ والمنسوخ[1] بين آيتين أو حديثين، أو آية وحديث، وإني أظن أن ذلك من أعظم أسباب الاختلاف في الأحكام.

أجابه العالم النجدي : إن نواسخ الأحكام قليلة ومعلومة، والخلاف فيها أقل، لأن النسخ في زمن التشريع لم يحصل إلا عن حكمة ظاهرة كالتدريج في منع السكر حالة الصلاة ثم تعميم منعه. وكتغيير المقتضى للتوارث بالإخاء وهو القطيعة التي حصلت بين المهاجرين وذوي أرحامهم في بدء الأمر، ثم لما تلاحقوا بعد فتح مكّة نُسخ ذلك، وجُعل التوارثُ بالنسب. وكالدعوة في الأوّل للتوحيد والدِّين بمجرد الموعظة بدون جدال، ثم به بدون صدع، ثم به بدون قتال، ثم به في أهل جزيرة العرب فقط[2] ثم بتعميمه مع قبول الجزية والخراج من غيرهم. (مرحى).

قال السعيد الإنكليزي : إنّ ما وصفتَ من أصول الاجتهاد وقوانين استنباط الأحكام قد أنتجَ خلافَ ما يأمر الله به في قوله تعالى : ↓ 🕮❑🔔♎⑩☺↖❑✂☎ ✂👓✏👓♏♎⇦×♦ ❑◆•• ✍•☝♦⊞▩☒❷▪🔔➔❑✂☎ ▫♎⑩○♎ ↑[3]، وخلاف ما تقتضيه الحكمة، فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرّق؟

(١) الآيات التي أزال الله حكمها.

(٢) شرع الإسلام أو السيف خاص بأهل جزيرة العرب بقصد إحكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنسية، لا كما يتوهم الطاعنون في الإسلامية أنها لم تقم إلا بالسيف. (ك) تعليق ط. م (ما ذكره في الدعوة وفي تحريم الخمر ليس من النسخ في شيء) . ا. هـ.

(٣) الشورى : ١٣

أجابه العالم النجدي : إني لا أهتدي لذلك سبيلاً[١] ولعلّ في الإخوان مَنْ يتصوّر وسيلة لهذا الأمر المهم.

فابتدر العلاّمة المصري مخاطباً السعيد الإنكليزي، وقال : إنّ رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً، ولكنْ، يمكن تخفيف تأثيراته. وذلك أنّه لما كان معظم الاختلاف كما قرّره أخونا العالم النجدي في الفروع دون الأصول، وفي السنن والمندوبات والصغائر والمكروهات دون الشعائر والواجبات والكبائر والمنكرات؛ وكان أكثر الأمة هم العامّة الذين لا يقدرون أن يُميِّزوا بين الواجب[٢] و السنّة[٣] والمندوب[٤] وبين النفل[٥] والمباح[٦]؛ أو يُفرِّقوا بين الكفر والحرام، وبين الكبيرة والصغيرة والمكروه تنزيهاً والتقوى؛ بل تنقسم الأحكام كلّها في نظرهم إلى نوعين أصليين فقط : مطلوب ومحظور، وبتعبير آخر إلى حلال وحرام، وكانت أحكام الشريعة كثيرة جداً، فالعامة يجدون أنفسهم مكلّفين بما لا يطيقون الإحاطة بمعرفته فضلاً عن القيام به، ويرون أنْ لا مناص لهم من التهاون في أكثره أو بعضه، فيقوم أحدهم بالبعض دون البعض، فيأتي بالنفل، ويتهاون بالواجب، ويتّقي المكروه، ويقدم على الحرام، وذلك كما قلنا لاستكثاره الأحكام وجهله بمراتبها في التقديم والتأخير[٧].

بناءً على ذلك، أرى لو أنَّ فقهاء الأمة ـ كما فرّقوا مراتب الأحكام على المسائل ـ يُفرّقون المسائل أيضاً على مراتب في متون مخصوصة؛ فيعقدون لكلّ مذهب كتاباً في العبادات ينقسم إلى أبواب

---

(١) الأديان والمذاهب كلّها مصابة بالانشقاق، فهذه البرتستانية، في ظرف مائتي سنة تفرقت إلى ما يزيد على مائتي فرقة، وهذه أحكام الأحوال الشخصية من نكاح ونحوه في النصرانية مختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كلّ كنيسة اختلافا لا يُهتدي معه إلى نتيجة. (ك).

(٢) في عرف الفقهاء : ما ثبت وجوبه بدليل فيه شبهة العدم، كخبر الواحد، وهو ما يثاب بفعله، ويُعاقَبُ على تركه، يُضلّل جاحده، ولا يُكَفَّرُ به.

(٣) ما استنه النبي من طريقة يُشَرَّعُ بها بقول أو فعل.

(٤) في الشرع : المستحب.

(٥) ما شُرِّعَ زيادة على الفريضة والواجب.

(٦) الإباحة (عند الأصوليين) حكم يقتضي التخيير بين الفعل والترك.

(٧) كالأتراك يهتمون بالسُّنَنِ والمكروهات أكثر من الواجبات والمنهيات. (ك). واو العطف سقطت من حواشي النسخ القديمة جميعها.

وفصول تُذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط، وتنطوي ضمنها الشرائط والأركان بحيث يُقالُ إنَّ هذه الأحكام في هذه المذاهب هي أقل ما تجوز به العبادات.

و يعقدون كتاباً آخر ينقسم إلى عين تلك الأبواب والفصول، تُذكر فيها السُّنَنُ بحيث يُقال إنَّ هذه الأحكام ينبغي رعايتها في أكثر الأوقات.

ثم كتاباً ثالثاً مثل الأوّلَين تُذكر فيه سنن الزوائد، بحيث يُقال إنَّ هذه الأحكام رعايتها أولى من تركها.

وعلى هذا النسقِ يوضع كتاب للمنهيّات، يُقسَّمُ إلى أبواب وفصول تُعَدُّ فيها المكفرات والكبائر، وكذا الصغائر والمكروهات، ومثل ذلك تُقَسَّمُ كتب المعاملات على طبقات من الأحكام الإجماعية أو الاجتهاديّة أو الاستحسانيّة.

فبمثل هذا الترتيب يسهل على كلّ من العامة أن يعرف ما هو مُكلَّف به في دينه، فيعمل به على حسب مراتبه وإمكانه، وبهذه الصورة تظهر سماحة الدِّين الحنيف، ويصير المسلم مطمئن القلب، مثله كمثل تاجر له دفاتر وقيود وحسابات وموازنات منتظمة فيعيش مطمئنّ الفكر. وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في أوراق منتثرة ومعاملاته مشتّتة متزاحمة في فكره، لا يعرف ما له وما عليه، فيعيش عمره مرتبك البال مضطرب الحال. (مرحى).

قال المحدّث اليمني : إننا معاشرَ أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة، كما أننا لم نزل بعيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدِّين، بعيدين عن التفنن فيه. ومسلكنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يُخرِجُ الأحكام على أصول اجتهاد الإمام زيد بن علي بن زين العابدين، أو أصول الإمام أحمد بن حنبل[1]. وإنّي أذكر للإخوان حالتنا الاستهدائيّة عسى أنّ الذكرى تنفع المؤمنين؛ وعسى أن يعلم المسلمون ولا سيّما الأتراك ومَنْ يحكمون أننا من أهل السنّة، لا كما يوهمون أو يتوهّمون، فأقول إنّ المسلمين عندنا على ثلاث مراتب : العلماء والقرّاء والعامة.

---

(١) يذكر هنا أن المذهب الشافعي منتشر في اليمن أكثر من المذهب الحنبلي، وكذلك الفرقة الزيديّة الشيعيّة.

فالطبقة الأولى : العلماء، وهم كل مَنْ كان مُتّصفاً بخمس صفات :

١ ـ أن يكون عارفاً باللغة العربيّة المضريّة القرشيّة بالتعلّم والمزاولة معرفة كافية لفهم الخطاب، لا معرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها وبقواعد الصرف وشواذّه، والنحو وتفصيلاته، والبيان وخلافاته، والبديع وتكلفاته، مما لا يتيسر إتقانه إلاّ لمن يفني ثلثي عمره فيه، مع أنّه لا طائل تحته ولا لزوم لأكثره إلاّ لمن أراد الأدب.

٢ ـ أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه، مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدوّنة المأخوذة من السنّة والآثار وتفاسير الرسول عليه السلام، أو تفاسير أصحابه عليهم الرضوان، ومن المعلوم أنّ آيات الأحكام لا تجاوز المائة والخمسين آية عدّاً[١].

٣ ـ أن يكون متضلعاً في السنّة النبوية المدّونة على عهد التابعين وتابعيهم، أو تابعي تابعيهم فقط، بدون قيد بمائة ألف أو مائتي ألف حديث، بل يكفيه ما كفى مالكاً في موطئه[٢] وأحمداً في مسنده[٣] ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لا تجاوز الألف وخمسمائة حديث أبداً[٤].

٤ ـ أن يكون واسع الاطّلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأحوالهم من كتب السير القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي[٥]و ابن كثير[١] ومَنْ قبلهم،

---

(١) وقد أحاط بها التفسير الأحمدي الهندي.ا . هـ

والتفسير الأحمدي الهندي وضعه أحمد خان بن السيّد محمد تقي خان (١٨١٧-١٨٩٨م) هو تفسير استلهم روح القرآن الكريم من دون التقيّد بحرفيته.

(٢) يقصد كتاب " الموّطأ " لمالك بن أنس، وهو كتاب جمع فيه أحاديث نبوية شريفة.

(٣) يقصد كتاب" المسند " لأحمد بن حنبل، وهو كتاب جمع فيه أحاديث نبوية شريفة.

(٤) وقد أحاط بها الإمام الشوكاني اليمني. (ك). تعليق ط. م (لعل المؤلف يشير إلى كتاب الأخبار الذي شرحه الشوكاني).ا . هـ.

(٥) الحافظ الذهبي، هو محمد بن أحمد (٦٧٣-٧٤٩هـ = ١٢٧٤ _ ١٣٤٨ م) مؤرخ ومحقق تركماني الأصل. له : (دول الإسلام) وسواه.

وكـابن جريـر[٢] وابـن قتيبـة[٣] ومَـنْ قـبلهم كمالـك[٤] والزهـري[٥] وأضرابـهم.

أن يكـون صـاحب عقـل سليم فطـري لـم يفسـد ذهنـه بـالمنطق والجــــدل التعليميــــين[٦] والفلســـــفة اليونـانيــــة والإلهيــــات الفيثاغورســـية[٧]، وبأبحــاث الكــلام وعقائــد الحكمــاء ونزعــات المعتزلة، وإغرابات الصوفيــة وتشديدات الخـوارج[٨]، وتخريجات الفقهـاء المتـأخرين، وحشـويات الموسوسـين، وتزويقـات المـرائين وتحريفات المدلّسين. (مرحى).

فأهـل هـذه الطبقــة يسـتهدون بأنفسـهم، ولا يقلّـدون إلا بعـد الوقوف على دليل مَنْ يُقلِّدون، فإذا وجدوا فـي المسـألة قرآنـاً ناطقاً لا يتحوَّلـون عنـه لغيـره مطلقـاً، وإذا كـان القـرآن محـتملاً لوجـوه، فالسنَّة قاضية عليه مُفسِّرة لـه. ثم ما لم يجدوه في كتـاب الله أخذوه من صحيح سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كـان الحـديث مستفيضاً أم غير مستفيض، عمل بـه أكثـر مـن واحـد مـن الصـحابة المجتهدين أم لم يعمل إلا واحد فقط، ومتى كـان فـي المسـألة حديث صحيح لا يعدلون عنـه إلـى اجتهـاد. ثـم إذا لـم يجـدوا فـي المسـألة

---

(١) عماد الدِّين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت : ٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م) لـه : (البداية والنهاية) في التاريخ و (تفسير القرآن العظيم).

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١١ هـ = ٨٣٨ ـ ٩٢٣ م) مؤرخ ومفسر وفقيه. له " أخبار الرسل والملوك " وسواه.

(٣) ابـن قتيبــة : عبـد الله مسـلم بـن قتيبــة (ت : ٢١٥ هـ ـ ٧٤٢ م) مؤلـف لغـوي ودينــي وتاريخي،له (أدب الكاتب) و(غريب القرآن) وسواهما.

(٤) هو مؤسس المذهب المالكي السُّني، وقد سبق ترجمته.

(٥) الزهري : محمد بن مسلم الزهري (ت: ٢١٥ هـ = ٧٤٤) محدث شـهير، لـه كتـاب واحد هو (كتاب نسب قوم).

(٦) قد حقَّقَ الغربيون أن لاثمـرة مـن المنطق كليـاً، فـأهملوه، مـع أنـهم يعتنـون بالبحـث عن وسائط تفاهم العجماوات. (ك).

٧ نسبة إلى فيثاغورس (٥٨٢-٥٠٧ ق.م) فيلسوف يوناني يؤمن بتناسخ الأرواح، وضرورة الحيـاة المطهرة من الشـهوة، ورأى أن جوهر الأشـياء هو العدد، ولـه نظريـة هندسـية مدوّنـة باسمه. فيما بعد نشطت حركة فيثاغورثية فلسفية دينية بالإسكندرية، واختلطت بعناصر دخيلـة من تصوّف الشرق وعقائده.

٨ الخوارج : فرقة سياسية ودينية، ثـارت على عثمـان بن عفـان، ورفضت مبدأ التحكيم بين علي ومعاوية، وثارت على الأمويين والعباسيين. رفض أصحابها مبدأ وراثة الحكم.

حديثاً يأخذون بإجماع علماء الصحابة، ثم بقول جماعة من الصحابة والتابعين، ولايتقيدون بقوم دون قوم. فإنْ وجدوا مسألة يستوي فيها قولان رجّحوا أحدهما بمرجح يقوم في الفكر، لا يتبعون فيه أصولاً موضوعة غير مشروعة، أو طرقاً مقرّرة غير مرفوعة. وأهل هذه الطبقة عندنا ينوّرون أذهانهم بأصول استدلالات الإمام زيد[١] رضي الله عنه أو غيره من الأئمة في تخريجهم الأحكام واستنباطها من النصوص بدون تقيّد بتقليد أحدهم خاصة دون غيره. لأنهم لا يجوِّزون اتبّاع إمام إذا رأوا ما ذهب إليه في المسألة بعيداً عن الصواب، فلا يُقلّدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبيّ مرسل.

والطبقة الثانية هم : القرّاء، وهم الذين يقرؤون كتاب الله تعالى قراءة فهم بالإجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء يستهدون في أصول الدِّين بأنفسهم لأنها مبنية غالباً على قرآن ناطق أو سنة صريحة، أو إجماع عام مفسّر لغير الناطق والصريح.

و أما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند المستهدي من الأقدمين أو المعاصرين، بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر، مع سماع الدليل والميل إلى قبوله كما كان عليه جمهور المسلمين قبل وجود التعصب للمذاهب.

والطبقة الثالثة هم : العامّة، وهؤلاء يهديهم العلماء مع بيان الدليل بقصد الإقناع، فالعلماء عندنا لا يجسرون على أن يفتوا في مسألة مطلقاً ما لم يذكروا معها دليلها من الكتاب والسنّة أو الإجماع، حتى ولو كان المستفتي أعجمياً أمياً لا يفهم ما الدليل، وطريقتهم هذه هي طريقة الصحابة كافّة والتابعين عامّة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأوّلين من أهل القرون الأربعة أجمعين. (مرحى).

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبنيّ على مقاصد مهمّة أعظمها تضييق دائرة الجراءة على الإفتاء بدون علم، وفي هذا التضييق

---

(١) زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت٧٤٠) يُنسب إليه المذهب الزيدي. كان عالماً ورعاً وشجاعاً. استشهد في الكوفة بالعراق.

على العلماء توسعة على المسلمين وسدّاً لباب التشديد في الدِّين والتشويش على القاصرين، ولهذه الحكمة البالغة بالغَ اللهُ ورسولُهُ في النكير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقليد.

فالعالم عندنا لا يستطيع أن يجيب إلاّ عن بعض ما يُسأل، ولا يأنف أن يقف عند (لا أدري) بل يحذر، ويخاف من غشّ السائل وتغريره إذا أجابه بأنّ فلاناً المجتهد يقول إن الله أحلّ كذا أو حرّم كذا، لأنّ السائل لا يعلم ما يعلم هو من أنّ هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم كثيراً ما يخالف في قوله مَنْ هو أفضل منه من الصحابة والتابعين، ومن أنّه يتردَّدُ في رأيه وحكمه كم اجتهد، وكم رجع، ومن أن أكثر دلائله أمّا ظنيّة الثبوت أو ظنيّة الدلالة أو ظنّيتهما، ومن أنّه لم يُدوِّن ما قاله، ولكنْ، نقله عنه الناقلون، وكم اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات.وكم زيّف أصحابُهُ اجتهادَهُ، ورأوا غيرَ ما رآه، ومن أنّه - أي المجتهد - إنّما اجتهد لنفسه، وبلغ عذره عند ربّه، وصرَّحَ بعدم جواز أن يتبعه أحد فيما اجتهد، وتبرّأ من تبعة الخطأ.

فهذا (الإمام مالك) رضي الله عنه يقول : (ما مِنْ أحدٍ إلاّ وهو مأخوذٌ من كلامه، ومردودٌ عليه إلاّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم).

ونقل المؤرخون أنّ المنصور[١] لمّا حجّ واجتمع بمالك أراده على الذهاب معه ليحمل الناس على (الموطأ) كما حمل عثمان الناس على المصحف، فقال مالك: لا سبيل إلى ذلك، لأن الصحابة افترقوا بعد وفاة النبيّ عليه الصلاة والسلام في الأمصار، يريد أنّ السنّة ليست بمجموعة في موطئه الذي جمع فيه مرويّات أهل المدينة.

وحُكي في (اليواقيت والجواهر)[٢] أنّ (أبا حنيفة) رضي الله عنه كان يقول: (لا ينبغي بِمَنْ لا يعرف دليلي أن يأخذ بكلامي).

---

(١) المنصور : أبو جعفر بن عبد الله المنصور (٩٥- ١٥٩هـ = ٧١٤-٧٧٥م) ثاني خلفاء بني العباس. حكم من (١٣٧-١٥٩ هـ = ٧٥٤-٧٧٥ م)وهو المؤسس الفعلي للدولة العباسيّة. أسس بغداد (دار السلام).

(٢) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني. وهو كتاب في عقيدة أهل الكشف والتصوف.

وكان إذا أفتى يقول : (هذا رأي النعمان ابن ثابت، يعني نفسه، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمَنْ جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب).
وروى الحاكم البيهقي[1] أنّ (الشافعي) رضي الله عنه كان يقول : إذا صحّ الحديث فهو مذهبي، وفي رواية إذا رأيتُم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث، واضربوا بكلامي عرض الحائط. وأنّه قال يوماً للمزني[2]: يا إبراهيم لا تقلّدني فيما أقول، وانظر في ذلك لنفسك، فإنّه دين. وكان يقول : لا حجّة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلّم.
ويُروى عن (أحمد بن حنبل) رضي الله عنه أنّه رأى بعضهم يكتب كلامه، فأنكر عليه، وقال » تكتب رأياً لعلّي أرجع عنه «. وكان يقول : »وليس لأحد مع الله ورسوله كلام « وقال لرجل » لا تقلّدني، ولا تقلّدن مالكاً، ولا الأوزاعي[3] ولا الحنفي ولا غيرهم، وخُذِ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنّة« وأسَّس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأي واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد.
ونقل الثقاة أن سفيان الثوري[4] رضي الله عنه لمّا مرض مرض الموت دعا بكتبه فغرَّقها جميعها.
ورُوي عن أبي يوسف وزفر[5] رحمهما الله تعالى أنّهما كانا يقولان لا يحلّ لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا. وقيل لبعض أصحاب أبي حنيفة : إنّك تكثر الاختلاف إلى أبي حنيفة، فقال

---

(١) الحاكم البيهقي : أحمد بن علي أبو جعفر البيهقي (٤٧٠ ـ٥٤٥ هـ = ١٠٧٧-١١٥٠ م) لغوي، وُلد ومات بنيسابور. له (المحيط بلغات القرآن)و(تاج المصادر) وغيرهما.
(٢) المزني : (؟) إسماعيل بن يحيى (١٧٥-٢٦٤هـ = ٧٩١-٨٧٨ م) تلميذ الشافعي وناشر مذهبه. تُوفي في مصر. له (المختصر) وفيه خلاصة الفقه الشافعي مع بعض الزيادات.
(٣) الأوزاعي : عبد الرحمن الأوزاعي (٨٨- ١٥٧هـ = ٧٠٧-٧٧٤ م) وُلد في بعلبك، وتُوفي في بيروت. من أئمة الفقه في الإسلام. له كتاب (السُّنن) وكتاب (المسائل).
(٤) سفيان الثوري : أبو عبد الله (ت ١٦١ هـ = ٧٧٨م) مُحَدِّثٌ، من الأئمة المجتهدين. وُلد في الكوفة، وتُوفي في البصرة. أثار اجتهاده جدلاً في عصره، له (الجامع الكبير) و(الفرائض) وغيرهما.
(٥) زفر : محمد بن الحسن الشيباني المعروف بزفر بن الهذيل (١٣٢- ١٨٩ = ٧٤٩-٨٠٤ م) كان يلازم الإمام أبا حنيفة، ويأخذ عنه.

: لأنه أُوتيَ من الفهم مالم نؤتَ، فأدركَ مالم ندركْ،ولا يسعنا أن نفتي بقوله ما لم نفهم دليله، ونقتنع. (مرحى).

ثم قال : أيّها الإخوان الكرام قد أطلّتُ المقال فاعذروني، فإنّي من قوم ألفوا ذكر الدليل، وإنْ كان معروفاً مشهوراً، وقد ذكرتُ طريقة علماء العرب في الجزيرة منّوهاً بفضلها لا بفضلهم على غيرهم، كلا، بل غالب علماء سائر الجهات أحدّ ذهناً وأدقّ نظراً وأغزر مادّة وأوسع علماً، ولذلك لم نزل نحن في تعجّب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحّرين في أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسدّ باب الاجتهاد.

نعم، لم يبق في الإمكان أن يأتي الزمان بأمثال ابن عمر[1] وابن العباس[2]، أو النخعي[3] وداود.أو سفيان ومالك، أو زيد وجعفر[4]، أو النعمان والشافعي، أو أحمد والبخاري رضي الله عنهم أجمعين، ولكنْ، متى كلّف الله تعالى عباده بدين لا يفقهه إلاّ أمثال هؤلاء النوابغ العظام ؟ أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه : ↓ ◗✡✡✱✡ ✍ ♉⌧➔⌧◙▫✡♦◷○← ⍝➔❷⬀⬁◆☐✡⏲✍ ⬉♦❷◆✍⓿♦✍ ◉♑⅄➔⌧◙✲⌛➔☠⬀ ✍♦➔⬃◑☞◙➔☐♍☙ ↑ ؟[5]

وقال تعالى :↓ ✍✍♦◷◙✍ ▫➔◷♉⬀✲■✱❍⇳ ⬀◆✂③♦◷♦←○←◑ ⍝➔❷⬀⬁◆✂✡⏲✍ ⬉♦❷◆✍⓿♦✍ ↑[6] وقال تعالى :↓ ☐♦♑♦◑♦⑨⇳ ④☐⓿♒❸⬀✡♦✍ ✂✍♑♒◑➔❷⬀⬁◆✂♌♦ ♑♒♏✂♏✍✍✍❷✍▫♦♑⌧✍⬀ ↑[7] وقال تعالى: ↓ ☐◆♑♦◑♦⑨⇳ ✍♊✍♑✍⑨●✍✍♑♒ ☐☐✡❽◆♑♒⊠✡✍◆✍✎ ◑✍♑♒⓿⊠✍⌧ ⬀◆✂③♦◷✱❍◉ ✍◆④✲☞✡♦◷✱❍▭ ↑[8].وقال تعالى : ↓ ☐☐▫♦⊠♦

---

(١) هو الصحابي عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٠ق.هـ – ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢ م).

(٢) هو الصحابي عبد الله بن العباس (ت ٨٧١ هـ = ت ١٤٦٧ م) من الفقهاء الذين رُوي عنهم تفسير القرآن.

(٣) النخعي : هنالك تسع شخصيّات تُكنّى بالنخعي، ومن الصعب معرفة المقصود.

(٤) جعفر الصادق : هو رئيس الشيعة الإماميّة (٨١-١٤٨ = ٧٠٠ _ ٧٦٥ م)

(٥) الزخرف : ٣ .

(٦) فصّلت : ٣ .

(٧) القمر : ١٧- ٢٢-٣٢ - ٤٠ .

(٨) البقرة : ٩٩ .

③♦☞♦⑨⊠🖃✸❷⬉❑♌♦ ✂🙣🙡⍉◑➔❷⬀⬈◆✂♌♦ ↑ [1] فما معنى دعوى العجز والتمثل بِمَنْ قالوا : ↓ 🕭➔🖬➔❑🖃←✡⬧🙣 ⬊⬈🖬▫✂🖮 ↑[2]، حمانا الله تعالى. (مرحى).

أمّا السنة النبويّة أفلم تصل إلينا مجموعة مدوّنة بهمّة أئمة الحديث جزاهم الله خيراً، الذين جابوا الأقطار والبلاد التي تفرّق إليها الصحابة رضي الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودوّنوها، وسهّلوا الإحاطة بها بما لم يتسهّل الوقوف عليه لغير أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام ؟

وكذا يُقالُ في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن والسنّة، فإن علماء التابعين وتابعيهم والنّاسجين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهداً في ضبطها وبيانها.

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأوّلون علّمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد، والاستنباط والتخريج والتفريع، وقياس النظير على النظير، فهم أرشدونا إلى الاستهداء وما أحدٌ منهم دعانا إلى الاقتداء به مطلقاً.(مرحى).

ثم أننا إذا أردنا أن نُدقِّقَ النظر في مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام لا نجد فيهم علماً وهبيّاً أو كسبيّاً خارقاً للعادة، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله، وهو أغزرهم مادّة وأوّلُ مَنْ وضع أصولاً لفقهه، نجده قد أسَّس مذهبه على اللغة فقط من حيث المشترك والمتباين والمترادف، والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء، والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع، والعطف المرتّب وغير المرتّب والفور والتراخي، والحروف ومعانيها إلى قواعد أخرى لا تخرج عن علم اللغة. واتّبعَ أبو حنيفة في إدخاله في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل : دلالة المطابقة، والتضمّن والالتزام، ومعرفة الجنس واللون والنوع والفصل والخاصة والعرض، والمقدّمتين والنتيجة والقياس المنتج. وأتبعه أيضاً في قياس ما لم يرد فيه قرآن أو حديث على ما ورد

---

(١) النساء : ٨٢ .

(٢) البقرة : ٨٨ .

فيه؛ وهكذا فتح كلّ أولئك الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً، فجاء أتباعهم ومدّوا الأطناب، وأكثروا من الأبواب، وتفنّنوا في الأشكال وتنويع الأحكام، وأحدثوا علميّ الأصول والكلام. وهذا التوسيع كلّه ليس من ضروريات الدِّين، بل ضرره أكثر من نفعه، وما أشبه الأمور الدينيّة بالأمور المعاشيّة؛ كلما زاد التأنّق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة سُلبت الراحة.

والقول الذي فيه فصل الخطاب : إن الله سبحانه وله الحكم لم يرض منّا أن نتبع إلاّ علم الأفضل، بل كُلِّفنا بأن نستهدي من كتابه وسنّة رسوله على حسب إمكاننا وطاقاتنا وهو يرضى منّا بجهدنا حيث قال تعالى :↓ •• ③↖▤⬧◘&✍⬧✂← ✂✍✏✦ ☼⬧♦▦⬂○✧✍ ◑⧫⬧• ◻↖⧫⇔➔⊠♑⊠✍ ↑[1] فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل.

قال الأستاذ الرئيس : إنّي أحمد الله على توفيقه إيّانا إلى هذا الاجتماع المبارك، الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن حالة إخواننا وأهل ديننا في البلاد المتباعدة. ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئاً إلاّ من السوّاح الغرباء الجهلاء الذين لا يعرفون ما يصفون؛ أو من أهل السياسة والعلماء المتشيعين لهم، الذين ربما يموهون الحقّ بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف. (مرحى).

ثم قال : هذا، واليوم قد انسحب ذيل الظلّ، وقرب الزوال، وآذن لنا الوقت بالانصراف.

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .

الاجتماع السادس
(التصوّف والتقليد وطرق رفع الاختلاف)
يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ.

في الضحى الأوّل من اليوم المذكور تألّفت الجمعيّة حسب معتادها، وقُرئ الضبط السّابق، واستعدّت الأذهان لتلقّي ما يفيضه الله على ألسنة أهل الإيمان من الإخوان.

قال الأستاذ الرئيس: مخاطباً (الشيخ السّندي): إنّك يا مولانا لم تشاركنا في البحث إلى الآن، فنرجوكَ أن تتكرم على إخوانك بنبذة من عرفانك تنوّر بها أفكارنا، ونرجوك أنْ لا تحتشم من التلعثم في بعض التعبيرات اللغويّة لغلبة العجمة عليك، فإن لك أسوة بالفيروز أبادي[١] والسعد[٢] والفخر[٣] وغيرهم.

فقال الشيخ السّندي : إنكم أيّها السادة الإخوان، سراة أفاضل الزمان، وسُبَّاق فرسان كل ميدان، قد أفدتم وأجدتم، ولم تتركوا لقائل من مجال، ولا لمثلي غير الإصغاء والامتثال. وإني أحب أن أذكر لكم حالتي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات، وما أثرته في هذه المفاوضات، فأقول :إنني من خلفاء الطريقة النقشبنديّة[٤]. إذ كان

---

(١) الفيروز أبادي : محمد بن يعقوب الشيرازي (٧٣٠-٨١٨ هـ = ١٣٢٩ – ١٤١٥ م) لغوي ألّفَ كتباً كثيرة في التفسير والحديث والتراجم. وتقوم شهرته على تأليفه لمعجم (القاموس المحيط).

(٢) السعد : مسعود بن عمر بن عبد الله (التفتازاني) سعد الدِّين (٧١٢ – ٧٩٣ هـ = ١٣١٢- ١٣٩٠ م) من أئمة العربية والبيان والمنطق له (تهذيب المنطق) و (المطوّل) و (المختصر) وسواها.

(٣) الفخر : فخر الدِّين أبو عبد الله محمد الرازي (٥٤٤-٦٠٦ هـ = ١١٤٩- ١٢٠٩ م) متكلم وفيلسوف ومفسّر للقرآن الكريم. لُقب بشيخ الإسلام. له مصنفات كثيرة أشهرها تفسيره للقرآن المسمّى (مفاتيح الغيب).

(٤) طريقة صوفية منتشرة في الصين وتركستان والهند وتركيا. مُؤسِّسَها : بهاء الدِّين محمد بن أحمد الفاروقي (ت٧٩١ هـ – ١٣٨٩ م) صوفي أصله من بخارى. له (الأوراد البهائية). و (سلك الأنوار وهدية السالكين).

والدي المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند، وقد صرتُ بعد والدي مرجعاً لعامة خلفائها، ثم جرت لي سياحات مكرّرة في تلك الأرجاء، وفي أيالات كاشغر وقازان حتّى سيبيريا وتلك الانحاء، وبسسبب حرصنا على تعميم طريقتنا، صار لها شيوع مهم وانتشار عظيم بين مسلمي هاتيك الديار.

ومن المعلوم أنّ طريقتنا من أقرب الطرائق للإخلاص وأقلّها انحرافاً عن ظاهر الشرع؛ وهي مُؤسَّسَة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان، ومراقبة المرشد والاستمداد من الروحانيات[١]. وإنّي لم أكن أفكر قط في أنّ الذكر وقراءة الورد على وجه راتب فيه مظنّة البدعة أو الزيادة في الدِّين ولا أنّ المراقبة والاستفاضة والاستمداد من أرواح الأنبياء والصالحين فيها مظنّة الشِّرك، إلى أن حضرتُ هذه الاجتماعات المباركة فسمعتُ، وقنعتُ، وأقلعتُ، والحمد لله.

على أنّي عزمتُ أيضاً على أتلطَّفَ في الأمر بالنصيحة والموعظة الحسنة عسى أن أُوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك البلاد، وإلى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله قلباً ولساناً بدون عدد مخصوص معين، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم[٢] بدون هيئة أو كيفية معينة، متى شاؤا وأرادوا بدون وقت مرتّب، فرادى ومجتمعين بدون تداعٍ. وأن يتركوا المراقبة، ويستعيضوا عنها بالدعاء والغفران والرحمة لكل من الشيخ بهاء الدِّين النقشي[٣] مرشدهم الأعلى ولخليفته مرشدهم الأدنى الذي هم مبايعوه.

و قد فتح الله عليّ ببركة جمعيتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد، صالحهم وفاسقهم، للآنتساب إلى إحدى الطرائق الصوفية، وكنتُ قبلاً أحمل ذلك على مجرد إخلاص المرشدين، والآن اتضح لي أن السبب هو : أن السادة الفقهاء

---

(١) طقوس وقراءات يمارسها أتباع النقشبندية.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ↓ ✁ ✂ 👓 ✏ ⅄ 🔔 ☊ ⇦ × ♦ ③ ♦ ⓿ ⬁ 📪 ➚ ❷ ⬉ ❐ ♌ ♦ ✁ ✂ 👓 ✏ ⅄
🔔 ☊ ⓾ ♦ 🕓 ☺ ✞ 👓 ❐ ♦ 🔔 ➔ ➔ ⬉ ❐ ⓾ ✡ ✁ ❐ ♦ ⬉ ♦ ✍ ■ ❼ 🗐 ♉ ⬉ ☪ ⬉ ❐ 📫 ♐ ♑ ♐ ☠ ⬀ ↑
آل عمران : ١٩١ .

(٣) بهاء الدين محمد بن أحمد الفاروقي (ت ٧٩١ هـ = ١٣٨٩ م) صوفي أصله من بخارى . مُؤسِّس الطريقة النقشبندية. وقد ذكرناه آنفاً .

عندنا من الحنفية والشافعية قد ضيّقوا على المسلمين العبادات تضييقاً لا يعلم أن الله تعالى يطلبه من عباده، وكثّروا الأحكام في المعاملات تكثيراً ضيّع الناس، وشَوَّشَ الإفتاء والقضاء، حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يُصَحِّحَ عبادته أو معاملته ما لم يكن فقيهاً.

فتوسع الفقهاء دائرة الأحكام أنتج تضييق الدِّين على المسلمين تضييقاً أوقع الأمة في ارتباك عظيم، ارتباكاً جعل المسلم لا يكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مسلماً ناجياً لتعذّر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون بالعزائم، فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون اضطراراً، فيهون عليهم التهاون اختياراً كالغريق لا يحذر البلل.

لأنه كيف يطمئن الحنفيّ العاميّ حقَّ الاطمئنان في الاستبراء لتصحَّ طهارته؟ وكيف يحسن مخارج الحروف كلّها وقد أفسدت العجمة لسانه لتصح صلاته؟ وكذلك كيف يُصَحِّحُ الشافعيُّ العاميُّ نيَّته على مذهب إمامه في الصلاة، أو يعرف شدّات الفاتحة الثلاث عشرة، وينتبه لإظهارها كلّها ليكون أدّى فريضته؟

بل أي عامي يعرف وصف الكلام، ومعنى الاستواء، وتأويل الوجه واليد واليدين، وتعيين الجزء الاختياري، وإضافة الأعمال له أو لله، إلى غير ذلك، ليكون عند الحنفية الماتريدية[1] والشافعية الأشاعرة[2] مسلماً مُقلِّداً يُرجى له قبول الإيمان. ومَنْ مِنَ العامة يحيط علناً بكل ما ثبت بالنقص القاطع حتى صفرة بقرة بني

---

(١) الحنفية الماتريدية هم الذين جمعوا بين فقه أبي حنيفة وعقائد أبي منصور السّمرقندي الماتريدي (ت:٣٣٣ هـ = ٩٢٤ م) فقيه حنفي أصولي من أئمة علماء الكلام، وُلد وتُوفي بسمرقند. دافع عن عقائد السنَّة ضد المعتزلة والفرق الأخرى. له (شرح الفقه الأكبر) و(التوحيد) وغيرهما.

(٢) الشافعية الأشاعرة : هم الذين جمعوا بين فقه الشافعي وعقائد أبي الحسن الأشعري. وأبو الحسن الأشعري (٢٦٠ – ٣٢٤ هـ = ٨٧٤ – ٩٢٦ م) وُلد في البصرة، وتُوفي في بغداد. مُتكلِّم من الأئمة، أَسَّسَ مذهب الأشاعرة، أَلَّف كتباً كثيرة منها : (مقالات الإسلاميين).

إسرائيل مثلاً [١] لكيلا يعتقد خلافه، فيكفر، فيحبط عمله، ومن جملته انفساخ نكاحه.

و كم من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بأنه نسل سفاح ومقيم على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح، إلى غير ذلك مما ينافي سماحة الدِّين ومزية التديُّن به في الدنيا قبل الآخرة.

فبهذا التضييق صار المسلم لا يرى لنفسه فرجاً إلا بالالتجاء إلى صوفية الزمان، الذين يُهوّنون عليه الدِّين كل التهوين. (مرحى).

و هم القائلون : إنَّ العلمَ حجابٌ، وبلمحة تقع الصلحة، وبنظرة من المرشد الكامل يصير الشقيُّ وليَّاً، وبنفخة في وجه المريد أو تفلة في فمه تطيعه الأفعى، وتحترمه العقرب التي لدغت صاحب الغار عليه الرضوان [٢]، وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة، وهم المقرُّون : بأن الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها إلاّ الكذب، وأن الاعتقاد اولى من الانتقاد، وأن الاعتراض يوجب الحرمان، أي أن تحسين الظن بالفسّاق والفجّار أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من الأقوال المهوِّنة للدِّين والأعمال التي تجعله نوعاً من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين.

على أن الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين؛ وأين هم، لفرّوا منهم فرارهم من الأسد، لأن ليس عند هؤلاء إلاّ التوسل بالأسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من أمراض إفراط الشهوات، وتصفية القلوب من شوائب الشَّرَهِ في حُبِّ الدنيا، وحمل الطبائع بوسائل القهر والتمرين على الاستئناس بالله وبعبادته عوضاً عن الملاهي المضرّة، وذلك طلباً للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة. وأين التهوين السالف البيان لصوفية الزمان من هذه المطالب التهذيبية الشاقّة ؟ ومن حقائق العرفان المعنوية التي لا يعرفها ويتلبّس بها إلا مَنْ وفَّقَهُ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : [illegible] البقرة : ٦٩.

(٢) تعليق ط. م : (المنقول أن الصِّديق لَسَعْتهُ حيّة لا عقرب، ولم يصحّ). ا.هـ.

الله، وكشفَ عن بصيرته. وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان : إنَّ مَنْ أعزّ كلمةَ الله أعزّه الله، ومَنَ نصر الله نصرَهُ الله، ومَنْ توقَّعَ الخير أو الشر جازماً نال ما توقع. ومَنْ تصفو نفسه يُلهَمُ رشده، ومَنِ اتكل على الله حقاً كفاه الله ما أهمَّهُ، ومَنْ دعا الله مضطراً أجابَ دعاءه. إلى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن وأسرار حكمة سيّد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم. (مرحى).

قال الأستاذ الرئيس : قد أحسن أخونا الشيخ السَّندي توصيفه المتفقهة المتشدِّدَة والمتصوِّفة المخففة، وإني ملحقٌ تقريرَهُ بما يناسب أن يكون مقدّمة تاريخية لبحث التصوف فأقول : قد كان التنسُّكُ في المسلمين شيمة لأكثر الصحابة والتابعين، ثم إنَّ التوسُّعَ في الدنيا قَلَّلَ عدد المتنسكين، فصار لأهله حرمة مخصوصة بين الناس. وصار بعض المتفرّغين يصون نيل هذه الحرمة بالتلبس بالتنسك وإلزام النفس بالتمرن عليه؛ وحيث كان من لوازم استحصال تلك الحرمة إظهار التقشف اتخذوا الصُّوف دثاراً واسم الفقر شعاراً، فغلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء. ثم إنَّ بعض العلماء من هؤلاء المعتزّين بالتنسُّك، أحبّوا التميز بالرئاسة أيضاً، فصاروا يدعون الناس إلى التنسُّكِ، ويرشدوهم إلى طرائق التمرن عليه، ومن هنا جاء اسم الإرشاد واسم الطريق.

و حيث كانت إرادة الاعتزاز بالدِّين إرادة حسنة لأن فيها إعزازاً لكلمة الله، فلا يؤخذ شيء على المرشدين الأوّلين، ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية [1] في صحراء أفريقيا.

أما دخول الفساد على التصوُّف وإضراره بالدِّين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السَّندي وغيره من الإخوان الكرام، فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع، لما رأوا توسُّعَ الفقهاء في الشَّرْعِ، وتفنن المتكلمين في العقائد، فهم كذلك اقتبسوا

---

(١) السنوسية : طريقة صوفية وسياسية، أسَّسها في ليبيا محمد بن علي الجزائري السنوسي الإدريسي (١٢٠٢ ــ ١٢٧٦ هـ ــ ١٧٨٧ ــ ١٨٥٩ م) قاوم أصحابها الاحتلالين الإيطالي والفرنسي، وثاروا على الحكم العثماني.

من فلسفة فيثاغورس[١] وتلامذته في الإلهيات قواعد، وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيّنن جملاً، وألبسوها لباساً إسلامياً فجعلوه علماً مخصوصاً ميّزوه باسم علم التصوُّف، أو الحقيقة، أو الباطن.

و هكذا بعد أن كان التصوُّف في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة، رأوا مجالاً في جهل أكثر الأمة لأن يحوزوا بينهم مقاماً، كمقام النبوّة، بل الألوهية، باسم الولاية والقطبانية[٢] أو الغوثية[٣]؛ وذلك بما يدّعون من القوة القدسية والتصرف في الملكوت، فوسّعوا فلسفة التصوُّف بأحكام تشبه الحكم، بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكّمات والمثال والخيال والأحلام والأوهام، وألّفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة، محشوة بحكايات مكذوبة، وتقريرات مخترعة، وقضايا وتركيبات لا مفهوم لها البتة حتى ولا في مخيلة قائلها، كما أن قارئيها أو سامعيها لا يتصوَّرون لها معنى مطلقاً وإن كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم، ويتلمّظ بأن للقوم اصطلاحاتٍ لا تُدرَكُ إلاّ بالذوق الذي لا يعرفه إلا مَنْ شرب مشربهم.

و بعض هؤلاء الغلاة قُتلوا كفراً [٤] ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم، وحازوا المقام الذي ادّعوه بعد مماتهم، لأن في تعظيم شأنهم ترويج مقاصد المقتفين لآثارهم كالإباحييّن. وبعضهم لم يكن من الغلاة، ولكن أخلافه ـ إعظاماً لأنفسهم في نظر حُمقاء الأمّة[٥] ـ

---

(١) فيثاغورث : (من القرن السادس قبل الميلاد) فيلسوف ورياضي يوناني، عاش زاهداً. قال بتناسخ الأرواح وبقيام حركة الكون على الأرقام. ورد ذكره آنفاً.

(٢) القطبانية وتعني أن العالم مرتكز على بركات وولايات أقطاب الصوفية الذين قد لايعرفهم أحد في عصرهم، وإنما يكشف أمرهم بعد مماتهم. وحسب اعتقادات أغلب الصوفيين فإن الله مثبت الحياة في الأرض كرامة لأربعة أقطاب عندما يموت قطب يكون قد بويع قطب آخر.

(٣) الغوثية : مرتبة من مراتب الصوفية أشهر من لُقِّبَ به محمد الهندي (ت ٩٧٠ هـ = ١٥٦٢ م) وهو سليل فريد الدِّين العطار، له (تذكرة الأولياء).

(٤) ربما يقصد بذلك الحلاج ومحيي الدِّين بن عربي وهما من مشاهير المتصوِّفين الذين قُتلوا لاعتقاداتهم.

(٥) لعلمهم بأن أكثر الناس (حمقاء) لا سيّما الأمراء، ودأبهم تعظيم العظام البالية، حتى لو فرض أن أحيا الله أصحابها لأعرضوا عنهم، ومالوا إلى أموات غيرهم. (ك). في ط. م (حمقى).

نسبوا إليه الغلو، وعزوا إليه كتباً ومقالات لا يعرفها، ومنهم الأفاعيّون[١] يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قال الأستاذ الرئيس للخطيب القازاني : إنّ الإخوان يترقبون منه أيضاً أن يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية.

فقال الخطيب القازاني : إن الإخوان الأفاضل لم يتركوا قولاً لقائل. ولذلك، لا أجد ما أتكلم فيه، وإنما أقصُّ عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وإفرنجي روسي من العلماء المستشرقين العارفين باللغة العربية، المولعين باكتشاف وتتبع العلوم الشرقية ولاسيما الإسلامية، وقد هداه الله إلى الدِّين المبين، فاجتمع بمفتي قازان، وقال له : إنّه أسلم جديداً وهو بالغٌ من معرفة القرآن، والسنّة مبلغاً كافياً، وعالم بموارد ومواقع الخطأ علماً وافياً، فيريد أن يتتبَّعَ القرآن وما يمكنه أن يتحقَّق وروده عن رسول الله، فيعمل بما يفهمه، ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته، لأنه لا يرى وجهاً معقولاً للوثوق بزيد أو عمرو أو بكر أصحاب الأقوال المتضاربة المتناقضة، لأنّ حكم العقل في الدليلين المتعارضين التساقط، وفي البرهانين المتباينين التهاتر، فهل من مانع في الإسلاميّة يمنعه من ذلك ؟

فأجابه (المفتي) : إن أكثرية الأمّة مطبقة[٢] منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرّره أحد المجتهدين الأربعة المنقولة مذاهبهم، فإطباق الأكثرية دليل الصحّة، فلا يجوز الشذوذ.

فقال (المستشرق) : لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم، وإنْ خالف المعقول، لاقتضى ذلك صوابيّة الوثنية ورجحان النصرانيّة، ولاقتضى كذلك عكس حكم ما صحّ وروده عن النبي صلى الله عليه وسلّم : من أنَّ أمته تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النّار إلاّ واحدة، هي التي كان هو وأصحابه عليها[٣]. وقد وقع ما أخبر

---

(١) الذين يمارسون الحيل باستخدام الأفاعي.
(٢) متّفقة.
(٣) أخرجه.............

بـه، وكـل فرقـة تـدّعي أنّهـا هـي تلـك الواحـدة الناجيـة، ولا شـكّ أنّ الاثنتين وسبعين فرقـة أكثـر مـن أيّ واحـدة كانـت منهـا، فـأين يبقـى حكم الأكثرية ؟

فأجابـه (المفتـي) : إنّـه قد سبقنا مـن أهـل التحقيـق والتـدقيق الـذين تشــهد آثـارهم بمزيـد علمهـم ألـوف مـن الفضـلاء، وكلّهـم اعتمدوا لزوم اتّباع أحد تلك المـذاهب القديمـة، حتّـى بـدون مطالبـة أهلهـا بـدلائلهم، لأنّ مـداركنا قاصـرة عن أنْ تـوازنَ الـدلائلَ وتميّـز الصحيحَ والراجحَ، ومثلنا في ذلك الطبيب لا يلزمهُ أن يجرّب طبـائع المفردات كلّها ليعتمد عليها، بل يأخذ علمه بطبائعها عمّا دوّنه أئمة الطب.

فقـال المستشـرق : نعـم، إن الطبيـب يعتمـد علـى مـا حقّقـه الأوّلون، ولكنْ، فيما اتّفقوا عليه، وأمّا ما اختلفـوا فيـه علـى طرفـي نقيض بين نـافع أو سـام فلا يعتمد فيـه أحد القـولين، بـل يهملهمـا، ويُجـدّد التجربـة بمزيـد الدقّـة والتحقيـق، لأن اعتمـاده علـى أحـدهما يكون ترجيحاً بلا مرجّح، هذا وإننـا لنـرى ببـادىء النظر أنّ هؤلاء الأئمة الأقدمين لا يقدرون أن يطّلعوا على ما لا يقدر المتـأخرون أنْ يطّلعوا عليه، ويكفينا برهاناً على ذلك :

(أولاً) تخالفهم في كلّ الأحكام، إلاّ فيما قلّ ونـدر، تخالفـاً مهمّـاً ما بين موجب وسالب، ومُحلّل ومُحرِّم، حتّى لم يمكـنهم الاتفـاق فـي نحو مسائل الطهارة وستر العورة، وما يحلّ أكله، وما لايحلّ.

(ثانياً) : تـردّدهم فـي الأحكـام وتقلّـبهم فـي الآراء، وذلـك كحكـم أحدهم في المسـألة، ثـم عدولـه عنـه إلـى غيـره؛ كمـا يقـول أصـحاب الشـافعي إنّـه كان لـه مذهبان، رجع بالثاني منـهما عن الأوّل[1].

(ثالثـاً) : اخـتلاف أتبـاعهم فـي الروايـة عـنهم كأصـحاب أبـي حنيفة الذين قلّما يتفقون علـى روايـة عنـه، ويُـؤَوِّلُ ذلـك لـهم بعض المتأخرين بتعدُّدِ مذاهبه في المسألة الواحدة.

والحاصل، أن الانسان الذي يتقيّد بتقليد أحد أولئك الأئمّـة، ولا سيّما الإمـام الأعظـم مـنهم، لايـتخلّص مـن قلـق الضـمير، أو يكـون

(١) ولكـن الشـافعي فعل ذلـك بحسـب مقتضـيات الظـروف تبعـاً لقاعـدة (تتغيـر الأحكـام بتغيّـر الأزمان). لذلك، اختلفت أحكامه في مصر عنها في العراق.

كحاطب ليل. بناءً على ذلك، لا بدّ للمتحري في دينه من أن يهتدي بنفسه لنفسه، أو يأخذ عمّن يثق بعلمه ودينه وصواب رأيه ولو من معاصريه، لأن الدِّين أمر عظيم لا يجوز العقل والنقل فيه المماشاة واتّباع التقليد.

أجابه (المفتي) : نحن لا نحتّم بأن الصواب مقطوع فيه في جانب أحد تلك المذاهب، بل المقلّد منا إما أن يقول بإصابة الكل، أو يرجّح الخطأ في جانب مَنْ ترك مع احتمال الصواب.

فقال (المستشرق) : هذا القول يستلزم تعدّد الحق عند الله، أو القول بالترجيح بلا مرجّح، لأنكم تتحامون المفاضلة بين الأئمة. واعترافكم باحتمال الجميع للخطأ يقتضي جواز تركها كلّها مع أنكم توجبون اتّباع أحدها. أفليست هذه قضايا لا تتطابق، ولا تعقل؟ فلماذا لا تُجوِّزون ـ وأنتم على هذا الارتباك ـ أن يستهدي المبتلي لنفسه، فإن تحقَّقّ عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن اتّبعه وإلاّ كان مختاراً. وهل يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها ؟

أجابه (المفتي) : إننا لِبُعدِ العهد لم يبق في إمكاننا التحقيق، فما لنا من سبيل غير اتّباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه يحتمل الخطأ.

قال (المستشرق) : ما الموجب لتكليف النفس ما لم يكلّفها به الله ؟ أليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريّته واختياره، فيستهدي بنفسه لنفسه حسب وسعه، فإنْ أصاب كان مأجوراً، وإنْ أخطأ كان معذوراً، ويكون ذلك أولى من أن يأسر نفسه للخطأ المحتمل من غيره ؟

أجابه (المفتي): إن هذا الغير أعرف منّا بالصواب، وأقلّ منّا خطأ، فتقليده أقرب للحق.

قال (المستشرق): هذا مسلم فيما اتّفق عليه الأقدمون، أمّا في الخلافات فالعقل يقف عند الترجيح بلا مرجّح، ولا سيّما إذا كنتم لا تجوّزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبتلي عقله في الترجيح، بل تقولون نحن أسراء النقل، وإنْ خالفَ ظاهرَ النص.

أجابه (المفتي) : إننا إذا أردنا أن لا نعدّ من شرعنا إلاّ ما نتحقق بأنفسنا دليله من الكتاب أو السنّة أو الاجماع تضيق حينئذ

علينا أحكام الشرع، فلا تفي بحلّ إشكالاتنا في العبادات، ولا لتعيين أحكام حاجاتنا في المعاملات، فيحتاج كلّ منّا أن يعمل برأيه في غالب دقائق العبادات والمعاملات، ويصير القضاء غير مقيّد بإيجابات شرعية. وهل من شك في أن اطراد الآراء وانتظام المعاملات أليق بالحكمة من : لا اطراد ولا نظام ؟

قال (المستشرق) : لا شكّ في ذلك، ولكنْ، أين الاطراد والانتظام منكم، ولا يكاد يوجد عندكم مسألة في العبادات أو المعاملات غير خلافيّة، إنْ لم تكن في المذهب الواحد فبين مذهبين أو ثلاث ؟ هذا وربّما يُقال إنّ توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر، أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الحكم لحرية القاضي. فَيُجَاب على ذلك أن الأمر أمر ديني ليس لنا أن نتصرّف فيه برأينا، ونعزوه إلى الله ورسوله كذباً وافتراءً وإفساداً لدين الله على عباده، ولو إن الأمر نظام وضعي لمَا كان أيضاً من الحكمة أن يلتزم أهل زماننا آراء مَنْ سلفوا من عشرة قرون، ولا أن يلتزم أهل الغرب بقانون أهل الشرق. وعندي أنّ هذا التضييق قد استلزم ما هو مشاهد عندكم من ضعف حرّمه الشرع المقدّس.

ثم قال (المستشرق) وأعيد قولي إنكم تحبون أن تكلّفوا أنفسكم بما لم يكلّفكم به الله، ولو أن في الزيادات خيراً لاختارها الله لكم، ولم يمنعكم منها بقوله تعالى : ↓ ✂☐☝ ⌑⧫❷▪⇧☾⧫ ✂ ×☜❼ ✂☐⊠⧫ ... ↑ [1] أي مما يتعلّق بالدِّين[2]، وقوله تعالى: ↓ ✂ ... ↑[3]. وقوله تعالى : ↓ ... ✂ ...

---

(١) الأنعام : ٣٨.

(٢) يريد أن القرآن محيط بأحكام الدِّين وما يناسبه، لا بكل ما في علم الله تعالى، كما يتوهَّم الكثيرون (ك).

(٣) المائدة :٣.

♎➔☠⇱ ✁✍❧♋➔⅄◷⌹♑☺⇱❑♌♦ ↑ [١]. ولكنْ، عَلِمَ اللهُ، الخيرَ في القدر الذي هداكم إليه، وترك لكم الخيار على وجه الإباحة في باقي شؤونكم لتوقفوها على مقتضيات الزمان أبي الغير[٢] وموجبات الأحوال التي لا تستقر، فبناءً عليه، إذا أتيتم أكثر اعمالكم الحيويّة باطمئنان قلب بإباحتها، يكون خيراً من أن تأتوها وأنتم حيارى لا تدرون هل أصبتم فيها أم خالفتم أمر الله؟ فتعيشون وأفئدتكم هواء، تحاذرون في الدِّين شؤم المخالفة، وفي الآخرة عذاباً عظيماً. وليس هذا مخافة الله التي هي رأس الحكمة، ولا من مراقبة الوازع التي هي مزية الدِّين، بل هذا من الارتباك في الرأي والاضطراب في الحكم، ونتيجة ذلك فُقِدَ الحزم والعزم في الأمور.

ثم قال : اعلم أيها المفتي المحترم، أنَّ هذه الحالة التي أنتم عليها من التشديد والتشويش في أمر الدِّين، هي أكبر أسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الأولى في شؤون الحياة، كما انحطّ قبلهم الإسرائيليون بما شدّده وشوّشه عليهم أهل التلمود[٣]، وكما انحطّت الأمم النصرانيّة لمّا كانت (أرثوذكسيّة)[١] مغلظة أو (كاثوليكيّة) [١] متشدّدة، يتحكّم فيها البطارقة والقسيسون بما يشاؤون تحت اسم الدِّين، فكانوا يُكلّفون الناس أن يتّبعوا ما يلقنونهم من الأحكام بدون نظر ولا تدقيق؛ حتّى كانوا يحظرون عليهم أن يقرؤوا الإنجيل أو يستفهموا معنى التثليث الذي هو أساس النصرانيّة كما أن التوحيد أساس الإسلامية. وبقي ذلك إلى أن ظهرت (البروتستان) [١] أي الطائفة الإنجيليّة التي رجعت بالنصرانية إلى بساطتها الأصلية، وأبطلت المزيدات والتشديدات التي لا صراحة فيها في الأناجيل، وإلى أن اتّسع من جهة أخرى عند الأمم النصرانيّة نطاق العلوم والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها، فتلطّفت أيضاً الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة عند العوام، واضمحلّتا بالكليّة عند الخواصّ. لأن العلم والنصرانية لا يجتمعان

---

(١) البقرة : ٢٢٩.
(٢) وصف الزمان بأنه أبو التغيير، وهو بدل من الزمان أو صفة له.
(٣) سبق تعريفها في تحقيقنا لصحيفة (الشهباء) ضمن هذه المجموعة التي تضمُّ الأعمال الكاملة للكواكبي.

أبـداً، كمـا أن الإسـلامية المشـوبة بحشـو المتفننـين تُضَـلِّلُ العقـولَ وتُشوّش الأفكار.

أمّــا الإســلامية السَّــمحاء، الخالصـــة مــن شــوائب الزوائــد والتشديد، فإنّ صاحبها يزداد إيماناً كلّما ازداد علماً ودقّ نظراً، لأنه باعتبار كون الإسلاميّة هي أحكام القرآن، وما ثبت من السنّة، وما اجتمعت عليه الأمّة في الصَّدر الأول، لايوجد فيها ما يأبه عقل، أو يناقضه تحقيق علمي.وكفى شرفاً للقرآن الـعزيز أنه ـ على اختلاف مواضيعه من توحيد وتعليم وإنذار وتبشير وأوامر ونـواه وقصص وآيـات آلاء[1] ـ قـد مضـى عليـه ثلاثـة عشـر قرنـاً تمخضـه أفكـار الناقدين المعادين، ولم يظفروا فيه ولو بتنـاقض واحد، كمـا قـال الله تعــــالى فيـــــه ↓ ❑◆❑⬧♓◆❑ ⬀❑⬧♓◆❑ ... ↑[2]. بـل الأمــر كمــا تنبّه إليه المدقِّقون المتأخِّرون أنّه كلّما اكتشف العلم حقيقـة وجدها البـاحثون مسبوقة التلميح أو التصريح فـي القـرآن. أودع الله ذلـك فيه ليتجدّد إعجازه، ويتقوّى الإيمان به أنّه من عند الله، لأنّـه لـيس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطله الزمان.

فهذه القضـايا التـي قرّرهـا حكمـاء اليونـان وغيـرهم علـى أنّهـا حقـائق، ولـم تتـردَّد فيهـا عقـول عامـة البشـر ألوفـاً مـن السـنين، أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات.

وكذا يقال : كفى السنّة النبويّة شرفاً، أنّـه لـم يوجد فـي أعـاظم الحكمـاء المتقدّمين والمتـأخّرين، مَنْ يربـو عدد مـا يعـزى إليـه مـن الحكم التي قررها غير مسبوق بهـا علـى عدد الأصـابع، مـع أنّ فـي السنّة المحمّديـة علـى صـاحبها أفضـل التحيّـة مـن الحكـم والحقـائق الأخلاقيّـة والتشـريعيّة والسياسـيّة والعلميّـة ألوفـاً مـن المقـرَّرات المبتكـرة، ويتجلّـى عظـم قـدرها مـع تجـدُّد الزمـان وترقّـي العلـم والعرفان.

---

(1) نِعَم .

(2) النساء : ٨٢ .

وكفى بذلك مُلزِماً لأهل الإنصاف بالإقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوّةِ والأفضليّة على العالمين عقلاً، وعلماً وحكمة، وحزماً، وأخلاقاً، وزهداً، واقتداراً، وعزماً. وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقه في كلّ ما جاء به واتّباعه في كل ما أمر، أو نهى، لأنّ الدهر لم يأتِ بمرشد للبشر أكمل وأفضل منه. (مرحى).

ثم قال (المستشرق) للمفتي : وهذا ما دعاني للإسلام، فلبّيتُ والحمد لله، وعندي أن لو قام في الإسلام سراة حكماء مقدّمون لما بقي على وجه الأرض عاقل يكفر بالله.

ثم قال : وإني أرى أنّه لا يمضي قرن إلاّ ويكثر المهتدون من المستشرقين، ويرسخون في الدِّين، فيتولُّون تحرير شريعة الإسلام، ويفيضون بها على الأنام، حتّى على أهل الركن والمقام. ولا يبعد أن تاتي الأيام بالبرنس محمد المهتدي الروسي أو الإنكليزي مثلاً، قائماً مقام الإمام، معيداً عزَّ الإسلام بأكمل نظام.

أجاب (المفتي) : لا مانع مما ذكرتَ، ذلك فضلُ الله يؤتيه مَنْ يشاء، ودينُ الله دينٌ عام لايختصُّ بقوم من الأقوام.

ثم قال (المستشرق): أيّها المفتي المحترم، لا يطاوعني لساني أن أدّعي الغيرة على الملّة البيضاء الأحمديّة أكثر منكَ، إنّما أناشدكَ باللهِ وبحبكَ لدينكَ أن تترك هذه الأوهام التقليديّة القائمة في فكركَ، وتعينني على تأليف كتاب يصوّر حكمة دين الإسلام وسماحته، ليكون سعينا هذا ذخراً عظيماً ننال به فخر وثواب هداية عشرات الملايين، بل مئات الملايين من الناس لهذا الدِّين المبين. ولا يكبرن ما أقول على فكركَ، فإنَّ أهل هذا الزمان المتنوّرين الأحرار لا يُقاسون بأهل الأزمنة المظلمة الغابرة. نعم، وننال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين العريقين، تلامذة المدارس العصريّة، من هجر الإسلاميّة على صورتها الحاضرة المشوّهة باختلاط الحكم بالخرافات، المعطّلة بثقل التشديدات المبتدعة، فالبدار البدار لأن نفوز بهذه الخدمة التي يكاد يعادل أجرها أجر نبيّ مرسل والله المعين الموفّق.

أجابه (المفتي) : أصبتَ فيما افتكرتَ، ولنِعْمَ ما أشرتَ به، ولكنْ، هذا عملٌ مهمٌّ، يحتاج القيام به لعناية جمعيّة يتكوّن من تضلّع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف للإحاطة وحصول الثقة، ولسوء الحظ، لا يوجد مَنْ فيهم الكفاءة في هذه البلاد، ولذلك، يتحتم علينا أن نترك هذه الفكرة آسفين، وندعو الله تعالى أنْ يُلهمَ علماءَ مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام القيام بإيفاء هذا الواجب.

ولمّا انتهى الخطيب القازاني إلى هنا قال : هذه هي المساجلة، وقد سمعتُ المفتي يقول إنّه اجتمع بكثير من المستشرقين، فوجدهم كلّهم يحسنون العربية أكثر من علماء الإسلام غير العرب، مع أنهم يشتغلون في علوم اللّغة عمرهم كلّه، وما ذلك إلاّ من ظفر مدارس اللغات الشرقيّة الإفرنجيّة بأصول لتعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا.

قال المجتهد التبريزي : إني أرى أنّ الإسلام أصابه فتنتان عظيمتان، ولولا قوّة أساسه البالغة فوق ما يتصوّره العقل لما لبث الدِّين إلى الآن.

أما الفتنة الأولى : فقد قَدَّرَها الله، ومضت على وجهها، وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك، وانقسموا على أنفسهم، بأسهم بينهم، يقتل بعضهم بعضاً، وتفرّقوا في الدِّين لتفرقهم في السياسة.

وأما الفتنة الثانية : فلم تزل مستمرة، وهي أنّ الخلفاء العباسيين مالوا إلى تعميق النظر في العقائد، فَخَدَمَهُمْ مَنْ خدمهم من علماء الأعاجم تقرّباً إليهم في علم الكلام، وأكثروا من القيل والقال. ثم سرت العدوى إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب، فأقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافات بين أبي حنيفة والشافعي. وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صمّاء، وتركوا بقيّة المذاهب، فاندرست، ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب، ومذهب مالك في المغرب ومذهب جعفر في بلاد الخزر وفارس. فأكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب، كلّ مؤلف يجب أنْ يُبدي ما عنده ليشتهر فضله، وينال حظّه من دنياه، زاعماً أن غرضه استنباط دقائق الشَّرْعِ وتقرير علل المذاهب.

فتزاحموا، وتجادلوا، وناقض بعضهم بعضاً، وكان من العلماء بعض الصلحاء المغفّلين شاركوهم في الفتنة وهم لا يشعرون كما قال الله تعالى : [illegible] (1). وقوله تعالى : [illegible] (2).

و هكذا اتّسعت دائرة الأحكام في الشرع، فصار الخَلَفُ عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع إلى الأصول، فاطمأنت الأمة للتقليد، وأقبل العلماء على التعمقات في الدِّين : يغرب المفسّر، ويَتَفَنَّنُ ولو بحكايات قاضي الجنّ لأنه غير مطالب بدليل. ويتفحَّص المحدّث عن نوادر الأخبار والآثار ولو موضوعة لأنه غير مسؤول عن سنده. ويستنبط الفقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للازم اللازم للعلة لأن مجال التحكّم واسع. وهذه الفتنة لم تزل مستمرة إلى أن أوقفها قصور الهمم عند الأكثرين.

على أن هؤلاء المتأخرين أخلدوا إلى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدِّين، ومبدأ الإيمان واليقين، والفارق بين الكفر والإسلام. وجعلوا أنفسهم كالعميان، لا يميزون الظلمة من النور ولا الحق من الزور، وصاروا يحسنون الظّن في كل ما يجدونه مُدوَّناً بين دَفَّتَي كتاب، لأنهم رأوا التسليم أهون من التبصّر، والتقليد أستر للجهل. وصار كل إقليم أو بلد يتعصّبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين، ويتخذون الخلافيات مداراً لتطبيق الأحكام على الهوى، لا يُبالون بحمل أثقال الناس في الدِّين على

---

(١) البقرة : ١١ و١٢.
(٢) الكهف : ١٠٣ و١٠٤.

عـواتقهم، يزعمـون أنَّ التسـليمَ أَسْـلمُ، وأنهـم أسـراء النقـل، وإنْ خالف ظاهرَ النّص، ويتوهمون أنّ اختلاف الأئمة رحمة للأمة.

نعـم، إن اخـتلاف الأئمــة يكـون رحمــة إذا حَسُـنَ اسـتعماله، ويكـون نقمـة إذا صـار سـبباً للتفرقـة الدينيـة والتبـاغض : كمـا هـو الواقع بين أهل الجزيرة السلفيين، وبين أهل مصر والمغرب والشام والترك وغيرهم من المستسلمين، وبين أهل العراق العجم وفارس، والصنف الممتاز من أهل الهند الشيعيين، وبين أهل زنجبار[1] ومَنْ حولهم من الإباضيين[2] فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم أنهم وحدهم أهل السنّة والجماعة، وأنَّ سواهم مبتدعون أو زائغون. فهل ـ والحالة هذه ـ يتوهم عاقل أنّ هذا التفرق والانشقاق رحمةٌ لا نقمة، وسببه، وهو التوسع في الأحكام، سبب خير لا سبب شر ؟

و كذلك اختلاف المجتهدين في كلّ فرقة من تلك الفرق، لا يتصوره العقل أن يكون رحمة إلاّ بقيد حَسُنَ استعماله، وإلاّ فيكون نقمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي وحنفي وشافعي مثلاً.

و المـراد مـن حسـن اسـتعمال الخـلاف، هـو أن كـل قـوم مـن المسلمين قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو وراثة أو تعصباً، ولابـد أن يكـون فـي المـذهب الآخـذ بـه كـل قـوم بعـض الأحكـام الاجتهادية، التي تناسب أخلاق القوم أو لا تلائم أحوالهم المعاشية وطبـائع بلادهـم، فيضـطرّون إلـى الإقـدام علـى أحـد أمـرين : إمـا التمسُّك بتلك الأحكام، وإنْ أضرّت بهم، أو الجنوح إلى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الأحكام فقط. وقد كـان أكثر العلمـاء وفقهـاء المسـلمين إلـى القـرن الثـامن، بـل التاسـع يختـارون الشـقّ الثـاني، فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى، ولكن بعد النظر والتدقيق في الأدلة كما كـان شـأنهم فـي نفس مذاهبهم الأصلية، لئلا يكونوا مُقلّدين تقليداً أعمى لا يجوّزه الدِّين أساساً إلاّ للجاهل بالكلية.

---

(١) زنجبار جزيرة في شرق أفريقيا الجنوبي، سكانها خليط من الأفريقيين والهنود والعرب والأوروبيين.

(٢) فرقـة معتدلـة مـن الخـوارج، أخـذت نسـبتها مـن عبـد الله بـن أبـاض، وتقابـل الأزارقـة والصـفرية. قـام الأباضـيون بثـورات متعـددة ضـد الأمـويين، وبسـطوا نفـوذهم علـى الـيمن وحضـرموت، أسسـوا الدولـة الرسـتمية (٧٦١-٩٠٨) انتشـرت تعـاليمهم بشـكل واسـع بـين البربر.

و هذه الطريقة هي الطريقة المتّبعة إلى اليوم في بلاد فارس، والعلماء المتصدِّرون لذلك هم أفراد من نوابغ العلماء المتضلِّعين في علوم مآخذ الدِّين، أكثرهم ولا سيّما الإيرانيون فهم متفقهون ومتخرّجون على مذهب الإمام "جعفر الصادق " رضي الله عنه المدوَّن عندهم، ويُطلق أهل فارس على هؤلاء العلماء اسم " مجتهدين " تجوّزاً واتّباعاً لعادة الأعاجم في التغالي في التبجيل ونعوت الاحترام، ومن ذلك يُعلم أنّ ما يظنه فيهم إخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على أحوالهم إلا من تفوّهات السياسيين غير صحيح، فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدِّين، مجوّزون الرأي في الإجماعيات، مخرجون الأحكام أخذاً من الدلائل الظنية، ولو لم يقل بها أحد من علماء الصحابة أو التابعين وأعاظم أئمة الهداية الأوّلين. فما أحرى أنْ يُسمّى مجتهدو فارس بمرجّحين أو مخرّجين أو فقهاء مدقّقين.

ثم إن بعضهم وصفوا المقلِّد لأحد المذاهب، إذا أخذ في بعض الأحكام بمذهب آخر، مُلَفِّقاً وأخذه تلفيقاً، واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدِّين أو الترقيع القبيح. والحال، ليس ماسمّوه بالتلفيق إلا عين التقليد من كلّ الوجوه، ولابدّ لكل مَنْ أجاز التقليد أن يجيزه، لأنه إذا تأمّل في القضية يجد القياس هكذا : يجب على كل مسلم عاجز عن الاستهداء في مسألة دينية بنفسه أن يسأل عنها من أهل الذكر، أي يُقلّد فيها مجتهداً، وكلّ مقلّد عاجز طبعاً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين، فبناءً عليه، يجوز أن يُقلّد في كلّ مسألة دينية مجتهداً ما.

وما المانع على هذا الاعتبار للمسلم المقلِّد أن يتعلَّم كلَّ مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد أو فقيه تابع لمجتهد، فإذا اغتسل بماء دون قلّتين لحقته قطرة خمر، واعتبره طاهراً كما علّمه عالم مالكيّ، غسلاً بدون دَلْكٍ كما علّمه عالم حنفيٌّ؛ وبعد حدث موجب توضَّأ، ومسحَ شعراتٍ من الرأس كما علّمه عالم شافعيٌّ، وصلّى بعد خروج دم قليل منه كما علّمه عالم حنبليٌّ، صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علّمه عالم زيديٌّ،

ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علّمه عالم جعفريٌّ.

أفلا يكون هذا المقلِّد صلّى صلاة تجزئة عند الله ؟ بلى، ثمّ بلى، تجزئة بالضرورة حتى لا يقوم دليل على أن ذلك خلاف الأولى، كما يُقال في حقّ الخروج من الخلافات، لأنّه لا يُعقل أن يُكلّف هذا المقلِّد بأخذ دينه كلّه من عالم واحد، لأنّ الصحابة رضي الله عنهم ـ مع اجتهادهم وتخالفهم في الأحكام ـ كان يصلّي بعضهم خلف بعض، مع حكم المؤتمّ منهم على حسب اجتهاده بعدم صحّة صلاة إمامِهِ، واشتراطه صحّة صلاة المأموم بصحة صلاة الإمام. وهل يتوهّم مسلم أن أبا حنيفة كان يمتنع أن يأتم بمالك، أو يأبى أن يأكل ذبيحة جعفر؟ كلا، بل كانوا أجلَّ قدراً من أن يخطر لهم هذا التعصُّب على بال، وما كان تخالفهم إلاّ من احتياط كلّ منهم لنفسه.

و يوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الإمام أو الفقهاء المعروفين بالمرجّحين، كلٌّ منهم كان مجتهداً لم يتقيّد بمذهب إمامه تماماً، وخالفه في كثير أو قليل من الأحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطّلاعه على أدلّة مجتهد آخر، أو الفتح عليه بما لم يُفتَحْ به على إمامه.

و لأن الدِّين يُلزِمُ المسلمَ بأن يتّبع في كل مسألة منه الشارع لا الإمام، وأن يعمل في مواقع الاجتهاد باجتهاده، لا باجتهاد غيره، وإنْ كان أفضل منه.

و هذا هو أبو حنيفة وأمثاله رحمهم الله تعالى، كانوا أفضل من أن يعتقدوا في أنفسهم الأفضلية على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومع ذلك، خالفوهما في كثير من الأحكام الاجتهادية. وفقهاء كلّ مذهب من المذاهب، لم يزالوا إلى الآن يُجوّزون الأخذ تارة بقول الإمام، وتارة بقول أحد أصحابه، مع أنّ ذلك هو عين التلفيق. فلماذا لا يجوّز الحنفية مثلاً التلفيق بين أقوال أبي حنيفة والشافعي ومالك وابن عباس ؟ فما هذا إلا تفريق بلا فارق، وحكم بعكس الدليل.

و قد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لأمره تعالى : ↓

••◆❑ ♦×⇦♉♏♐✍♐✂ ☎✂❑⇖☺⑩♉♎❑🕮
✍•✌♦▦⌧❷▪♎➔❑✂☎ ▫♉⑩❍♉ ↑[(١)]. (مرحى).
ثم ختم المجتهد التبريزي مقاله بقوله : وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث، وإنما أوردتُ هذا المقدار بقصد بيان جواز التلفيق إذا كان عن عرض صحيح كما جوَّزه كثير من فقهاء كلّ المذاهب.

و لاشك أن ضرورة التلفيق أهم من الضرورة التي لأجلها جوَّز الفقهاء الحيل الشرعية مع أنها وصمة عار على الشرع. حيث لا يُعقل أن يقالَ مثلاً إنّ الشفعة مشروعة دفعاً للضرر عن الشريك أو الجار، ولكنْ، يُجوَّز هذا الإضرار للمحتال، أو أن الربا حرام، ولكنْ، إذا أُضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز استباحة مقصد الربا. أو أن إيتاء الزكاة فرض، ولكنْ، إذا أخرج ربّ المال مالَهُ قبل الحول، ثم استعاده سقطت عنه الزكاة.. إلى غير ذلك من إبطال الشرع وجعل التكليف تخييراً والتقيّد إطلاقاً؛ ولا حُجَّة لهم في هذا غير ما رخّص الله به لأيوب[(٢)] عليه السلام من التوصل للبرّ باليمين في قوله تعالى : ↓ ❑◆♎➔⓿⇘ ✉♒⓿◆⑨♉✌⌧
••◆❑ ⌚♉❍♒■✉ ✇♒❸⇳♉♐♐•▫ ♐☪⌖⇘⬄⇞⮚
✌❑◆⇘✡•❅⇳ ↑[(٣)]، وما أبعد القياس بين الحنث وبين إبطال الشرع، ولاشك أنَّ بذلك صار المسلمون كأنهم لا شرع لهم. وقد غضب الله على اليهود لتحيّلهم على صيد السبت فقط. ونحن نجوّز ألف حيلة مثلها بضرورة وبلا ضرورة.

بناءً عليه، من الحكمة أن نلتمس للضرورات أحكاماً اجتهادية، فيأمر بها الإمام إنْ وُجِدَ وإلا فالسلطان. ليرتفع الخلاف، فتعمل بها الأمة مادام المقتضى باقياً. فإذا ألجأ الزمان إلى تبديلها بقول اجتهادي آخر فكذلك يأمر به الإمام أو السلطان رفعاً للخلاف. وبمثل هذا التدبير الذي لا يأباه شرعنا، ولا تنافيه الحكمة

---

(١) الشورى :١٣.
(٢) أيوب : نبي ضُربَ المثل بصبره. ورد ذكره في التوراة؛ (سفر أيوب) وفي القرآن الكريم في سور (النساء ١٦٣ – الأنعام ٨٤ – الأنبياء ٨٣ – ص ٤١).
(٣) ص : ٤٤.

نستعوض تلك الحيل المعطّلة للشرع، المسلّمة لترقيعات كل فقيه ومتفقه، بأحكام شرعية إيجابية لا زيغ فيها.

و بنحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب، ويتخلّص القضاء والإفتاء من التوفيق على الأهواء، وحينئذ يتحقّق أنّ الخلاف في الفروع رحمة.

والحاصل، أنّه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصّب لمذهب آخر، فيكون سعيهم هذا منتجاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة.

قال الأستاذ الرئيس : إنّا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة إخواننا أهل فارس، وعلى غيرته للدِّين وقصده التأليف بين المسلمين. أمّا تقريره بخصوص أنّ حكم الإمام إنْ وُجِدَ وإلا فالسلطان، يرفع الخلاف، وبخصوص أنَّ التلفيقَ هو عينُ التقليد، فتقريرٌ يحتاج إلى نظر وتدقيق، وستقوم بمثل هذه التدقيقات في المسائل الدينيّة التي بحث فيها الإخوان الكرام الجمعيةُ الدائمةُ التي سَتُشَكَّل إنْ شاء الله. واليوم قد قرب وقت الظهر، وآن أوان الانصراف.

الاجتماع السابع
(مجمل أسباب الفتور)
يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ.

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية، وقُرِئ الضبط السابق حسب القاعدة المرعية.

قال الأستاذ الرئيس مخاطباً السيّد الفراتي : إنّ الجمعية لتنتظر منكَ فوق همتكَ في عقدها وقيامكَ بمهمتها التحريرية، أن تفيدها أيضاً رأيك الذاتي في سبب الفتور المبحوث فيه، وذلك بعد أن تقرّر لها مجمل الآراء التي أوردها الإخوان الكرام، حيث أحطت بها علماً مكرّراً بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأنت أجمعنا لها فكراً.

هذا، والجمعية ترجو الفاضلَ الشاميَّ والبليغ الإسكندريَّ [١] أن يشتركا في ضبط خطابكَ بأن يتعاقبا في تلقي الجمل الكلاميّة وكتابتها، لأنهما كباقي الإخوان لا يعرفان طريقة الاختصار الخطي المستعمَل في مثل هذا المقام.

نظر الفاضل الشامي إلى رفيقه، واستلمح منه القول، ثم قال : إننا مستعدّان للتشرّف بهذه الخدمة.

قال السيد الفراتيّ : حبّاً وطاعة، وإنْ كنتُ قصير الطَّوْلِ، كليلَ القولِ، قليلَ البضاعةِ. ثم انحرف عن المكتبة[٢]، فقام مقامه عليها الفاضل الشاميُّ والبليغ الإسكندري[٣]، وما لبث أن شرع في كلامه، فقال :

---

(١) كذا وردت، والصواب : البليغ القدسي أو الكامل الإسكندري.
(٢) مكان المكتبة.
(٣) لا ندري لماذا يصرّ الكواكبي على البليغ الإسكندري، مع أنه في هذا التركيب الجديد يجمع بين اسمين من المجتمعين هما البليغ القدسي والكامل الإسكندري.

يُستفاد من مذكّرات جمعيتنا المباركة أنّ هذا الفتور المبحوث فيه ناشئ عن مجموع أسباب كثيرة مشتركة فيه، لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة. وهذه الأسباب منها أصول ومنها فروع لها حكم الأصول، وكلّها ترجع إلى ثلاثة أنواع : وهي أسباب دينيّة، وأسباب سياسيّة، وأسباب أخلاقيّة. وإني أقرأ عليكم خلاصتها من جدول الفهرست الذي استخرجته من مباحث الجمعيّة رامزاً للأصول منها بحرف (الألف) وللفروع منها بحرف (الفاء) وهي :

النوع الأول : الأسباب الدينية :

١ ـ تأثير عقيدة الجبر في أفكار الأمة (ا).
٢ ـ تأثير المزهّدات في السعي والعمل وزينة الحياة (ف).
٣ ـ تأثير فتن الجدل في العقائد الدينية (ا).
٤ ـ الاسترسال للتخالق والتفرق في الدِّين (ا).
٥ ـ الذهول عن سماحة الدِّين وسهولة التديّن به (ا).
٦ ـ تشديد الفقهاء المتأخّرين في الدِّين خلاف السلف (ا).
٧ ـ تشويش أفكار الأمّة بكثرة تخالف الآراء في فروع أحكام الدِّين (ف).
٨ ـ فقد إمكان مطابقة القول للعمل في الدِّين بسبب التخليط والتشديد (ف).
٩ ـ إدخال العلماء المدلّسين على الدِّين مقتبسات كتابيّة وخرافات وبدعاً مضرّة (ا).
١٠ ـ تهوين غلاة الصوفيّة الدِّين وجعلهم إياه لهوا ولعباً (ف).
١١ ـ إفساد الدِّين بتفنّن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات (ف).
١٢ ـ إدخال المدلّسين والمقابريّة[1] على العامّة كثيراً من الأوهام (ا).
١٣ ـ خلع المنجّمين والرمّالين[1] والسَّحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالمرهّبات (ف).

---
(١) الذين يُعظمون الأضرحة.

١٤ ـ إيهام الدجّالين والمداجين أنَّ في الدِّين أموراً سريّة، وأنَّ العلم حجاب (ا).
١٥ ـ اعتقاد منافاة العلوم الحكميّة والعقليّة[٢] للدِّين (ا).
١٦ ـ تطرّق الشِّرك الصريح أو الخفي إلى عقائد العامّة (ف).
١٧ ـ تهاون العلماء العاملين في تأييد التوحيد (ف).
١٨ ـ الاستسلام للتقليد وترك التبصّر والاستهداء (ف).
١٩ ـ التعصّب للمذاهب ولآراء المتأخّرين وهجر النصوص ومسلك السلف (ف).
٢٠ ـ الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعيّة الحجّ (ا).
٢١ ـ العناد على نبذ الحريّة الدينيّة جهلاً بمزيّتها (ف).
٢٢ ـ التزام مالا يلزم لأجل الاستهداء من الكتاب والسنّة (ف).
٢٣ ـ تكليف المسلم نفسه ما لا يكلّفه به الله، وتهاونه فيما هو مأمور به (ف).

النوع الثاني : الأسباب السياسية :

٢٤ ـ السياسة المطلقة من السيطرة والمسؤوليّة (ا).
٢٥ ـ تفرّق الأمة إلى عصبيات وأحزاب سياسيّة (ف).
٢٦ ـ حرمان الأمّة من حريّة القول والعمل، وفقدانها الأمن والأمل (ف).
٢٧ ـ فقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمّة (ف).
٢٨ ـ ميل الأمراء طبعاً للعلماء المدلّسين وجهلة المتصوّفين (ف).
٢٩ ـ حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (ا).
٣٠ ـ اعتبار العلم عطيّة يُحسِنُ بها الأمراء على الأخصّاء وتفويض خدمة الدِّين للجهلاء (ا).
٣١ ـ قلب موضوع أخذ الأموال من الأغنياء وإعطائها للفقراء (ا) .
٣٢ ـ تكليف الأمراء القضاة والمفتين أموراً تهدّم دينهم (ف).

---

(١) الذين يتنبّؤون بالمستقبل باستخدامهم الرمل.
(٢) الفلسفة.

٣٣ ـ إبعاد الأمراء النبلاء والأحرار وتقريبهم المتملّقين والأشرار (ا) .
٣٤ ـ مراغمة الأمراء السراة والهداة والتنكيل بهم (ف).
٣٥ ـ فقد قوّة الرأي العامّ بالحجر والتفريق (ف).
٣٦ ـ حماقة أكثر الأمراء وتمسّكهم بالسياسات الخرقاء (ف).
٣٧ ـ إصرار أكثر الأمراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف).
٣٨ ـ انغماس الأمراء في الترف ودواعي الشهوات، وبُعدهم عن المفاخرة بغير الفخفخة والمال[1] (ف).
٣٩ ـ حصر الاهتمام السياسيّ بالجباية والجنديّة فقط (ا).

النوع الثالث : الأسباب الأخلاقيّة :

٤٠ ـ الاستغراق في الجهل والارتياح إليه (ا).
٤١ ـ استيلاء اليأس من اللّحاق بالفائزين في الدِّين والدنيا (ف).
٤٢ ـ الإخلاد إلى الخمول ترويحاً للنفس (ف).
٤٣ ـ فقد التناصح وترك البغض في الله (ا).
٤٤ ـ انحلال الرابطة الدينيّة الاحتسابيّة (ا).
٤٥ ـ فساد التعليم والوعظ والخطابة والإرشاد (ف).
٤٦ ـ فقد التربية الدينية والأخلاقيّة (ا).
٤٧ ـ فقد قوّة الجمعيات وثمرة دوام قيامها (ا).
٤٨ ـ فقد القوّة المالية الاشتراكيّة بسبب التهاون في الزكاة (ا).
٤٩ ـ ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال (ف).
٥٠ ـ إهمال طلب الحقوق العامّة جبناً وخوفاً من التخاذل (ف).
٥١ ـ غلبة التخلّق بالتملّق تزلّفاً وصغاراً (ف).
٥٢ ـ تفصيل الارتزاق بالجنديّة والخدم الأميرية على الصنائع (ف).

---

(١) لأن السلطة مفسدة.

٥٣ ـ توهّم أنّ علم الدِّين قائم في العمائم وفي كلّ ما سُطِّر في كتاب (ف).
٥٤ ـ معاداة العلوم العالية ارتياحاً للجهالة والسفالة (ا).
٥٥ ـ التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشؤون العامّة (ا).
٥٦ ـ الذهول عن تطرّق الشِّرك وشآمته (ا).

ثم قال السيّد الفراتي : هذه هي خلاصات أسباب الفتور التي أوردها إخوان الجمعيّة، وليس فيها مكرّرات كما يُظَنّ. وحيث كان للخلل الموجود في أصول إدارة الحكومات الإسلاميّة دخل مهمّ في توليد الفتور العامّ، فإني أضيف إلى الأسباب التي سبق البحث فيها من قبل الإخوان الكرام الأسباب الآتية، أُعدّدها من قبيل رؤوس مسائل فقط، حيث لو أردتُ تفصيلها وتشريحها لطال الأمر، ولخرجنا عن صدد محفلنا هذا.

والأسباب التي سأذكرها هي أصول موارد الخلل في السياسة والإدارة الجاريتين في المملكة العثمانيّة، التي هي أعظم دولة يهمّ شأنها عامّة المسلمين. وقد جاء أكثر هذا الخلل في الستّين سنة الأخيرة. أي بعد أن اندفعت لتنظيم أمورها، فعطّلت أصولها القديمة، ولم تحسن التقليد ولا الإبداع، فتشتّت حالها ولا سيّما في العشرين سنة الأخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة؛ وخرب الثلث الباقي، وأشرف على الضياع لفقد الرجال وصَرْفِ السلطان قوّة سلطنته كلّها في سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الإصرار على سياسة الانفراد[١].

وأمّا سائر الممالك والإمارات الإسلاميّة فلا تخلو أيضاً من بعض هذه الأصول كما أنّ فيها أحوالاً أخرى أضرّ وأمرّ يطول بيانها واستقصاؤها. والأسباب المراد إلحاقها ملخّصة هي :

الأسباب السياسيّة والإداريّة العثمانيتين :

٥٧ ـ توحيد قوانين الإدارة[٢] والعقوبات، مع اختلاف طبائع أطراف المملكة واختلاف الأهالي في الأجناس والعادات[١] (ا).

---

(١) الاستبداد.
(٢) أي مركزيّة الحكم.

٥٨ ـ تنويع القوانين الحقوقيّة، وتشويش القضاء في الأحوال المتماثلة (١).

٥٩ ـ التمسّك بأصول الإدارة المركزيّة مع بُعد الأطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الإدارة في المركز على أحوال تلك الأطراف المتباعدة وخصائص سكّانها (ف).

٦٠ ـ التزام أصول عدم توجيه المسؤولية على رؤساء الإدارة والولاة عن أعمالهم مطلقاً [٢] (ف).

٦١ ـ تشويش الإدارة بعدم الالتفات لتوحيد الأخلاق والمسالك في الوزارء والولاة والقوّاد مع اضطرار الدولة لاتخاذهم من جميع الأجناس والأقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكُلّ. (ف).

٦٢ ـ التزام المخالفة الجنسية في استخدام العمال بقصد تعسّر التفاهم بين العمال والأهالي، وتعذّر الامتزاج بينهم لتأمن الإدارة غائلة الاتفاق عليها (ف).

٦٣ ـ التزام تفويض الإمارات المختصّة عادة ببعض البيوت، كإمارة مكة وإمارات العشائر الضخمة في الحجاز والعراق والفرات لمن لا يُحسِنُ إدارتها، لأجل أن يكون الأمير منفوراً مِمَّنْ وُلِّيَ عليهم مكروهاً عندهم، فلا يتفقون معه ضدّ الدولة.

٦٤ ـ التزام تولية بعض المناصب المختصّة ببعض الأصناف كالمشيخة الإسلامية والسرّعسكرية لمن يكون منفوراً في صنفه من العلماء أو الجند، لأجل أنْ لا يتفق الرئيس والمرؤوس على أمر مهم[٣] (ف).

---

(١) من أهم الضروريات أن يحصل كلّ من أهالي تركيا على استقلال نوعيّ إداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم، كما هي الحالة في إمارات ألمانيا وولايات أمريكا الشماليّة، وكما يفعله الإنكليز في مستعمراتهم والروس في أملاكهم. (ك). أ. هـ.

(٢) ولذلك، كانت الحالة في الدولة قبل التنظيمات الخيرية خيراً منها بعدها، حيث كان العمّال مسؤولين لدى حضرة السلطان، ثم أطلق سراحهم في عهدنا من كلّ مسؤوليّة، إلاّ في الأفعال بل الأقوال، بل الخواطر التي تتعلّق بحقوق السلطنة (ك). أ. هـ.

(٣) هكذا تكون احتياطات الحكومات العاجزة. (ك).

٦٥ ـ التمييز الفاحش بين أجناس الرعية في الغنم والغرم[1].

٦٦ ـ التساهل في انتخاب العمال والمأمورين، والإكثار منهم بغير لزوم، وإنما بقصد إعاشة العشيرة والمحاسيب والمتملّقين الملحّين.

٦٧ ـ التسامح في المكافأة والمجازاة تهاوناً بشؤون الإدارة حَسُنَتْ أم سَاءَتْ، كأنْ ليس للملك صاحب.

٦٨ ـ عدم الالتفاف لرعاية المقتضيات الدينيّة كوضع أنظمة مصادمة للشرع بدون لزوم سياسيّ مهمّ، أو مع اللزوم، ولكنْ، بدون اعتناء بتفهيمه للأمّة والاعتذار لها جلباً للقناعة والرضا[2].

٦٩ ـ تضييع حرمة الشرع وقوة القوانين بالتزام عدم اتباعها وتنفيذها، والإصرار على أن تكون الإدارة نظاميّة اسماً إرادية فعلاً[3].

٧٠ ـ التهاون في مجاراة عادات الأهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلاباً لمحبتهم القلبيّة فوق طاعتهم الظاهريّة.

٧١ ـ الغفلة أو التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الجيران وترقية السكّان بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل.

٧٢ ـ الضَّغط على الأفكار المتنبّهة بقصد منع نموّها وسموّها واطلاعها على مجاري الإدارة، محاسنها، ومعايبها، وإنْ كان الضغط على النموّ الطبيعيّ عبثاً محضاً، ويتأتّى منه الإغراء والتحفّز، وينتج عنه الحقد على الإدارة.

---

(١) كهضم الدولة العثمانية حقوق العرب في المناصب والارتزاق من بيت المال هضماً لا نسبة فيه، لأنها مميّزة عليهم حال كونهم ثلثي رعيّتها وكُلاًّ من الجركس والبشناق والأكراد والأرناؤوط والروم والأرمن والخروات [=الكروات] والبلغار والعربكير. (ك) في ط. ق الغربكير. وكاستثناء أهل العاصمة وغيرهم حتى بعض البيوت من الخدمة العسكرية والتكاليف الشرعية والعرفية. وكاستثناء غير المسلمين من الخدمة العسكرية لمجّرد كونهم لا يتحمّلون حالة الضَّنْكِ التي عليها الجيش. (ك).

(٢) كاستخدام اليهود قابضي مال أي أُمناء صناديق، وقابضي أعشار السوائم، وفي ذلك عدم رعاية المذاهب التي تستوجب أن لا تسقط الزكاة عن المدافعين، وكاستخدام قضاة بالرسوم أو برواتب جزئية جدّاً. (ك).

(٣) تعطيل بعض أحكام الشرع كافٍ لخرق حرمته، وأما الأحكام النظاميّة، فمع كثرتها البالغة عشرات ألوف القضايا، لم يتفق إلى الآن إجراء شيء منها إلاّ بعض ما يتعلّق بسلب الأموال. (ك). أ. هـ. ويقصد بعبارة (إراديّة فعلاً) : تابعة لمشيئة مالكها.

٧٣ ـ تمييز الأسافل أصلاً وأخلاقاً وعلماً، وتحكيمهم في الرقاب الحرّة وتسليطهم على أصحاب المزايا، وهذا التهاون بشأن ذوي الشؤون يستلزم تسفّل الإدارة.

٧٤ ـ إدارة بيت المال إدارة إطلاق بدون مراقبة، وجزاف بدون موازنة، وإسراف بدون عتاب، وإتلاف بدون حساب، حتّى صارت المملكة مديونة للأجانب بديون ثقيلة تُوفَّى بلاداً ورقاباً ودماءً وحقوقاً.

٧٥ ـ إدارة المصالح المهمّة السياسيّة والملكيّة بدون استشارة الرعيّة ولا قبول مناقشة فيها. وإن كانت إدارة مشهودة المضرّة في كُلّ حركة وسكون.

٧٦ ـ إدارة الملك إدارة مداراة وإسكات للمطّلعين على معايبها حذراً من أن ينفثوا ما في الصدور فتعلم العامّة حقائق الأمور، والعامّة مَنْ إذا علموا قالوا، وإذا قالوا فعلوا، وهناك الطّامة الكبرى.

٧٧ ـ إدارة السياسة الخارجيّة بالتزلّف والإرضاء والمحاباة بالحقوق والرشوة بالامتيازات والنقود، تبذل الإدارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميهم عن المشاهد المؤلمة التخريبيّة، وصبرهم على الروائح المنتنة الإداريّة، ولولا تلك المشاهد والروائح لما وجد الجيران وسيلة للضغط، مع ما ألقاه الله بينهم من العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة.

ثم قال السيّد الفراتي : إن بعض هذه الأسباب التي ذكرتها، هي أمراض قديمة ملازمة لإدارة الحكومة العثمانيّة منذ نشأتها أو منذ قرون، وبعضها أعراض وقتيّة تزول بزوال محدثها، وربّما كان يمكن الصبر عليها لولا أنّ الخطر قرب ـ والعياذ بالله – من القلب كما أشار إليه الأستاذ الرئيس في خطابه الأوّل[1].

---

(١)أشار حضرة الرئيس وهو الأستاذ المكّي في خطابه الأوّل للحالة السيئة في الحجاز من فقد الأمن في بلد الله الأمين، والجور الفظيع الذي يقع على أهل الحرمين وزوّارهما من تنازع السلطات الثلاث الإمارة؛ والولاية والعسكريّة، وغير ذلك من الأحوال التي لا تُطاق وصار يشتكي منها عامّة الحجاج، ولا سيّما الداخلين تحت سلطة الأجانب وهم السَّواد الأعظم من المسلمين. ولا غرو أنّ هذه الحال تستدعيهم لأن يدعوا حكوماتهم للمداخلة في شؤون إدارة

ثم قال : ويلتحق بهذه الأسباب بعض أسباب شتّى أفصِّلها بعد تعدادها إلحاقاً بالخلاصات. وهي :

أسباب شتّى :

٧٨ ـ عدم تطابق الأخلاق بين الرعيّة والرعاة.
٧٩ ـ الغرارة، أي الغفلة عن ترتيب شؤون الحياة.
٨٠ ـ الغرارة عن لزوم توزيع الأعمال والأوقات.
٨١ ـ الغرارة عن الإذعان للإتقان.
٨٢ ـ الغرارة عن موازنة القوة والاستعداد.
٨٣ ـ ترك الاعتناء بتعليم النساء.
٨٤ ـ عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات.
٨٥ ـ الخور في الطبيعة، أي سقوط الهمّة.
٨٦ ـ الاعتزال في الحياة والتواكل.

أمّا عدم التطابق في الأخلاق بين الرعاة والرعيّة، فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمّل المدقّق في تواريخ الأمم من أعاظم الملوك الموفّقين والقوّاد الفاتحين كالإسكندرَيْن(١) وعمر(٢) وصلاح الدين(٣) رضي الله عنهما، وجنكيز(٤) والفاتح وشرلكان الألماني(٥) وبطرس الكبير وبونابرت، لم يفوزوا في تلك العظائم إلاّ بالعزائم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الأخلاق والمشارب تطابقاً تاماً، بحيث كانوا رؤوساً حقّاً لتلك الأجسام لا

الحجاز، لأجل حصولهم على الأمن والراحة، وحينئذ- لا قدّر الله – يتفانى العرب دون حفظ بيضة الإسلام كما تفانوا قبلاً وحدهم في دفع الصليبيّين عن المسجد الأقصى. (ك).

(١) الإسكندرَيْن : الإسكندر الكبير (٣٥٦-٣٢٤ ق.م) المُلَقَّب بذي القرنين. وُلد في مقدونية، وتُوفي في بابل. تعلّم على أرسطو. من أعظم الغزاة وأشجعهم. إسكندر ساويرُس (٢٠٥-٢٣٥) إمبراطور روماني. أبعدَ خطر الفرس، وحارب الجرمان. شجّع الأدب والفنون، واتخذ أولبيانُس الفقيه مستشاراً له. اغتيل.

(٢) عمر بن الخطاب.

(٣) صلاح الدِّين الأيوبي هو يوسف بن أيوب (٥٣٢-٥٨٩ هـ = ١١٣٨-١١٩٣ م) ولد في تكريت بالعراق، وُتوفي في دمشق. مؤسس الدولة الأيوبيّة. هزم الإفرنج قرب حطين ١١٨٧ م. أسر ملك القدس، وفتح بيت المقدس، ثم هادن الصليبيين.

(٤) جنكيز خان : ابن يشوكي، اسمه الأصلي تيموجين (١١٦٧-١٢٢٧ م) مُنشئ الإمبراطورية المغوليّة التي انتشرت في العالم.

(٥) شارلكان (١٥٠٠-١٥٥٨ م) شارل الخامس، ملك إسبانيا وألمانيا (١٥٥٦) تنازل عن الملك، واعتزل في الدير حتّى وفاته.

كرأس جمل على جسم ثور أو بالعكس. وهذا التطابق وحده يجعل الأمّة تعتبر رئيسها رأسها، فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها، حيث لا يكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي :

إنما الناسُ بالملوكِ وهلْ يُفلحُ عربٌ ملوكُها عجمُ [1]

ومما لا خلاف فيه أنّ من أهم حكمة الحكومات أن تتخلّق بأخلاق الرعيّة، وتتّحد معها في عوائدها ومشاربها، ولو في العوائد غير المستحسنة في ذاتها. ولا أقلّ من أن تجاري الحكومة الأجنبية أخلاق الرعيّة ولو تكلّفاً وقتيّاً، إلى أن تُوفّق لاجتذابهم إلى لغتها فأخلاقها فجنسيتها، كما فعل الأمويّون[2] والعباسيون[3] والموحّدون[4] وكما تهتم به الدول المستعمرة الإفرنجية في هذا العهد، وكما فعل جميع الأعاجم الذين قامت لهم دول في الإسلامية كآل بويه[5] والسلجوقيين[6] والأيوبيين[7] والغوريين[8] والأمراء

(١) كذا في الأصل، والصَّواب : وإنما الناس بالملوك وما تُفْلِحُ عرْبٌ ملوكها عجمُ والبيت من البحر المنسرح. ينظر : شرح ديوان المتنبي. وضعه البرقوقي، مج ٢، ج٤، ص ١٧٩.

(٢) بنو أمية، هم سلالة تولّت الحكم (٤٠-١٣٢ هـ = ٦٦٠-٧٥٠م) وكان عددهم /١٦ خليفة، عاصمتهم دمشق. ولمّا قضى العباسيون عليهم في المشرق انتقلوا إلى الأندلس.

(٣) سلالة حكمت بغداد (١٣٢-٦٥٦ هـ = ٧٥٠-١٢٥٨ م) وهم /٣٧ خليفة. ويتحدّرون من العباس بن عبد المطّلب عم الرسول (ص).

(٤) سلالة مغربية (٤٧١-٥٢٥ هـ = ١٠٧٨ – ١١٣٠ م) أسَّسها المهدي بن تومرت على قواعد شيعية في المغرب. قضت على دولة المرابطين عام ١١٤٦، ومدّت نفوذها إلى الأندلس. قضى عليها بنو مرين.

(٥) آل بويه : البويهيون : دولة إسلامية (٣٣٤ – ٤٤٧ هـ – ٩٤٥ – ١٠٥٥ م) تُنسب إلى أبي شجاع بن بويه من الديلم. تحكّم مع أبنائه في فارس وبغداد. لقّبه الخليفة بمعز الدولة. لم يكن للخليفة إبان حكمهم كلمة نافذة. غلبهم السلطان السلجوقي طغرل بك عام ١٠٥٥ م.

(٦) السلجوقيون : سلالة تُنسب إلى سلجوق، مُقدَّم عشيرة الغز التركية. سيطر السلاجقة على خوارزم وإيران، وقضوا على الدولة البويهية في فارس، ثم تجزّأت الدولة البويهية في القرن الثاني عشر الميلادي.

(٧) الأيوبيون : أسرة كردية الأصل، حكمت مصر والشام واليمن، أنشأها صلاح الدِّين الأيوبي (٥٦٧ هـ = ١١٧١ م).

(٨) الغوريون : أسرة إسلامية تنتسب إلى شرقي أفغانستان، نشأت ببلادغور خلفت الغزنويين في الهند، يرجع ازدهارها إلى السلطان محمد الغوري.

الجراكسة وآل محمد علي، فإنهم مالبثوا أن استعربوا، وتخلّقوا بأخلاق العرب، وامتزجوا بهم، وصاروا جزءاً منهم. وكذلك المغول[١] التاتار[٢] صاروا فرساً وهنوداً، فلم يشذّ في هذا الباب غير المغول الأتراك، أي العثمانيين، فإنهم بالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيريّة رعاياهم لهم، فلم يسعوا باستتراكهم[٣] كما أنهم لم يقبلوا أن يستعربوا، والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرنسوا، أو يتألمنوا [٤]. ولا يُعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب، كما يُستدلُّ عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الأمثال في حق العرب :

كإطلاقهم على عرب الحجاز (ديلنجي عرب) أي العرب الشحّاذين.

و إطلاقهم على المصريين (كور فلاح) بمعنى الفلاحين الأجلاف.

و (عرب جنكنه سي) أي نَوَرْ العرب. و(قبطي عرب) أي النَّوَر المصريين.

و قولهم عن عرب سوريا : (نه شامك شكري، ونه عربك يوزي) أي دع الشام وسُكّريّاتها ولا ترَ وجوه العرب.

و تعبيرهم بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان أسود.

و قولهم (بِسْ عرب) أي عربيّ قذر.

و (عرب عَقلي) أي عقل عربيّ، أي صغير. و(عرب طبيعتي) أي ذوق عربي أي فاسد. و(عرب جكه سي) أي حنك[٥] عربي، أي كثير الهزر.

---

(١) المغول : شعب آسيوي منتشر في منغوليا ومنشوريا وسيبيريا، وهم رعاة يتبعون البوذية اللامية، وهي أحد أشكال البوذية، ذات طقوس محكمة وتنظيم سلمي. تزعمهم جنكيزخان وخلفاؤه.

(٢) التتار : فئة من المغول اكتسحت أجزاء من آسيا وأوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي. وقد عُرفت سيبيريا ببلاد التتار. يعتنق معظمهم الإسلام.

(٣) جعلهم أتراكاً وهذا الكلام بل سياسة التتريك ولكن الحركة الطورانية فعلت ذلك فيما بعد بإيعاز من مصطفى كمال (أتاتورك).

(٤) يندمجون مع العرب أو الفرنسيين أو الألمان.

(٥) فك.

و قولهم (بوني يبارسه م عرب اوله يم) أي إنْ فعلتُ هذا أكون من العرب.

و قولهم (نرده عرب نرده طنبوره) أي أين العرب من الطنبور؟[1]

هذا، والعرب لا يقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمتين، الأولى هي قول العرب فيهم : (ثلاث خُلِقْنَ للجور والفساد : القمل والترك والجراد).

و الكلمة الثانية تسميتهم بالأورام[2] كناية عن الريبة في إسلاميتهم، وسبب الريبة أن الأتراك لم يخدموا الإسلامية بغير إقامة بعض الجوامع لولا حظّ نفوس ملوكهم بذكر أسمائهم على منابرها لم تقم.

و أنهم أتوا الإسلام بالطاعة العمياء للكبراء، وبخشية الفلك أبي المصائب، وباحترام مواقد النيران (أوجاقات) فزادوا بذلك بلاّت في طين الخرافات.

ثم قال السيد الفراتي : أرجو المعذرة من المولى الرومي لأنه يعلم أني ما أفرطتُ، ولولا الضرورة الدينية التي يعلمها لما صرَّحتُ، والناصح الغيور مَنْ يُبكيكَ لا مَنْ يُضحككَ.

قال الأستاذ الرئيس : إنّ أخانا السيد الفراتي خطيب قوّال وفارس جوّال، والأبحاث التي أشار إليها ذات ذيول طوال مع أنّ اليوم قد قرب وقت الزوال، فموعدنا غداً إن شاء المولى المتعال.

---

(١) الطنبور : آلة موسيقية وترية ترجع إلى أصل فرعوني. شائعة الاستعمال في سورية والعراق وتركيا، وهو على عدة أصناف أكبرها الطنبور التركي، والصغير منها يُسمّى (بزق).

(٢) نسبة إلى الروم.

الاجتماع الثامن
(غرارة المسلمين وأنواعها)
يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ

في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية، وقرأ البليغ[١] الإسكندري ضبط اليوم السابق على العادة المألوفة، وأذن الأستاذ الرئيس للسيّد الفراتي بإتمام بحثه.

فقال السيد الفراتي : إنّ من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم[٢]، أي عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة، لأنّه ليس فيهم مَنْ يرشدهم إلى شيء من ذلك بخلاف الأمم السائرة فإنّ من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة، أي الإرشاد إلى الحكمة في شؤون الحياة. وأمّا الأقوام الذين ليس عندهم خدمة دين، أو الشراذم الذين لا ينتمون لخدمة دينهم، فمستغنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو : التربية المدرسيّة، والأخذ من كتب الأخلاق، وكتب تدبير المنزل، ومفصّلات فن الاقتصاد، والتواريخ المتقنة، والرومانات[٣] الأخلاقية والتمثيلية، أي كتب الحكايات الوضعية، ونحو ذلك مما هو مفقود بالكليّة عند غير بعض خاصّة المسلمين.

على أن الخاصّة السالمين من الغرارة علماً، لا يقوون غالباً على العمل بما يعملون لأسباب شتّى، منها، بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشاة الأولى وقت الطفولة والصبوة، ومنها عدم

---

(١) كذا وردت، والمراد : الكامل الإسكندري.
(٢) الغرارة : الغفلة.
(٣) المسرحيات والروايات.

التمـرّن والألفـة[1] ومنهـا عـدم مسـاعدة الظـروف المحيطـة بهـم للاستمرار على نظام مخصوص في معيشتهم.

ثم قال : لا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنّها مُدرَكة مسلّمة عند الكافّة، وهي ما ينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : إنَّ المسلمَ مصابٌ، وإنّ الله إذا أَحَبَّ عبداً ابتلاه، وإنّ أكثر أهل الجنّة البُلْهُ، وإنّ حسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه[2]، وإنّ غيرنا مستدرجون، وإنهم كلاب الدنيا، وإنّهم أُعطوا ظاهراً من الحياة الدنيا، وإنّهم في غفلة الموت، وغفلة عن أنّ الدنيا شاخت.

ثم قال : فمن الغرارة في طبقاتنا كافّة من الملوك إلى الصعاليك أنّنا لا نرى ضرورة للإتقان في الأمور وقاعدتنا أنّ بعض الشيء يغني عن كلّه. والحقّ أنّ الإتقان ضروري للنجاح في أي أمر كان، يلزم، ويتحتّم ترك ذلك الأمر كليّاً والتحوّل عنه إلى غيره من المستطاع فيه إيفاء حقّ الاتقان.

ومن الغرارة توهّمنا أن شؤون الحياة سهلة بسيطة، فنظنّ أنّ العلم بالشيء إجمالاً ونظرياً بدون تمرّن عليه يكفي للعمل به، فيقدّم أحدنا مثلاً على الإمارة بمجرد نظره في نفسه أنّه عاقل مدبّر قبل أن يعرف ما هي الإدارة علماً، ويتمرّن عليها عملاً، ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها.

ويقدّم الآخر منّا على الاحتراف مثلاً ببيع الماء للشرب، بمجرّد ظنّه أنّ هذه الحرفة عبارة عن حملة قربة وقدحاً وتعرّضه للناس في مجتمعاتهم، ولا يرى لزوماً لتلقّي وسائل إتقان ذلك عمّن يرشده مثلاً إلى ضرورة النظافة له في قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه، وكيف يحفظ برودة مائه، وكيف يستبرقه ويوهم بصفائه ليشهّي به، ومتى يغلب العطش ليقصد المجتمعات، ويتحرّى منها الخالية عن المزاحمين، وكيف يتزلّف للناس، ويوهم بلسان حاله أنّه محترف بالإسقاء كفّاً لنفسه عن السؤال. إلى نحو هذا من

(١) كما يتربى أولاد أكثر أمرائنا على أيدي اللالات أو الخادمات، وما أدراك ما تلك الحيوانات!. (ك).

(٢) إشارة إلى بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

دقائق إتقان الصنعة المتوقّفة عليها نجاحه فيها، وإنْ كانت صنعته بسيطة حقيرة.

ومن (الغرارة) ظنّنَا أن الكياسة في "أدري وأقدر " جواباً للنفس في مقاصد كثيرة شتى. والحقيقة أن الكياسة لا تتحقق في الإنسان إلا في فنّ واحد فقط يتولّع فيه فيتقنه حقَّ الإتقان كما قال تعالى : ↓ ☛□✋ ♉⌧➔⌧✍• ✁☛✐✦ ♑♎❷◆♉⇖✍⍇ ✋✗♎♊ ☃•✍⌨♦✓⬃☜ ✖♐❼ ♉⌧❑⬁▫♎○♎⌚ ↑[1].

فالعاقل مَنْ يتخصّص بعمل واحد، ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره " لا أدري ولا أقدر " لأن الأول يتكلّف أعمالاً لا يحسنها فتنتظم أموره، ويهنأ عيشه.

فالملك مثلاً وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه، ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكلّيّات. فالملك مهما كان عاقلاً حكيماً لا يقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة.

فالملك إذا تغرّر وتنزّل للتداخل في أمور السياسة أو الإدارة الملكية أو الأمور الحربية أو القضاء، فلا شك أنه يكون كرّب بيت يُداخل طبّاخه في مهنته، ويشارك بستانيّه في صنعته، فيفسد طعامه، ويبور بستانه، فيشتكي، ولا يدري أن آفته من نفسه.

و من (الغرارة) اللوث في الأمور، أي تركها بلا ترتيب؛ والحكمة قاضية على كُلّ إنسان، ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل، فضلاً عن سائس رعية أو صاحب عائلة، أن يتخذ له ترتيباً في شؤونه، وذلك بأن يرتب :

أولاً – أوقاته حسب أشغاله، ويرتّب أشغاله حسب أوقاته. والشغل الذي لا يجد له وقتاً كافياً يهمله بالكليّة، أو يفوّضه لمن يفي حقّ القيام به عنه.

ثانياً – يرتّب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه، فإن ضاق دخله عن المبرم من خرجه يغير طراز معيشته، ولو بالتحوّل

---

(١) الأحزاب : ٤.

مـثلاً مـن بلـده الغاليـة الأسـعار أو التـي مظهـره فيهـا يمنعـه مـن الاقتصاد إلى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه.

ثالثـاً – يرتّـب تقليـل غائلـة عائلتـه عنـد أوّل فرصـة ملاحظـاً إراحة نفسه من الكدّ في دور العجز من حياته، فيربي أولاده ذكوراً وإناثاً علـى صورة أن كـلاً منـهم متـى بلـغ أشدّه يمكنـه أن يسـتغني عنه بنفسه، معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه.

رابعاً – يرتّب أموره الأدبيـة علـى نسبة حالتـه الماديـة، أعنـي يرتّب أموره الدينية ولذّاته الفكريّة وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً، فلا يُحمّل نفسه منها ما لاتطيق الاستمرار عليه.

خامسـاً – يرتّـب ميلـه الطبيعـي للمجـد والتعـالي علـى حسـب استعداده الحقيقـي. فـلا يتـرك نفسـه تتطـاول إلـى مقامـات لـيس مـن شأن قوّته المادية أن يبلغها إلاّ بمحض الحظّ، أي الصدف.

و خلاصـة البحـث أن الغـرارة مـن أقـوى أسـباب الفتـور، وقـد أطلتُ فـي وصـفها وإيضـاحها ليتأكـد عنـد السـادة الإخـوان أن إزالـة أسباب الفتور الشخصي ليس من عقيمات الأمور.

ثـم قـال : إنّ لانحـلال أخلاقنـا سـبباً مهمّـاً آخـر أيضـاً يتعلـق بالنسـاء، وهـو تَـرْكَهُنَّ جـاهلات علـى خـلاف مـا كـان عليـه أسـلافنا، حيث كان يوجد في نسائنا كـأم المـؤمنين عائشـة[١] رضـي الله عنـها التـي أخـذنا عنهـا نصـف علـوم ديننـا، وكمئـات مـن الصـحابيات والتـابعيـات راويـات الحـديث والمتفقّهـات، فضـلاً عـن ألـوف مـن العالمـات والشـاعرات اللاتـي فـي وجـودهن فـي العهـد الأوّل بـدون إنكار، حجّة دامغة ترغم أنف غيرة الذين يزعمون أن جهل النساء أَحفَظُ لعفّـتهنّ؛ فضـلاً عـن أنّـه لا يقـوم لهـم برهـان علـى مـا يتوهّمـون، حتـى يصـحّ الحكـم بـأن العلـم يـدعو للفجـور وأن الجهـل يدعو للعفة، نعم، ربّما كانت العالمة أقدر على الفجور من الجاهلـة، ولكنَّ الجاهلةَ أجسرُ عليه من العالمة.

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق (ت: ٥٨ هـ = ٦٧٨ م) أم المؤمنين، هي صاحبة الجمل في وقعة الجمل. وكانت مرجعاً في الرواية والحديث الشريف.

ثـم إنّ ضـرر جهـل النسـاء وسـوء تـأثيره فـي أخـلاق البنـين والبنات أمر واضح غنيّ عن البيـان. إنمـا سـوء تـأثيره علـى أخـلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول :

إن الرجال ميّـالون بـالطبع إلـى زوجـاتهم، والمـرأة أقدر مطلقـاً من الرجل في ميدان التجاذب للأخلاق، ولا يتوهّم عكس ذلك إلاّ مَن استحكم فيه تغرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخّرة لإرادتـه حال كون حقيقة الأمر أنها قابضة على زمامه تسوقه كيف شـاءت، وبتعبيـر آخـر يغرّه أنـه أمامهـا، وهـي تتبعـه، فيظنُّ أنّـه قائـد لهـا، والحقيقة التي يراها كل النـاس من حولهمـا دونـه أنهـا إنمـا تمشـي وراءه بصفة سائق لا تابع.

و مـا قَدَّرَ قـدرَ دهـاء النسـاء مثـل الشـريعة الإسـلامية، حيـث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرّغهن لتدبير المنـزل، فـأمرت باحتجـابهن احتجابـاً محـدوداً بعـدم إبـداء الزينـة للرجـال الأجانـب، وعـدم الاجتمـاع بهـم فـي خلـوة أو لغيـر لـزوم. وأمرت باستقرارهن في البيوت إلا لحاجة. ولاشك أنـه مـاوراء هذه الحـدود إلاّ فـتح بـاب الفجـور، وماهـذا التحديـد إلاّ مرحمـة للرجـال وتوزيعاً لوظائف الحياة.

و الصينيون ـ وهم أقدم البشـر مدنيـةً ـ التزمـوا تصـغير أرجـل البنـات بالضـغط عليهـا لأجـل أن يعسـرَ عـليهنَّ المشـي والسـعي فـي إفسـاد الحيـاة الشـريفة[١]. ذاك الشـرف الـذي هـو مـن أهـم مقاصـد الشـرقيين، بخـلاف الغـربيين الـذين لا يهمهـم غيـر التوسـع فـي الماديات والملذّات.

و قـد أمـرت الشـريعة برعايـة الكفـاءة فـي الـزوج وذلـك أيضـاً مرحمـة بالرجـال. وأكثـر الأئمـة المجتهـدين أغفلـوا لـزوم تحـرّي الكفاءة في جانب المرأة للرجل. وأوجبوا أن يكون هو فقط كفوءاً لهـا كي لا تهلكه بفخارها وتحكّمها. على أنّ لرعايـة الكفـاءة فـي المـرأة للرجـل أيضـاً موجبـات عائليـة مهمـة منهـا : التخييرللاستسـلام والتخيير لتربية النسل، وللتسـاهل فـي ذلك دخل عظيم فـي انحـلال الأخلاق في المدن. لأن التزّوج بمجهولات الأصـول أو الأخـلاق، أو

---

(١) ولكن هدف الصينيين في ذلك جماليٌّ بحتٌ.

بسافلات الطباع والعادات، أو بالغريبات جنساً أو الرقيقات، مفاسد شتى. لأن الرجل ينجرُّ طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته، فإنْ كانت سافلة يتسفّل لا محالة، وإنْ كانت غريبة بَغَّضَتْهُ في أهله وقومه، وجَرَّتْهُ إلى موالاة قومها والتخلق بأخلاقهم. ولاشكّ أن هذه المفسدة تستحكم في الأولاد أكثر من الأزواج.

و ربّما كان أكبر مُسَبِّبٍ لانحلال أخلاق الأمراء من المسلمين أتاهم من جهة الأمهات والزوجات السافلات، إذْ كيف يُرجى من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة[١] أن تترك بعلها ـ وهو في الغالب أَطوَعُ لها من خلخالها ـ أن يجيب داعي شهامة أو مروءة ؟ أو أن تغرس في رؤوس صبيتها أميالاً سامية، أو تحمّسهم على أعمال خطرة ؟ كلاّ، لا تفعل ذلك أبداً، إنما تفعله الشريفات اللاتي تجدن في أنفسهن عزّة وشهامة[٢] وهذا هو سرّ أن أعاظم الرجال لا يوجدون غالباً إلاّمن أبناء وبعول نسوة شريفات أو بيوت قرويّة. وهذا هوسبب حرص الأمراء العرب والإفرنج على شرف الزوجات.

ثم قال السيد الفراتي أيضاً : وإني أرى أنّ هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العلية من الأمة ولاسيّما في الشيوخ، مرتبة (الخور في الطبيعة) لأننا نجدهم: ينتقصون أنفسهم في كل شيء، ويتقاصرون عن كُلّ عمل، ويحجمون عن كُلّ إقدام، ويتوقّعون الخيبة في كُلّ أمل.

و من أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال في الأجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم، فيندفعون لتقليد الأجانب واتّباعهم فيما يظنونه رقّة وظرافة وتمدّناً. وينخدعون لهم فيما يغشونهم به : كاستحسان ترك التصلّب في الدِّين والافتخار به، فمنهنّ مَنْ يستحيي من الصلاة في غير الخلوات. وكإهمال التمسُّك بالعادات القومية، فمنهم مَنْ يستحيي من عمامته. وكالبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأنّ قومهم من سقط البشر. وكنبذ التحزّب للرأي كأنهم خُلقوا قاصرين. وكالغفلة عن إيثار الأقربين في المنافع.

---

(١) كالكرجيات والأرمنيات والرقيقات الجركسيات أمهات أكثر الأمراء وزوجاتهم.(ك).

(٢) كبنات بيوت المجد الحريصات على الفخر، وبنات أهل البادية والقرى الأبيّات النفوس.(ك).

وكالقعود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يُشمّ من ذلك رائحة التعصّب الديني، وإنْ كان على الحقّ. إلى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من المسلمين، الحميدة في الأجانب، لأن الأجانب يُموِّهون عليهم بأنهم يُحسنون التحلّي بها دونهم.

و هؤلاء الواهنة يحقّ لهم أن تُشقَّ عليهم مفارقةُ حالات ألفوها عمرهم، كما قد يألف الجسمُ السَّقمَ، فلا تلذُّ له العافية. فإنهم منذ نعومة أظفارهم تعلّموا الأدب مع الكبير، يُقَبِّلُون يده أو ذيله أو رجله، وألفو الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم، وألفوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق، وألفوا الانقياد ولو إلى المهالك، وألفوا أن تكون وظيفتهم في الحياة دون النبات، ذاك يتطاول وهم يتقاصرون، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الأرض كأنهم للموت مشتاقون.

و هكذا طول الألفة على هذه الخصال قَلَبَ في فكرهم الحقائق، وجعل عندهم المخازي مفاخر؛ فصاروا يسمّون التصاغر أدباً، والتذلّلَ لطفاً، والتملّقَ فصاحةً، واللكنة رزانةً، وتركَ الحقوقَ سماحةً، وقبول الإهانة تواضعاً، والرضاءَ بالظلم طاعةً. كما يسمّون دعوى الاستحقاق غروراً، والخروجَ عن الشأن الذاتي فضولاً، ومدّ النظر إلى الغد أملاً، والإقدام تهوّراً، والحميةَ حماقةً، والشهامةَ شراسةً، وحريةَ القول وقاحةً، وحُبّ الوطن جنوناً.

ثم قال : ولِيُعلم أنّ الناشئة الذين تعقد الأمة آمالها بأحلامهم عسى يصدق منها شيء، وتتعلّق الأوطان بحبال همّتهم عساهم يأتون فعلاً مذكوراً، هم أولئك الشباب ومَنْ في حكمهم المحمّديون المهذّبون، الذين يُقال فيهم إنّ شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الأساسية نحو الصلاة والصوم، ويتجنّبون مناهيه الأصلية نحو الميسر والمسكرات. الذين لا يقصرون بناء قصور الفخر على عظام نخرها الدهر، ولا يرضون أن يكونوا حلقة ساقطة بين الأسلاف والأخلاف، الذين يعلمون أنهم خُلقوا أحراراً فيأبون الذلّ والإسار. الذين يودّون أن يموتوا كراماً، ولا يحيون لئاماً، الذين يجهدون أن ينالوا حياة رضيّة، حياة قوم كُلّ فرد منهم سلطان مستقلّ في

شـؤونـه لا يحكمــه غيــر الــدِّين، وشــريك أمــين لقومــه يقاســمهم ويقاسمونـه الشقاء والهنـاء، وولـد بـارّ بوطنـه لا يبخـل عليـه بجـزء طفيف من فكره ووقته وماله. الذين يحبّون وطنهم حُبَّ مَنْ يعلم أنـه خُلق من ترابه. الذين يعشقون الإنسـانية ويعلمـون أنَّ البشـرية هـي العلم، والبهيمية هي الجهالة. الذين يعتبرون أنّ خير النـاس أنفعهم للنــاس. الــذين يعرفــون أن القنــوط وبــاء الآمــال، والتــردُّدَ وبــاء الأعمال. الذين يفقهون أن القضاء والقدر هما السعي والعمل. الذين يوقنون أنّ كُلَّ ما في الأرض من أثـر هـو مـن عمـل أمثـالهم البشـر، فلا يتخيّلون إلا المقدرة ولا يتوقّعون من الأقدار إلا خيراً.

و أما الناشئة المتفرنجة فلا خير فـيهم لأنفسـهم فضـلاً عـن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً، وذلك لأنهم لاخـلاق لهـم، تتجـاذبهم الأهـواء كيـف شـاءت، لا يتّبعـون مسلكاً ولا يسـيرون علـى نـاموس مطّرد، لأنهم يحكّمون الحكمة، فيفتخرون بدينهم، ولكنْ، لا يعملـون بـه تهاونـاً وكسـلاً [١] ويـرون غيـرهم مـن الأمـم يتبـاهون بـأقوامهم، ويستحسـنون عـاداتهم ومميـزاتهم فيميلـون لمنـاظرتهم، ولكـنْ، لا يقوون علـى تَـرْكَ التَّفَـرْنُجِ كـأنهم خُلقـوا أتباعـاً [٢] ويجـدون النـاس يعشـقون أوطـانهم، فينـدفعون للتشـبُّهِ بهـم فـي التشـبيب والإحسـاس فقط، دون التشبث بالأعمال التي يستوجبها الحبُّ الصادق.

و الحاصل، أن شـؤون الناشـئة المتفرنجـة أيضـاً لا تخـرج عـن تذبذب وتلوّن ونفاق، يجمعها وصف " لاخلاقَ لهم " والواهنة خير منـهم، متمسّكون بالدِّين ولو رياء، وبالطاعة ولو عميـاء، علـى أنـه يوجد في المتفرنجة أفراد غيورون كالراسخين مـن أحـرار الأتـراك، الملتهبين غيرة تقتضي احترام مزيّتهم.

---

(١) أكبر ما يشقُّ عليهم ويتكاسلون عن الصلاة التي هي عماد الدِّين، ولنخاطبهم بلسانهم فنقول إنَّ الطهارة والوضوء هما عين (التواليت) أو بعضه، ويتمّان بدقيقتين أو ثلاث، وأفعال الصلاة هي عين (الجمنستيك) وأكمل منه لأنها موزّعة، ولا تستغرق الركعة منها أكثر من دقيقة، فأطول صلاة تطول عشر دقائق. بناءً عليه، فليبكِ على نفسه مَنْ يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم، اللذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يعرف بهما المسلم أخاه لكفى.(ك).

(٢) هذه حكمة الشرع في حظره تَرْكَ سنّة الأسلاف وتقليد الأغيار ولو في اللباس. وهذه الأمم الإفرنجية تنفر من التقليد حتى في القياس والموازين (ك).

ثم قال السيد الفراتي : إن الخور المبحوث فيه علّة معدية تسري من الشيوخ إلى الشباب ومن الطبقة العليا إلى العامة. وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كَتَبَهُ الله عليهم من الذلّة والمسكنة، والخمول وسقوط الهمّة، والدناءة والاستسلام، فيتركوا أهل النشأة الجديدة وشأنهم، لا يستهزؤون ولا يعطلون، ولا يسفهون ولا يثبطون. وما أظنهم بفاعلين ذلك أبداً إلا أنْ تتصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم باللَّوم والتبكيت، وتُسلّط عليهم أقلام الأدباء وألسنة الشعراء، بوضع أهاجي وأناشيد بعبائر[1] بسيطة محلاّة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على ألسنة العامّة. وبمثل هذا التدبير تثور حرب أدبية بين الناشئة والواهنة، لا تلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية : أولئك البائسين الفاشلين، المتواكلين، المتقاعسين، المتخاذلين، المتشاكسين، العاجزين عن كل شئ إلا التعطيل.

و مَنْ راجع تواريخ الأمم التي استرجعت نشأتها والدول التي جدّدت عصبيتها، يجد من حكمائها ونجبائها مثل حسان قريش[2] وكميت[3] العباسيين ولوثر[4] الألمانيين وفولتر[5] الفرنساويين، قد تغلّبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل العناد والفساد، بحمل لواء الناشئة وإثارة حرب أدبية حماسية بين الفئتين. على أننا نحن تكفينا الضوضاء ولا نحتاج قطّ للفوضى، لأن واهنتنا أضعف من أن تحوجنا أن ننتظر أم حسان تلد حسَّاناً. ورُبَّ حيلة أنفع من قبيلة.

---

(١) بعبارات.

(٢) حسان : هو حسان بن ثابت الأنصاري. شاعر مخضرم وُلد في يثرب. أسلم، وغدا من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم. هجا القرشيين. ولُقِّبَ بشاعر النبي. له ديوان شعر.

(٣) الكُميت : هو الكُميت بن زيد الأسدي (٦٧٩-٧٤٣ م) شاعر وخطيب من الكوفة. اشتهر في العصر الأموي. ناصر المضريين ضدّ القحطانيين. وكان شيعياً. له ديوان "الهاشميات" يمدح فيه بني هاشم.

(٤) لوثر : مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦ م) زعيم الإصلاح البروتستانتي. درّس القانون، ثم تحوّل عنه. ساءه الانحلال الروحي المتفشي في الأوساط الكنسية العليا فبدأ خطأ لإصلاح عقيدة الكنيسة وطرق العبادة فيها.

(٥) فولتير : فرانسوا فولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨ م) فيلسوف ومُفكّر فرنسي. أعاد كتابة مسرحية أوديب. له كُتُبٌ كثيرة. كرَّس حياته للدفاع عن ضحايا الدِّين والسياسة. تميز بنقد لاذع. والأفغاني يَعُدُّ فولتير مارقاً بعكس نظرة الكواكبي إليه.

(
٣٩٣٤٢٣٣٤٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٨٢٢١٣٠٧١٩٢٣٤١٧٤١٦٨٢
٤٢١٣١١٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧٤٢٤٠٤٣٣٣٢١
٢٥٩٤١٤١٠٢٦١١١٨١٠١٤٩٧٧٥٥٥٨٧٥٣٢٢٨٨٩٣٥٧٤٥١٩٠٥٠٥٣٣٤٧
٧٦٦٢٤٥٥٢٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٢٩٤١٧٧٦٦٨٧٥)[1] وهذا أنجع دواء، والله ولي النيات.

ثم ختم السيد الفراتي كلامه بقوله : هذا ما سنح لي في هذا المرام، وقام وتبادل مع الفاضل الشامي والبليغ الإسكندري[2] المقام.

قال الأستاذ الرئيس : إنّ مباحث الجمعيّة قد استوفت حقّها، وكفانا السيّد الفراتي تلخيص أسباب الفتور منها، ولا أرى لزوماً لتلخيص بقية المباحث الدينية.

و قد أعطاني أخونا المدقِّق التركي رئيس لجنة القانون (السانحة) التي وضعتها اللجنة، مطبوعة في نسخ على عدد الإخوان لِتُوزَّع عليهم، فيطالعها كُلٌّ منهم، ويدقّقها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المذاكرات حيث يُبحث فيها قضية قضية بدون جزاف،و أما اليوم فقد حلَّ أوان الانصراف.

بادر السيّد الفراتي، وفرّق على كُلّ واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سانحة القانون فأخذوها، وتفرّقوا.

---

(١) الشيفرة التي اعتمدها المؤلف، ولم يتمكن من أحد من حلّها بعد.
(٢) المقصود : الكامل الإسكندري. والكواكبي يُخطئ بالاسم أكثر من مرة في النسخ كلها.

الاجتماع التاسع
(مناقشة قانون الجمعية)
ويتبعه الاجتماع العاشر والحادي عشر
يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ

في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية، وقرأ كاتبها السيّد الفراتي ضبط مفاوضات اليوم السابق حسب الأصول المرعّية.

قال الأستاذ الرئيس : إننا نقرأ قانون الجمعية، وقد علم الإخوان ـ من مطالعة السانحة التي وضعتها اللجنة ـ أن هذا القانون هو الآن في حكم قانون مؤقت، إلى أن تتشكّل الجمعية الدائمة ـ إنْ شاء الله ـ وتزاول وظائفها. فهي تعيد النظر فيه، وتعتني بتطبيقه على الموجبات والتجربات، ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه، فإذا أمضته صار حينئذ قانوناً راسخاً.

فلنقرأ الآن قضايا القانون[١] فقرة فقرة، حتى إذا كان لأحد الإخوان ملاحظة على بعض الفقرات فليبدِها عند قراءتها، وبعد المناقشة إمّا تقبل أو تردّ أو تُعدَّل بالأكثرية. وعلى كُلّ حال تُضبَطُ المناقشة في سجل مخصوص كشرح للقضايا[٢] يُرجع إليه عند اللزوم.

ثم أمر الأستاذ الرئيس بقراءة سانحة القانون، فَقُرئت، وجرت على بعض القضايا وبعض الفقرات منها مناقشات، وتولّى المدقِّق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيضاحات اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه، فقبل أكثر قضاياه، وعدَّل بعضها، وضُبطت المناقشات على حدة.

---

(١) موادّه.

(٢) تفسير المواد.

و قد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم، وكذلك جلسة الاجتماع العاشر المنعقد يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر، وجلسة الاجتماع الحادي عشر المنعقد مساء الأحد أي ليلة الاثنين.

الاجتماع الثاني عشر
(قانون الجمعية)
يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب معتادها.

أمر الأستاذ الرئيس بقراءة القانون الذي تقرّر في الاجتماعات الثلاثة السابقة متناً مجرّداً فَقُرِئ، وهذه صورته :

قانون جمعية تعليم الموحِّدين
المقـــــــدمــــــة:

قد تقرّر في الجمعية المنعقدة في مكّة المكرّمة في ذي القعدة، سنة ست عشرة وثلاثمأة وألف، المسمّاة (جمعية أمّ القرى) النتائج الآتية :

١ ـ المسلمون في حالة فتور مستحكم عام.
٢ ـ يجب تدارك هذا الفتور سريعاً وإلا فتنحل عصبيّتهم كلياً.
٣ ـ سبب الفتور تهاون الحكّام، ثم العلماء ثم الأمراء.
٤ ـ جرثومة الداء الجهل المطلق.
٥ ـ أضرّ فروع الجهل : الجهل بالدِّين.
٦ ـ الدواء هو : أولاً: تنوير الأفكار بالتعليم.
ثانياً: إيجاد شوق للترقّي في رؤوس الناشئة.
٧ ـ وسيلة المداواة عقد الجمعيات التعليمية القانونية.
٨ ـ المكّلفون بالتدبير هم حكماء ونجباء الأمة من السراة والعلماء.
٩ ـ الكفاءة لإزالة الفتور بالتدريج موجودة في العرب خاصّة.

١٠ ـ يلزم تشكيل جمعية ذات مكانـة ونفـوذ فـي دائـرة القـانون الآتي البيان باسم: (جمعية تعليم الموحِّدين).

الفصل الأول :

في تشكيل الجمعية

قضية (١)

تتشكّل الجمعية من مائة عضو، منهم عشرة عاملون، وعشرة مستشـارون، وثمـانون فخريّـون، ويـرتبط بالجمعيـة أعضـاء محتسبون لا يتعيَّن عددهم.

قضية (٢)

يجب أن يكـون الأعضـاء كلهـم مُتّصـفين بسـتّ صـفات عامـة، وهي :

سلامة الحواسّ؛ وكون السِّنِّ بين الثلاثين والستين ابتداءً.

٢ ـ الإسلاميّة؛ من أي مذهب كان من مذاهب أهل القبلة.

٣ ـ العدالـة؛ بحيـث يكـون غيـر متجـاهر بمعصـية شـرعية إجماعية، ولا متلبّس أو معروف بخلّة منافية للمروءة.

٤ ـ المزيّة بعلم أو جاه أو ثروة[١].

٥ ـ الكتابة بإتقان؛ في لغة ما ولو عاميّة.

٦ ـ النشاط؛ بأن يكون ذا همّة ونجدة وحميّة.

قضية (٣)

يُشترط في الأعضاء العاملين والمستشارين زيادة أربع صفات على ماسبق، وهي :

١ ـ القدرة على التكلّم والكتابة بالعربيّة.

٢ ـ إمكان الإقامـة ثمانيـة أشـهر فـي مركـز الجمعيّـة، وهـي مـا عدا ذي الحجّة ومحرّماً وصفراً وشهر ربيع الأوّل.

---

(١) ليس المقصود من الثروة ذاتها، بل إعانتها صاحبها على بعض الأخلاق الشريفة (ك).

٣ ـ تفرّغ العاملين للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كلّ يوم ماعدا الجمعة والأعياد.

٤ ـ تفرّغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كلّ أسبوع.

قضية (٤)

يُشترط في الأعضاء الفخريّين زيادة ثلاثة صفات، وهي :

١ ـ القدرة على الكتابة في إحدى اللغات الأربع؛ وهي العربيّة والتركيّة والفارسيّة والأورديّة.

٢ ـ الاستعداد لمراسلة الجمعيّة بإحدى هذه اللغات في كلّ شهر مرّة بمقالة أو رسالة أو فصل من تأليف يُقترح موضوعه من قبل الجمعيّة أو هو يتخيّره، والجمعية تستصوبه، وتقرّره.

٣ ـ الإذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها[١].

قضية (٥)

تتشكّل جمعية عامّة في كل سنة مرة في أوائل ذي القعدة يُدعى إليها الأعضاء حتى المحتسبون، فيحضرها العاملون مطلقاً ومَنْ شاء من الباقين.

قضية (٦)

الجمعية العامّة، بالمذاكرة والانتخاب الخفي[٢] والأكثرية المطلقة، تميّز أولاً[٣] المترشحين للهيئة العاملة، ثم المترشحين للهيئة، المستشارة.

---

(١) قضية مؤقتة : يبتدئ تشكيل الجمعية حسبما يتسهل للمؤسّس، وهو يرأسها مؤقتاً، وله أن ينيب عنه مَنْ يشاء. وعندما يبلغ عدد الأعضاء المكتتبين قدراً كافياً يجمعهم لينتخبوا الهيئة العامة والهيئة المستشارة. (ك).

(٢) الاقتراع السرّي.

(٣) تنتخب.

قضية (٧)

الهيئتان العاملة والمستشارة تجتمعان، وبالمذاكرة وأكثرية الثلثين تُميِّزان أولاً المترشحين منها للرياسة، ولنيابة الرياسة، وللكتابة الأولى، وللكتابة الثانية[١] ولأمانة المال. ثم تنتخبان من المترشحين رئيساً لأَجَل[٢] سنة، ونائب رئيس لأجل سنتين، وكاتباً أولاً لأجل ثلاث سنين، وكاتباً ثانياً، وأمين مال لأجل أربع سنين.

قضية (٨)

الهيئتان العاملة والمستشارة يُدقِّقون صفات الذين يُراد أن يكونوا من الأعضاء الفخريين أو المحتسبين، ثم بالانتخاب الخفي والأكثرية المطلقة يقبلون، أو يردون.

قضية (٩)

للهيئتين العامة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عمَّن يُعلَمُ وقوع حالة منه تستوجب ذلك، وتتحقَّقُ خفياً، وتُصدق بأكثرية الثلثين.

---

(١) سكرتير أول، سكرتير ثان.
(٢) لمدة.

قضية (١٠)

الجمعية العامة تقوم بأربع وظائف، وهي :

١ ـ تدقيق إجمالي في جميع الأعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية.

٢ ـ تدقيق حساباتها الماضية.

٣ ـ تقرير ما يلزم التشبث به من الأعمال الكبيرة في السنة المستقبلة.

٤ ـ تقرير نفقات السنة القابلة.

قضية (١١)

المركز الرسمي للجمعية مكّة المكرمة، ولها شعبات في القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وتفليس وطهران وخيوه وكابل وكلكتة ودهلي[١] وسناكابور[٢] وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة.

قضية (١٢)

يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعية المركزية مصغراً. وتكون مرتبطة تماماً بالجمعية فيما عدا ماليتها وجزئيات أمورها، فإنّ لها الخيار أن تكون مستقلة المالية والإدارة.

قضية (١٣)

---

(١) دلهي.
(٢) سنغافورة. وهي مدينة في جزيرة سنغافورة. أعظم قاعدة بحرية بريطانية في الشرق الأقصى. غالبية سكانها من الصينيين.

تتشكل الشعبات على التراخي، ويُعطى للبعض المناسب الموقع منها هيئة تصلح معها لأن تُتَّخَذَ عند مسيس الحاجة هي المركز الأصلي.[1]

الفصل الثاني:
في مباني الجمعية

قضية (١٤)

الجمعية لا تتداخل في الشؤون السياسية مطلقاً، فيما عدا إرشادات وإخطارات بمسائل أصول التعليم وتعميمه.

قضية (١٥)

ليس من شأن الجمعية أن تكون تابعة أو مرتبطة بحكومة مخصوصة، على أنها تقبل المعاونة أو المعاضدة من قبل السلاطين العظام والأمراء الفخام المستقلّين والتابعين بصفة حماة فخريين.

قضية (١٦)

لا تنتسب الجمعية إلى مذهب أو شيعة مخصوصة من مذاهب وشيع الإسلام مطلقاً.

قضية (١٧)

توفق الجمعية مسلكها الديني على المشرب السلفي المعتدل، وعلى نبذ كل زيادة وبدعة في الدِّين، وعلى عدم الجدال فيه إلاّ بالتي هي أحسن.

---

(١) قضية مؤقتة : المركز يكون في السني الأولى للجمعية في بور سعيد أو الكويت. ثم ينتقل إلى مكّة بعد الرسوخ أو عند إقامة مراكش وأفغان وإيران وغيرها وكالات سياسية لها في مكة. وعلى كل حال يكون للجمعية يد قوية في مكّة ولو خفية. (ك)

قضية (١٨)

يكون شعار الجمعية القولي : (لا نعبد إلاّ الله). وشعارها الفعلي التزام (المصافحة) على وجه السنّة. ووجهتها : (الغيرة على الدِّين قبل الشفقة على المسلمين). وأهم أعمالها (تعليم الأحداث وتهذيبهم) تُراجع قضية ٤٦ و٤٧ و٤٨.

قضية (١٩)

أعضاء الجمعية لا يتكلّفون التناصر والتعاون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية، أي التعاون بالمال أو الجاه فيما بينهم إلاّ لمن يُصاب ويتضرّر بسبب الجمعية.

قضية (٢٠)

تتكفل الجمعية بإعاشة عدد مخصوص من أصحاب المزايا العلمية الخاصة، أو العزائم الخارقة العادة، بشرط أن يكونوا مجرّدين لا عيال لهم، أو شبيهين بالمجردين.

الفصل الثالث :
في مالية الجمعية

قضية (٢١)

نفقات الجمعية تُبنى على غاية من البساطة والاقتصاد، وهي تسعة أنواع :

١ ـ إكمال كفاية الهيئة العاملة بما لا يزيد على ستين ذهباً إنكليزياً لكل واحد في السنة.

٢ ـ رواتب الكُتّاب والمترجمين والخدم.

٣ ـ أجرة محلاّت المراكز والشعب غير المستقلّة مالياً.

٤ ـ مصاريف البعوث المتجوّلة.

٥ ـ مصاريف المطبوعات.

٦ ـ مصاريف التحرير والتأليف.
٧ ـ مصاريف البريد والمخابرات.
٨ ـ كفاية المكفول أعاشتهم المذكورين في القضية (٢٠).
٩ ـ المصاريف المتفرقة.

قضية (٢٢)

تعتمد الجمعية على نفقاتها على جهتين فقط : النصف من ربح مطبوعات الجمعية، أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه، والنصف الآخر من إعانات أصحاب الحميّة والنجدة من الأمراء وأغنياء الأمة وبعض الأعضاء المحتسبين.

قضية (٢٣)

أمين المال يكون من أغنياء التجّار المشاهير المقيمين في مركز الجمعية، ويكون من جملة الأعضاء المستشارين، ويقوم بهذه الخدمة حسبة لربّه ودينه، ويكون المال في يده بوجه مضمون.

قضية (٢٤)

أمين المال يعطي وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوماً عليها عدد متسلسل، ومرقماً في جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم.

قضية (٢٥)

أمين المال لا يصرف شيئاً إلاّ بورقة صرف مطبوعة مرقّماً عليها عدد متسلسل وموقّعاً عليها من القابض وكاتب الجمعية ورئيسها.[١]

الفصل الرابع:
في وظائف الجمعية

قضية (٢٦)

الهيئتان العاملة والمستشارة بالاتفاق أو أكثرية الثلثين تعيدان النظر في قانون الجمعية مرة ابتداء، ثم كل ثلاث سنين مرّة، وتنظمان القوانين التي تلزم؛ ويجب مطلقاً أن يكون ترتيب القوانين تابعاً لقواعد التروّي والتدقيق والتأمين. وترتبط كل قضية بشرح مفصّل مسجل يرجع إليه.

ولا يصير القانون دستوراً للعمل إلاّ بعد قراءته في الجمعية العامة السنوية وقبوله. ويجوز للهيئتين عند الضرورة تقرير إجراء البعض من أحكام تلك القوانين مؤقتاً، ثم تعرض على الجمعية العامة الأسباب المجبرة على التعجيل.

---

(١) ملاحظة مؤقتة : يكفي الجمعية في السنين الأولى مقدار خمسة آلاف جنيه ذهب إنكليزي فقط، وحصول ذلك ليس بذي بال. (ك).

قضية (٢٧)

إيقاظ فكر علماء الدِّين إلى الأمور الخمسة الآتية، وتنشيطهم للسعي في حصولها ومساعدتهم بإرادة أسهل الوسائل وأقربها، وهي :

١ ـ تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمهما.

٢ ـ الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمها وتلقّيها.

٣ ـ تخصيص كُلٍّ من المدارس والمدرِّسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الأمة أفراداً نابغون متخصِّصون.

٤ ـ إصلاح أصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدِّينية وتسهيل تحصيلها، بحيث يبقى في عمر الطالب بقية يصرفها في تحصيل الفنون النافعة.

٥ ـ الجدُّ وراء توحيد أصول التعليم وكُتُبِ التدريس.

قضية (٢٨)

السعي في تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب :

١ ـ لتعليم المبتدئين أو المكتفين بالمبادئ.

٢ ـ لتعليم المنتهين الطالبين الإتقان.

٣ ـ لتعليم النابغين الراغبين في الاختصاص.

قضية (٢٩)

الاهتمام في جعل المتعلّمين والمعلّمين على أربع مراتب :

١ ـ العامّة ومعلّموه أئمة المساجد والجوامع الصغيرة.

٢ ـ المهذبون ومعلّموهم مدرّسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة.

٣ ـ العلماء ومعلّموهم مدرّسو المدارس المختصة بالعلوم العالية.

٤ ـ النابغون ومعلّموهم الأفاضل المتخصِّصون.

قضية (٣٠)

السعي لدى أمراء الأمة بمعاملة كافة طبقات العلماء معاملة الأطباء، أي بالحجر رسماً على مَنْ يتصدَّر للتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد ما لم يكن مجازاً من قبل هيئة امتحانية رسمية وموثوق بها تُقام في العواصم.

قضية (٣١)

التوسّل لدى الأمراء أن يُعطوا لأحد العلماء الغيورين في كُلّ بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة، ويجعلوا له مستشارين منتخبين من عقلاء الأهالي، وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بأن تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف، وبتسهيل تعميم المعارف والمحافظة على الأخلاق الدِّينية.

قضية (٣٢)

التوسّل لنيل العلماء ما يستحقون من رزق وحرمة، ومنعهم عن كل ما يخلّ بصفتهم وشرفهم[1].

قضية (٣٣)

التوسّل لحمل أهل الطرائق على الرجوع إلى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الإرشاد وتربية المريدين. وتكليف كُلّ فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها الأمة الإسلامية من نحو اختصاص فرقة كالقادرية مثلاً بإعاشة وتعليم الأيتام، وأخرى بمواساة المساكين وأبناء السبيل، وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين، وفئة بالتشويق إلى الصلاة، وغيرها بالتنفير عن

---

(١) كالقعود في محلات القهوة والتجوّل في المجتمعات وركوب الحمير ونحو ذلك مما لا يقدم عليه أمثالهم في الملل الأخرى. (ك).
والطريف أن الكواكبي نفسه كان كثير الجلوس في المقهى، حتى إنه شرب قهوته ـ التي يُقال إنها سبب موته ـ فيه.

المسكرات. ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعيّة، فيكون عملهم هذا عوضاً عن العطل والتعطيل.

قضية (٣٤)

حمل العلماء والمرشدين وجمعيات الاحتساب على السعي لإرشاد أفراد الأمة، خصوصاً أحداثها، إلى قواعد معاشية وأخلاقية متحدة الأصول تلائم الإسلامية والحرية الدِّينية، وتفيد تريّض الأجسام وتقوية المدارك، وتثمر النشاط للسعي والعمل، وتولد الحميّة والأخلاق الشريفة.

قضية (٣٥)

تعتني الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات أخلاقية ملائمة للدِّين والزمان، وتكون على مراتب من بسيطة ومتوسطة وعالية، بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام مطوّلات الصوفية.

ونقوم بوضع مؤلّفات اللغة، وسطى عربية لا مضرية ولا علميّة، وجعلها لغة لبعض الجرائد ولمؤلفات الأخلاق ونحوها مما يهم نشره بين العوام فقط[١].

قضية (٣٦)

تعتني الجمعية في حمل العلماء وجمعيات الاحتساب على تعليم الأمة ما يجب عليها شرعاً من المجاملة في المعاملة مع غير المسلمين، وما تقتضيه الإنسانية والمزايا الإسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه، ورعاية الذمة والتأمين والمساواة في الحقوق، وتجنّب التعصّب الديني أو الجنسي بغير حقّ.

قضية (٣٧)

---

(١) كالاكتفاء بالسين على الثاء، وبالزاي عن الذال، والاقتصار على التثنية بالياء، والجمع بالواو والنون، والقصر بالألف، وكقبول الوضع العامي المشهور. (ك) تعليق المنار : (هذا خطأ لا حاجة إليه، إذْ يمكن الوصول إلى المقصود باللغة الصحيحة السهلة) أ.هـ.

تنشر الجمعية رسالة دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كُلّ عام، وتكون مباحثها ثمانية أنواع يُخصَّص لكل بحث قسمٌ منها، وهي :

١ ـ مقرّرات الجمعية وأعمالها وخلاصة المهم من مخابراتها مع شعباتها.

٢ ـ مباحث دينية في موضوع سماحة الدِّين ومزاياه السامية، ودفع ما يُرمى به من منافاته للحكمة المدنية.

٣ ـ قواعد أخلاقية ونصائح معاشية.

٤ ـ فصولها في العلوم والفنون النافعة والترغيب فيها وإراءة طرائق تلقينها وتلقّيها.

٥ ـ المقالات المفيدة التي يحرّرها الأعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الأمة.

٦ ـ الأخبار والإعلانات المتعلّقة بالنهضة العلمية الإسلامية.

٧ ـ الأسئلة والأجوبة المهمّة.

٨ ـ مباحث وفوائد شتّى.

قضية (٣٨)

تكون الأبحاث والمقالات الدِّينية في الرسالة الشهرية ملاحظاً فيها إجماع السلف أو الموافقة لمذهبين فأكثر من المذاهب المدوّنة المتّبعة، ويتعيّن في المسائل المهمة الخلافية أن يقرَّها بعض مشاهير علماء الهداية من المذاهب المختلفة.

قضية (٣٩)

تكون قيمة الرسالة معتدلة قريبة من مصروف تحريرها وطبعها فقط، وتُرسل لكافة المدارس ومشاهير العلماء بدون عوض على حساب الأمراء والمحتسبين.

قضية (٤٠)

تعتني الجمعية غاية الاعتناء في إيصال الرسالة إلى المرسَلة إليهم بصورة منتظمة، وفي إدخالها لكافة البلاد المأهولة

بالمسلمين رغماً عن كل مانع، فَتُرسَل ولو برّاً مع روّاد على نجائب تخترق آسيا وأفريقيا إلى أقاصيهما، ولا تعدم الجمعية وسائل كثيرة للإيصال.

قضية (٤١)

تخصّص الجمعية لمنشوراتها وإعلاناتها أربع جرائد من أشهر الجرائد الإسلامية السياسية. (١) عربية في مصر (٢) تركية في القسطنطينية (٣) فارسية في طهران (٤) أوردية في كلكته.

قضية (٤٢)

تسعى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخيّة دينيّة في مركز الجمعية لأجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم للسياحة والبعوث.

قضية (٤٣)

ترسل الجمعية بعوثاً جغرافية وعلمية تتجوّل في البلاد الإسلامية القريبة والبعيدة للاطِّلاع على أحوال البلاد وأهلها من حيث الدِّين والمعارف، ولإرشادهم إلى ما يلزم إليه في ذلك حسبما تقتضيه الأخوّة الدينية بدون تعرّض للأحوال السياسيّة قطعياً.

قضية (٤٤)

تسعى الجمعيّة بعد مضيّ ثلاث سنين من انعقادها في إقناع ملوك المسلمين وأمرائهم لعقد مؤتمر رسميّ في مكّة المكرّمة، يحضره وفد من قبلهم، ويترأسهم مندوب أصغر أولئك الأمراء، ويكون موضوع المذاكرات في المؤتمر السياسة الدِّينية.(١)

قضية (٤٥)

إذا صادفت الجمعية معارضة في بعض أعمالها من حكومة بعض البلاد، ولا سيّما البلاد التي هي تحت استيلاء الأجانب. فالجمعية تتذرّع أوّلاً بالوسائل اللاّزمة لمراجعة تلك الحكومة وإقناعها بحسن نيّة الجمعية، فإذا وُفّقت لرفع التعنّت فيها، وإلاّ فلتلجأ الجمعية إلى الله القادر الذي لا يعجزه شيء.

خاتمة

قضية (٤٦)

سياسة الجمعية : جلب قلوب مَنْ تتخيّر جلبهم ببذل المعروف محاباة فتتحرّى مواساة الإنسان عند مصابه، وتُنَقِّبُ عن أهم حاجاته أو غاياته فتعينه عليها.

---

(١) راجع ما ورد في أواخر محاورة الصاحب الهندي والأمير المذكورة بعد هذا القانون. (ك).

قضية (٤٧)

مظهر الجمعية : العجز والمسكنة، فلا تقاوم ولا تقابل إلاّ بأساليب النصيحة والموعظة الحسنة، وتلاطف وتجامل جهدها مَنْ يعادي مقاصدها، ولا تلجأ إلى الإلجاء[١] إلاّ في الضروريات.

قضية (٤٨)

قوة الجمعية : الإخلاص في النيّة، وعمدتها الثبات على العمل. ومسلكها تذليل العقبات واحدة فواحدة. وحصنها الدّين الحنيف. وسلاحها العلم والتعليم. وجيشها الأحداث والضعفاء[٢].وقوّادها حكماء العلماء والأمراء. ورايتها القدوة الحسنة. وغنيمتها بث الحياة في الموحّدين. وغايتها خدمة المدنية والإنسانية. وثمرة أعضائها وأنصارها لذة الفكر والفخر ونيل الأجر من الله ـ تَمَّ القانون ـ.

قال الأستاذ الرئيس : ها نحن أولاء قد استوفينا قراءة القانون للمرة الثانية أيضاً، ولم يستدرك عليه أحد من الإخوان شيئاً، فهل أنتم مقرّوه ؟ فأجاب جميع الأعضاء : نعم، نُقره.

قال العلاّمة المصري : إنّي ـ بالنيابة عن هيئة الجمعية ـ أشكر لحضرة الأستاذ المكّي براعته في حسن إدارة الجمعيّة، كما أنني أقدّر للمدقّق التركي ورفقائه وواضعي سانحة القانون قدر فضلهم وحسن إحاطتهم.

وإنّي لأرى في هذا القانون أشعة نور بين القضايا والسطور، نور يشرق على المنارات فيغشي ببدره الأهلّة، ويُبهر النسور. نورٌ معقود اللواء لنشأةٍ جديدةٍ وحياةٍ حمديدةٍ وعاقبةٍ سعيدةٍ. نورٌ يمزّق ديجور[٣] الفتور، ويُحيي ميتَ الشعور، وما ذلك على الله بعزيز.

---

(١) الإجبار.
(٢) الشباب الفقراء.
(٣) ظلام.

قال المحقِّق المدني : بمناسبة أني جار للنبي صلى الله عليه وسلم أرى كأن رسول الله مسرور بكم أيها الإخوان الكرام، يتضرّع إلى ربّه أن يوفّقكم في مشروعكم خدمة لدينه وأمّته، خدمة تُلحِقُكُم بالمجاهدين الصدّيقين الأولين.

قال الأستاذ الرئيس : حيث تقرَّر أن يكون تأسيس الجمعية الدائمة ابتداء في بور سعيد أو الكويت بصورة غير علنية في الأوّل، فأرى أن تُفَوِّضَ تعاطي أسباب هذه المهمة للعلاّمة المصري والسيّد الفراتيّ، فهما بعد ستة أشهر يجتمعان في مصر، وبعد تهيئة الأسباب وترتيب ما يلزم ترتيبه يسعيان أولاً بطبع هذه المذكرات مع القانون، ثم يهتمّان بترجمة ذلك إلى بقيّة أمّهات اللّغات الإسلامية التركية والفارسية والأوردية فيطبعانها، وينشرانها ذكرى وبشرى للمؤمنين.

ثم بعد استطلاعهما ما يلزم استطلاعه من آراء ذوي الهمم السامية، يباشران تعاطي أسباب تشكيل الجمعية مع التروّي والتأنّي اللازمين حكمة. وربما لا يساعدهما الزمان فيحتاجان لترقب الفرصة ولو تأخر الأمر إلى اجتماعنا الثاني. وأخونا السيد الفراتي يعدنا بأنه لا يقطع عنا رسائله وإعلامنا بسير المسألة. والأمل بعنايته تعالى أن نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الدَّائمة متشكّلة على أحسن نظام.

ثم قال الأستاذ الرئيس : وإني على أمل أن الجمعية الدائمة ستلحقنا بأعضائها الفخريّين، فنخدم مقاصدها الجليلة بإعزاز ديننا وإخواننا وأنفسنا، فننال بذلك أجر المحسنين وشرفاً عظيماً نفتخر به نحن وأحقابنا من بعدنا إلى يوم الدِّين.

ثم قال : وإن جمعيتنا هذه اختارت أن تجعل مركزها المؤقت في مصر دار العلم والحرية، فلها أمل قوي في أنّ حضرة العزيز (عباس الثاني)(١) يكون عضداً للقائمين بإعزاز الدِّين وحامياً فخرياً للجمعية. ولا بدع فإنه خير أمير شاب نشأ على الغيرة الدِّينية

(١) عباس الثاني : (١٢٩١ ــ ١٣٦٤ هـ = ١٨٧٤ ــ ١٩٤٤ م) خديوي مصر (١٨٩٢ ــ ١٩١٤ م) الابن الكبير للخديوي توفيق. حاول مقاومة الاحتلال البريطاني لمصر. خلعه البريطانيون في ديسمبر ١٩١٤ م، بعد أن فرضوا حمايتهم على مصر، ونُفي إلى سويسرا.

والحمية العربية. خصوصاً جنابه السامي من آل بيت حازوا بين سائر ملوك الإسلام وأمرائها قصب السّبق في الاطّلاع على أحوال الدنيا، فاجتهدوا في الترقيات السياسيّة والعمرانيّة والعلميّة والتنظيميّة والمدنيّة.

حتى أن النهضة العثمانية بكلّ فروعها مسبوقة في مصر ومقتبسة عنها. بل - كما يعلم العارفون - إنما تقدّمت الدولة العليّا العثمانية بعض خطوات في ميدان المدنية والعمران مدفوعة بأيدي المرحومين محمد علي وإبراهيم وفاضل وكامل وغيرهم من الأمراء حتى الأميرات المصريات، فما كان رشيد وعالي وفؤاد وكمال ومدحت وعوني وبقية أحرار الأتراك إلاّ وأكثرهم آلات أوجدها، ومدّها بالقوة هؤلاء العظام. ولا غرو فقد يحمل الابن أباه على الرشد وإن أباه.

ولولا تهاون سعيد[1] وتطاول إسماعيل[2]، وسقوط نفوذ الفرنسيس بحرب السبعين[3]، وانفراد الإنكليز ويأسهم من قبول المريض التمريض[4]، وتهاتر قوّات الدول بتوازنها، لبقيت تلك الحركة مستمرّة، ولما رجع الشيخ[5] إلى دور الانحلال، ولا وقع الابن[6] في دور الاحتلال.

---

(١) سعيد باشا (محمد). (١٢٣٨ ــ ١٢٨٠ هـ = ١٨٢٢ ــ ١٨٦٣ م). وُلد وتوفي بالإسكندرية. ابن محمد علي. صار خديوي مصر (١٨٥٤ ــ ١٨٦٣ م).

(٢) إسماعيل باشا (١٢٤٦ ــ ١٣١٣ هـ = ١٨٣٠- ١٨٩٥ م) ابن إبراهيم باشا. وُلد في القاهرة. تولّى حكم مصر (١٨٦٣) ونال لقب الخديوي من السلطان عبد العزيز. دَشَّنَ قناة السويس (١٨٦٩) غالى في إسراف المال، فوقعت مصر في عجز الدِّيون مما أدى إلى تدخُّل الدول في شؤونها، وإلى ثورة عرابي باشا. عُزل إسماعيل عام (١٨٧٩).

(٣) حرب السبعين : الحرب الفرنسية البروسية أو الحرب الفرنسية الألمانية : (١٨٧٠ ــ ١٨٧١ م) ومن نتائج هذه الحرب إنشاء الامبراطورية الألمانية، ونزول فرنسا عن الإلزاس واللورين لألمانيا، وقيام الجمهورية الثالثة بفرنسا.

(٤) التمريض : المعالجة.

(٥) الدولة العثمانية.

(٦) مصر.

ولهذا، لا تفرط الجمعية إذا عقدت الأمل في مؤازرة هذا الأمر السهل الخطير بذاك العزيز الشاب الكبير[1]، إجابة لداعي الحميّة وسمو الفكر واعتناماً للثواب وفخر الذكر، والله الملهم الموفق، ونسأله حُسْنَ الختام.

ثم خاطب السيّد الفراتي هيئة الجمعية فقال : أيها السادة، لا غرو أن أكون أكثر الإخوان سروراً بإنتاج سعيي وسياحتي، هذه الخطوة الكبيرة في هذا السبيل. وإني مستبشر من تسهيل المولى تعالى البداية أنّ يُسهّل السير إلى النهاية. ولا يعزُّ على الله شيء، والعزائم لا شكّ تُذلّل العظائم.

وإني ـ أيها السادة ـ سأراسلكم إنْ شاء الله بمهمّات ما يحصل ويتم، ولا أستغني أن ترفدوني[2] بآرائكم ولو عن بعد، وتسعفوني بأدعيتكم بالتوفيق. هذا، وليس اليوم آخر عهد جمعيتنا، بل يلزم أن تجتمع أيضاً في هذا المحفل رابع أيام التشريق[3] فتكون تلك جمعية الوداع، وفيها يكاشفكم حضرة الأستاذ الرئيس عن بعض تدابير وبشائر يجب إسرارها فتوقر في الصدور لا تُسجَّل ولا تُذاع. وإلى ذاك اليوم يتم ـ بتسهيل الله ـ طبع سجلّ مذاكرات جمعيتنا إلى هذه الساعة (بمطبعة الجلاتين) فيوزّع عليكم نسخ منها كما يعطي لكم نسخ من ضبط المناقشات على القانون، ونسخ جديدة من مفتاح الكتابة الرمزية تبديلاً للمفتاح المختصر الأول، مذيّلاً بتراجم الإخوان بصورة أكثر تفصيلاً من الأولى، وعلى الله التيسير.

ثم قال السيد الفراتي : أخبركم ـ أيها السادة ـ بأني أخذتُ بالأمس رسالة من أخينا الأديب البيروتي الذي لم يمكّنه القدر من موافاة الجمعية كما بيّنتُ ذلك قبلاً، فهو يُقرئكم السلام، ويدعو للجمعية بالتوفيق، ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين.

فقال الأستاذ الرئيس : وعليه السلام، وأمر بقراءة القصيدة، فَقُرِئَتْ وأثبت منها بإشارة الأستاذ الرئيس بعض أبيات وهي :

---

(١) يقصد العباس الثاني.
(٢) توافوني وتساعدوني.
(٣) عيد الأضحى المبارك.

غيّرتمو ياجياري ما بأنفسكم — فغيَّر الله عنكم سابغَ النعم [١]

الله لا يهلك القرى إذا كفرت — وأهلها مصلحون في شؤونهم

تركُ التآمر بالمعروف أورثكم — ما حاق من نذرٍ يا زلّة القدم

إلى أن يقول :

يا قومنا صحّحوا توحيد بارئكم — بدون إشراك أحياء ولا رمم

ونقّحوا الشرع من حشوٍ ومخترعٍ — رُجعى إلى دين أسلاف ذوي ذمم

خذوا بمحكم آيات منزَّلةٍ — وسُنَّة جاءتنا بأفصح الكَلم

دعوا البدائع في الدِّين،وإنْ حسُنت — ولا يغرَّنكم تأويل محتكم

سماحة الدِّين في فكرٍ وفي عملٍ — خيرٌ من الإصرارِ والأغلالِ والسَّقمِ

سماحة الدِّين منَّ الله خالقكم — بها عليكم، دعوا الكفران بالنعم

وحافظوا ملّة بيضاء ساطعة — سمحاء جاءتكمو بكلّ مغتنم

راقت فضائلُها في كُلّ فلسفةٍ — قوامها حكمة تقضي إلى شمم

حتى يقول :

هذي وسيلتُكم لا غيرها أبداً — فاسعوا لنهضتكم ياخيرة الأمم

في غير جامعةِ التوحيد لن تجدوا — من جامع لكمو لستم ذوي رحم

سياسة الدِّين أولى ما — شتّى الخلائق من عربٍ ومن

---

(١) الأبيات من البحر البسيط، ولا يخلو وزنها من الخلل. ويبدو أن القصيدة للكواكبي نفسه.

تُساس بــه عجمِ
فيــه الحيــاة، وفيهــا حفــظَ رايتكــم خضـراء سـوداء حـول الـركن والحرامِ

ذيـــــــــــــل :

قرّرت الجمعية في اجتماع الوداع المنعقد في رابع أيّام العيد بعض أمور ينبغي أن تُسَرّ، ولا تذاع. غير أنها رأت أن يلحق منها بهذا السجل ما يأتي فقط :

قرار عدد (٦)

إنّ الجمعية، بعد البحث الدقيق والنظر في أحوال وخصال جميع الأقوام المسلمين الموجودين، وخصائص مواقعهم، والظروف المحيطة بهم، واستعداداتهم، وجدتُ أن لجزيرة العرب ولأهلها ـ بالنظر إلى السياسة الدِّينية ـ مجموعة خصائص وخصال لم تتوفّر في غيرهم. بناءً عليه، رأت الجمعية أن حفظ الحياة الدِّينية متعيّنة عليهم، لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً، وأنّ انتظار ذلك من غيرهم عبث محض.

على أن لبقيّة الأقوام أيضاً خصائص ومزايا تجعل لكلّ منهم مقاماً مهمّاً في بعض وظائف الجامعة الإسلامية، مثل : إن معاناة حفظ الحياة السياسية ولا سيّما الخارجية متعيّنة على الترك العثمانيين[1]. ومراقبة حفظ الحياة المدنية التنظيمية يليق أن تُناطَ بالمصريّين. والقيام بالحياة الجنديّة يتناسب أن يتكفَّل بها الأفغان وتركستان والخزر والقوقاس يميناً ومرّاكش وإمارات أفريقيا شمالاً. وتدبير حفظ الحياة العلمية والاقتصادية خير مَنْ يتولاها أهل إيران وأواسط آسيا والهند وما يليها.

---

(١) لأنهم متقنون فن (الديبلوماتيك) أي المراوغة في المقال، والتلوّن في الأحوال. (ك). والديبلوماتيك : الدبلوماسية.

وحيث كانت الجمعية لا يعنيها غير أمر النهضة الدِّينية، بناءً عليه رأت الجمعية من الضروري أن تربط آمالها بالجزيرة وما يليها وأهلها ومَنْ يجاريها. وأن تبسط لأنظار الأمة ما هي خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموماً؛ وذلك لأجل رفع التعصّب السياسي أو الجنسي، ولأجل إيضاح أسباب ميل الجمعية للعرب، فنقول :

١ ـ الجزيرة هي مشرق النور الإسلامي.

٢ ـ الجزيرة فيها الكعبة المعظمة.

٣ ـ الجزيرة فيها المسجد النبوي، وفيه الروضة المطهّرة.

٤ ـ الجزيرة أنسب الموقع لأن تكون مركزاً للسياسة الدِّينية لتوسّطها بين أقصى آسيا وأقصى أفريقيا غرباً.

٥ ـ الجزيرة أسلم الأقاليم من الأخلاط جنسيّة وأدياناً ومذاهب.

٦ ـ الجزيرة أبعد الأقاليم عن مجاورة الأجانب.

٧ ـ الجزيرة أفضل الأراضي لأن تكون ديار أحرار لِبُعدها عن الطامعين والمزاحمين نظراً لفقرها الطبيعي.

٨ ـ عرب الجزيرة هم مُؤسِّسو الجامعة الإسلامية لظهور الدِّين فيهم[١].

٩ ـ عرب الجزيرة مستحكم فيهم التخلُّق بالدِّين لأنه مناسب لطبائعهم الأهلية أكثر من مناسبته لغيرهم.

١٠ ـ عرب الجزيرة أعلم المسلمين بقواعد الدِّين لأنهم أعرقهم فيه، ومشهود لهم بأحاديث كثيرة بالمتانة في الإيمان.

١١ ـ عرب الجزيرة أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدِّين وتأييده والفخار به، خصوصاً والعصبية النبويّة لم تزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والعراق وأفريقيا.

١٢ ـ عرب الجزيرة لم يزل الدِّين عندهم حنيفاً سلفياً بعيداً عن التشديد والتشويش.

١٣ ـ عرب الجزيرة أقوى المسلمين عصبية وأشدّهم أنفةً لما فيهم من خصائص البدويّة[٢].

---

(١) وكذلك مَنْ يتبعهم من العشائر القاطنة بين الفرات ودجلة والنازحين إلى أفريقيا. (ك)
(٢) وبقوة ذلك لم يزالوا يأخذون خراجاً مِمَّنْ يأخذون باسم هدية. (ك)

١٤ ـ عرب الجزيرة أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والأمّهات والزوجات فلم تختلّ عزتهم.

١٥ ـ عرب الجزيرة أقدم الأمم مدنيّة مهذّبة بدليليّ : سعة لغتهم، وسموّ حكمتهم وأدبياتهم.

١٦ ـ عرب الجزيرة أقدر المسلمين على تحمّل قشف المعيشة في سبيل مقاصدهم، وأنشطهم على التغرّب والسياحات، وذلك لِبُعدهم عن الترف المذلّ أهله.

١٧ ـ عرب الجزيرة أحفظ الأقوام على جنسيّتهم وعاداتهم، فهم يُخالِطُون، ولا يختلطون.

١٨ ـ عرب الجزيرة أحرص الأمم الإسلامية على الحريّة والاستقلال وإباء الضيم(١).

١٩ ـ العرب عموماً لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن الكريم من أن تموت.

٢٠ ـ العرب لغتهم هي اللغة العمومية بين كافة المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون(٢).

٢١ ـ العرب لغتهم هي اللغة الخصوصية لمئة مليون من المسلمين وغير المسلمين.

٢٢ ـ العرب أقدم الأمم اتّباعاً لأصول تساوي الحقوق، وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية.

٢٣ ـ العرب أعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية(٣).

---

(١) هذا سبب عدم انقياد أهل اليمن ومَنْ يليهم للعثمانيين. (ك)

(٢) كان ذلك عام (١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م). أما عدد المسلمين اليوم (١٩٩٤ م) فيبلغ أكثر من ٩٥٠مليون نسمة، والعرب أكثر من /٢٥٠ مليون نسمة.

(٣) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام حيث قالت تخاطب الملأ، أي المستشـــارين الأشـــراف : [illegible]

٢٤ ـ العرب أهدى الأمم لأصول المعيشة الاشتراكية.

٢٥ ـ العرب من أحرص الأمم على احترام العهود عزّة، واحترام الذمّة إنسانيّة، واحترام الجوار شهامة، وبذل المعروف مروءة[١].

٢٦ ـ العرب أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعاً في الدِّين وقدوة للمسلمين حيث كان بقية الأقوام قد اتّبعوا هديهم ابتداءً، فلا يأنفون عن اتباعهم أخيراً.

فهذه هي الأسباب التي جعلت جمعية أم القرى أن تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينيّة، بل الكلمة الشرقيّة. والجمعية تسأل الله تعالى أن يُوفّق ملوك المسلمين وأمراءهم للتصلّب في الدِّين وللحزم والعزم عساهم يحفظون عزّهم وسلطانهم إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، وأن يحميهم من التعصّب السّيئ للسياسات والجنسيّات، ومن الكبر والأنفة، ومن التخاذل والانقسام، ومن الانقياد إلى وساوس الأجانب الأضداد، وإلاّ فينتابهم الخطر القريب المحدق بهم، وتتخاطفهم النسور المحلّقة في سمائهم، والله الموفق، وإليه ترجع الأمور.

وهكذا تمّت الاجتماعات، وخُتِمت المذاكرات، وانفضّ الجمع على وعد التلاقي.

لاحقة

[illegible]

[illegible] . (ك).أ.هـ. والآيات من سورة النمل ٣٢- ٣٤.

(١) يكفي برهاناً على ذلك مجاملة أهل الجزيرة لسوّاح الإفرنج ما عدا تلك الفعلة التي اندفع إليها ابن صباح، ونال عليها بعد عامين رتبة باشا. وترجيح اليهود الهجرة للبلاد العربية. وعدم اشتراك البلاد العربية العثمانية في حوادث الأرمن الأخيرة كالموصل وماردين وسعرد ونصيبين والمدن العربية من ولاية حلب. وأمّا حوادث لبنان والشام وحلب في القرن السابق فما كانت مُتولِّدة عن تعصّب ديني أو جنسي، بل عن غرور جماعة من الدروز بالإنكليز وجماعة من المسيحيين بنابليون الثالث. (ك).أ.هـ. ويقصد بحوادث لبنان والشام وحلب، الحرب الأهلية بين الدروز والموارنة ١٨٦٠ م.

يقول السيد الفراتي : إنه ـ بعد تفرّق الجمعية بنحو شهرين ـ ورد إليّ من الصّاحب الهنديّ كتاب يذكر فيه أنه ـ بعد مفارقته مكّة المكرّمة ـ اجتمع بأمير جليل فاضل من أعظم نبلاء الأمّة ورجال السياسة. فاستطلع رأي الأمير في خصوص النهضة الإسلامية. وبعد أن دار بينهم حديث طويل تحقق من خلاله سموّ فكر الأمير والتهاب غيرته، ذكر له اطّلاعه على سجلّ جمعية أم القرى وأشياء من مذاكراتها ومقرّراتها، فأظهر الأمير سروره من الخبر وشديد شوقه للاطّلاع على السجلّ الذي ذكره له، فعندئذٍ وعده بإعارته نسخة من السِّجلِّ ثم أرسله له. وبعد أيام تلاقيا، فدارت بينهم المحاورة الآتية :

قال الأمير : أشكرك أيها المولى الصاحب على هذه الهديّة العزيزة، ويالذّة ليلة أحييتُهَا في مطالعة تلك المذاكرات النفيسة التي لم أتمالك أن أتركها تلك الليلة حتى أتيتُ على آخرها، ثمّ في الأيام التالية أعدتُ النظر فيها بالتدقيق.

قال الصاحب : يظهر من عبارة مولاي الأمير استحسانه كيفيّة تشكيل الجمعية وامتنانه من مجرى مذاكراتها.

قال الأمير : كيف لا أعجب بذلك ؟ وطالما كنتُ أتمنى انعقاد جمعية يتضافر أعضاؤها على مثل هذا المقصد، وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية الذين حلّوا المشكلة حلاً سياسياً ودينيّاً معاً، وكنتُ أستبعد وجود أكفاء كهؤلاء ! أعظم إعجابي هو في هذا الرجل الملّقب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة، مع إقامته أيام قلائل في مكّة، لانتخاب هؤلاء الأعضاء الأجلّاء ؟

قال الصاحب : لا بدّ أن يكون هذا الرّجل مخلصاً في قصده، فأعانه الله عليه، كما ورد في الخبر : إذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه، فلعلّ في الأقدار شيئاً آن أوانه.

قال الأمير : نعم، للأقدار دلائل، ولَنِعْمَ البشائر.

قال الصاحب : أودّ أن أستفيد من مولاي الأمير وجوه إعجابه بهذه الجمعيّة ومذاكراتها لأصحّح رأيي في بعض انتقادات تختلج في فكري القاصر، فإنْ أَذِنَ لي أعرضها عليه مسألة مسألة.

قال الأمير : قل، ولعلّي أقف على ما لم أنتبه إليه.

قال الصاحب : يظهر أن أعضاء الجمعية ليس بينهم بعضٌ من السياسيين المحنّكين، فلو وُجِدَ ربّما كانت تأتي المقرّرات أكثر إحكاماً.

قال الأمير : لا أظنُّ أنَّ في الأمراء والوزراء المسلمين المعاصرين مَنْ هم أعلى كعباً في السياسة من بعض هؤلاء الأعضاء، الذين تشفُّ آراؤهم عن سعة اطّلاع، وسموّ فكر، وبُعد نظر، مع ملاحظات السياسة الدينيّة والحالة العلمية والتدقيقات الأخلاقيّة.

قال الصاحب : أرى أن الجمعية أعطت لمباحث السياسة الدينية الموقعَ الأول، وقد أصابتْ على أنَّ السياسة الإدارية أيضاً جديرة بالاهتمام، فَتُركت بدون تدبير كافٍ.

قال الأمير : لا شكّ أنّ السياسة الإدارية مهمة أيضاً، وقد ابتدأت الجمعية بها، ولكنْ، رأت أفضل وسيلة لحصول المطلوب هي رفع علّة الفتور حيث أنتجت مباحثاتها : أن علّة الفتور هي الخلل الدينيّ. بناءً عليه، حوّلت اهتمامها لجهة العلّة حتى إذا زالت العلّة زال المعلول. ومع ذلك، لم يترك السيّد الفراتي في فصل الأسباب الإدارية شيئاً من أمَّهات أصول الإدارة إلاّ وأشار إليه بما يُغني عن تفصيله.

قال الصاحب : أليس بعض الأعضاء - كالعالم النجدي والمجتهد التبريزي - قد أسهب كثيراً بما كان بعضه يكفي عن باقيه ؟

قال الأمير : إنّ مسألتي التوحيد والاستهداء ركنان مهمّان في الدِّين، وقد تطرّق إليهما الخلل منذ قرون كثيرة، فصار إصلاحهما وردّهما إلى أصلهما من أصعب الأمور. وفي مثل ذلك لا بدّ من الإسهاب في البحث والتعمّق فيه، أو لا يرى، ولله المثل الأعلى، كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحثّ على اتّباع الكتاب والنبي دون التقليد.

قال الصاحب : إنّي أرى أيضاً بعض مكرّرات في المذاكرات خلافاً لما قاله السيد الفراتي، ولذلك، أرى أنّه لو اهتمّ ذو غيرة في اختصارها يكون حسناً.

قال الأمير : إنّي لا أوافقك على هذا أيضاً، لأنك إذا دقّقتَ النظر لا تجد مكرّرات، إنما هي آراء فلابُدَّ أنْ يُعادَ فيها بعض ماسبق، وعلى كل حال، هذا سجلٌّ قد ضبط فيه ماوقع، فلا يجوز اختصاره والتصرّف فيه. وإنّي أرى من أكبر محاسن هذه المذاكرات أنْ جاءت مباحثها متسلسلة مترقية، فكلّ موضوع فيها يتلوه ما هو أهمّ منه، فلا يملّ منها سامع ولا مطالع.

قال الصاحب : ما هو رأي مولانا الأمير في القانون الموضوع لأجل تشكيل جمعية تعليم الموحّدين، هل هو قانون محكم الترتيب ؟ وهل هو قابل الإجراء والتطبيق على الأحوال الحاضرة والمنتظرة.

قال الأمير : القانون هو أهمّ ما أثمرته الجمعية، وقابل الإجراء مع الصعوبة.

قال الصاحب : لا أدري، هل أصابت الجمعية أم أخطأت في تعليق أكبر أملها في إعزاز الدِّين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها العظام ؟

قال الأمير : لا يفوتك أن مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة الدِّينية فقط، وتؤمل أن يأتي الانتظام السياسي تبعاً للدِّين، ولا شكّ أنه لا يقوم بالهدي الديني ويغار على الدِّين أمة مثل العرب.

قال الصاحب : أليس دولة راسخة الملك إدارة وعسكرية وسياسة، وافرة القوى مالاً وعدّة ورجالاً، تكون أقدر على تمحيص الدِّين وإعزازه من العرب الضعفاء من كلّ وجه ؟ وحيث قد ألفت الأمة سماع لقب خدمة الحرمين قديماً ولقب الخلافة وتأييد مَنْ يقوم بذلك يأتون بفضل عظيم.

قال الصاحب : قد وُجِدَ في هذا البيت الكريم بعض أعاظم خدموا إعزاز الدِّين خدمات كبيرة، كالسّلطان محمد الفاتح والسّلطان ياوز سليم والسّلطان سليمان والسّلطان محمود والسّلطان الحالي المعظّم، فهم أولى وأجدر بالخلافة من غيرهم.

قال الأمير : أرجوكَ أنْ لا تنظر للمسألة بنظر العوام، بل بنظر حكيم سياسي. فَأَبْعِدِ النظرَ ماضياً مستقبلاً، وقَلِّبْ صفحات التاريخ بدقّة تجدْ أنَّ إدارة الدّين وإدارة الملك لم تتّحدا في الإسلام تماماً إلاّ في عهد الخلفاء الراشدين وعمر ابن عبد العزيز فقط، رضي الله عنهم. واتخذتا نوعاً في الأمويين والعباسيين، ثم افترقت الخلافة عن الملك.

وأمّا سلاطين آل عثمان الفخام، فإنّي أذكر لك أنموذجاً من أعمال لهم أتوها رعاية للملك، وإن كانت مصادمةً للدِّين، فأقول : هذا السّلطان محمد الفاتح[1] وهو أفضل آل عثمان قد قدّم المُلك على الدِّين، فاتفق سراً مع (فرديناند)[2] ملك (الأراغون)[3] الإسبانيولي، ثم مع زوجته (إيزابيلا)[4] على تمكينهما من إزالة ملك بني الأحمر، آخر الدولة العربية في الأندلس، ورضي بالقتل العام والإكراه على التنصّر بالإحراق، وضياع خمسة عشر مليوناً من المسلمين، بإعانتهما بإشغاله أساطيل أفريقيا عن نجدة المسلمين. وقد فعل ذلك بمقابلة ما قامت به روما من خذلان الإمبراطورية الشرقية عند مهاجمته مكدونيا، ثم القسطنطينية.

وهذا السّلطان سليم[5] غدر بآل العبّاس واستأصلهم، حتى أنه قتل الأمّهات لأجل الأجنّة. وبينما كان هو يقتل العرب في الشرق

---

(١) محمد الفاتح : محمد الثاني (الفاتح). (١٤٢٩ ــ ١٤٨١ م) حكم (١٤١٥ ــ ١٤٨١ م) ابن مراد وخليفته، أتم فتح الإمبراطورية البيزنطية باستيلائه على القسطنطينية (١٤٥٣). ثم استولى على اليونان والبوسنة. كان نصيراً للشعر والعلوم واللغة. ويُعَدُّ المؤسس الحقيقي للإمبراطورية العثمانية.

(٢) فرديناند الإسبانيولي (ملك الأراغوان) : فرديناند الخامس أو فرديناند الكاثوليكي (١٤٥٢ ــ ١٥١٦ م) ملك قشتالة وليون (١٤٧٤ ــ ١٥٠٤) وملك أراغون باسم فرديناند الثاني (١٤٧٩ - ١٥١٦) وملك صقلية ونابلي (١٤٦٨ ــ ١٥١٦) وفي عام ١٤٦٩، تزوج إيزابيلا ملكة قشتالة. وفي عام ١٤٧٤، تولّى وإيزابيلا ملك قشتالة بالاشتراك، وهكذا توحّدت إسبانيا، وطَرد اليهود والمسلمين، وأُقيمت (محاكم التفتيش).

(٣) الأراغون : مملكة قديمة شمال شرق إسبانيا.

(٤) إيزابيلا : هي إيزابيلا الأولى أو إيزابيلا الكاثوليكية (١٤٥١ ــ ١٥٠٤ م) كانت ملكة على قشتالة وليون وزوجة فرديناند الثاني ملك الأراغون.

(٥) السلطان سليم هو سليم الأول (٨٧٢ ــ ٩٢٧ هـ = ١٤٦٧ ــ ١٥٢٠ م) سلطان تركيا (١٥١٢ ــ ١٥٢١ م) خلع أباه بايزيد وقتل إخوته. بدأ حكمه بقتل أربعين ألفاً من الشيعة، انتصر على السلطان المملوكي قانصوه الغوري في معركة مرج دابق (١٥١٦ م) أعدم بقايا نسل العباسيين.

كان الإسبانيون يحرقون بقيتهم في الأندلس. وهذا السّلطان سليمان ضايق إيران حتى ألجأهم إلى إعلان الرفض المكفر[١].ثم لم يقبل العثمانيون تكليف نادر شاه[٢] لرفع التفرقة بمجرد تصديق مذهب الإمام جعفر. كما لم يقبلوا من أشرف خان الأفغاني اقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سنّي.

وقد سعوا في انقراض خمس عشرة دولة وحكومة إسلامية. ومنها أنهم أغرّوا، وأعانوا الروس التاتار على المسلمين، وهولاندة على الجاوة[٣] والهنديين. وتعاقبوا على تدويخ اليمن، فأهلكوا إلى الآن عشرات ملايين من المسلمين يقتلون بعضهم بعضاً، لا يحترمون فيما بينهم ديناً ولا أخوة ولا مروءة ولا إنسانية، حتى أن العسكر العثماني باغت المسلمين مرّة في صنعاء والزبيد[٤]، وهم في صلاة العيد.

وهذا السلطان محمود اقتبس عن الإفرانج كسوتهم، وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها حتى عمّت أو كادت، ولم يشأ الأتراك أن يغيّروا منها الأكمام رعاية للدِّين لأنّها مانعة من الوضوء أو معسرة له. وهذا السلطان عبد المجيد رأى من مؤيّدات إدارة ملكه إباحة الربا والخمور وإبطال الحدود. ورأى مصلحة في قهر الأشراف وإذلال السادات بإلغاء نفوذ النقابات، ففعل.

وفي هذا المقدار كفاية إيضاح لقاعدة : أنّ مؤيدات الملك عند السلاطين مقدّمة على الدِّين. أمّا صفة خدمة الحرمين وألفة مسامع العثمانيين للقب الخلافة، فهذا كذلك لا يفيد الدِّين وأهله شيئاً، وليس له ما يتوّهم البعض من الإجلال عند الأجانب[٥].

---

(١) رفض الاعتراف بالخلفاء الثلاثة الأُوَّل، وهي فرقة شيعية لُقِّبَتْ بالرافضة، تُقَدِّس آل البيت.

(٢) نادر شاه : (١٦٨٨ ــ ١٧٤٧ م) شاه إيران (١٧٣٦ - ١٧٤٧) مؤسس أسرة أفغار. انتصر على الأفغانيين والترك في عهد الأسرة الصفوية، جعل نفسه شاه فارس، غزا الهند، ثم انقلب إلى القسوة والاستبداد حتى إنه أمر بأن تُفقأ عينا أحد أولاده.

(٣) جاوة : جزيرة في شرق المحيط الهندي، هي اليوم ضمن الجمهورية الأندونيسية.

(٤) زبيد : من أهم مدن تهامة باليمن.

(٥) الأجانب لا يتفوَّهون بأن السلطان خليفة إلاّ عندما يريدون أن يُقيموا الحجَّة على المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله في ملكه.(ك).

ولو أنّ حضرة السلطان المعظّم أخذ عليه تأييد الدِّين بما أمدّه الله به من القوة المادية بدون استناد إلى صبغة معنوية، لتمكّن من أن يخدم دينه وملكه حقاً خدماتٍ مقبولةً عند الله ورسوله مشكورة عند المؤمنين كافّة، ولَرُفعت له رايةُ الحمد في شرق الأرض وغربها، واحترمه الأبيض والأحمر، وعظَّمه المسلمُ والكافرُ. وأظنه قد قرب اليوم الذي ينتبه فيه، فيتروّى في الأمر، فيعدل عن الاعتماد على غير المادّيات، ويضرب على فم بعض الغشاشين المتملّقين الخائنين، الذين ينسبون حضرته إلى ما لم ينتسب هو إليه : ويشيعون عنه دعوى ما ادّعاها قطّ أحد من أجداده العظام بوجه رسمي.

وهؤلاء الغشّاشون يغرون السلطان على هذه الدعوى بما يهرفون به عليه، وبما يؤلّفونه هم وأعوانهم من الكتب والرسائل التي يعزون بعضها لأنفسهم، وبعضها لغيرهم من المنافقين أو لأسماء يسمّونها، أو كتب يختلقونها، فيجعلون تارة آل عثمان العظام يتّصلون نسباً لعثمان بن عفان رضي الله عنه؛ وأخرى يرفعون نسبهم إلى أعالي قريش، ويعطونهم حقّ الخلافة، مرة بالتنازل من العباسيين، وأخرى بالاستحقاق والوراثة، وآونة بالعهد، وأخرى بالبيعة العامّة، وحيناً بخدمة الحرمين الشريفين. ووقتاً بحفظ المخلّفات النبويّة.

وكأنّ هؤلاء الغشّاشين يريدون بهذه الدسائس أن يجعلوا حضرة السّلطان نظيرهم : دعي نسب كاذب كدعواهم لأنفسهم السيادة، ومتسنّم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقطبانيّة في أنفسهم وآبائهم وأجدادهم؛ فيحشون في تلك المؤلّفات أنساباً انتحلوها لأنفسهم مقرونة بنسب حضرة السلطان؛ ويستطردون لحكايات كرامات لأجدادهم ملفّقة مخترعة لا يعترف بها لهم أحد من المسلمين، يدسّونها بين حكايات ووقائع الخلفاء والسلاطين[1].

---

(١) إشارة إلى أبي الهدى الصيادي (١٢٦٦ ــ ١٣٢٧ هـ = ١٨٤٩ ــ ١٩٠٩ م) الذي بلغ مرتبة عليا في بلاط السلطان عبد الحميد الثاني حتى لُقّب بشيخ الإسلام، نُسبت إليه بعض الكتب. كانت بينه وبين الأفغاني والكواكبي خصومة.

ومن المعلوم عند أهل الوقوف، أنَّ التلقّب بالخلافة والإمامة الكبرى أو إمارة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود، حيث صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحياناً تفنّناً في الإجلال وغلواً في التعظيم، ثم توسّع استعمال هذه الألقاب في عهد ابنيه وحفيديه إلى أن بلغ ما بلغه اليوم بسعي أولئك الغشّاشين، الذين يدفعون ويقودون حضرة السلطان الحالي للتنازل عن حقوق راسخة سلطانيّة لأجل عنوان خلافة وهميّة مقيّدة في وضعها بشرائط ثقيلة، لا تلائم أحوال الملك، ومعرّضة بطبعها للقلقلة والانتزاع والخطر العظيم.

ولذلك، حضرات السلاطين أنفسهم لم يزالوا إلى الآن متحفّظين عن التلقّب بالخلافة رسمياً في منشوراتهم ومسكوكاتهم، إنّما تمضغها أفواه البعض، فيلوكها التركيّ تعظيماً لقومه، والعربيّ نفاقاً لسلطانه، والمصري اتّباعاً للمرائين، والهنديّ اعتزازاً بالوهم، والأجنبيّ هزؤاً ومكراً، بخلاف حضرات سلطان مرّاكش وأمير عمان وإمام اليمن، المتنازعين في هذا المقام رسماً، المتقاطعين لأجله، على أنهم قد شعروا أو كادوا يشعرون بضررهم السياسيّ في ذلك. ولا نعلم متى يخلق الله مَنْ يسعى في إقناعهم جميعاً بترك هذه الدعوى الدّاعية للانفراد والتخاذل، ويرتّب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي، ومراسم التشريفات والمخاطبات، وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلاطين وأمراء، كما آل إليه الأمر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الخارزميّة والديلم والأيوبيين وغيرهم.

ثم قال الأمير : وقد حملتني إشارات السيد الفراتي في كلامه على الجامعة الدينية تحت لواء الخلافة وأن أفتكر في القواعد الأساسية التي ينبغي أنْ يُبنى عليها ذلك. فلاح لي ما قيّدته في هذه المفكرة، وأخرج من جيبه ورقة قرأها، وعند ختام مجلسنا استنسختها منه، وصوّرتها:

١ ـ إقامة خليفة عربيّ قرشيّ مستجمع للشرائط في مكّة.

٢ ـ يكون حكم الخليفة سياسة مقصوراً على الخطّة الحجازيّة، ومربوطاً بشورى خاصّة حجازية.

٣ ـ الخليفة ينيب عنه مَنْ يترأس هيئة شورى عامّة إسلاميّة.
٤ ـ تتشكّل هيئة الشورى العامّة من نحو مائة عضو منتخبين، مندوبين من قبل جميع السلطنات والإمارات الإسلامية، وتكون وظائفها منحصرة في شؤون السياسة العامة الدينيّة فقط.
٥ ـ تجتمع الشورى العامّة مدة شهرين في كل سنة قبيل موسم الحج.
٦ ـ مركز الشورى العامّة يكون مكّة عندما يصادف الحجّ موسم الشتاء، والطائف في موسم الصيف.
٧ ـ تقترع الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس، ويعينه الخليفة.
٨ ـ تتعيّن وظائف الشورى العامّة بقانون مخصوص تضعه هي، ويصدّق عليه من قبل السلطنات والإمارات.
٩ ـ ترتبط بيعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع، بناء على أنّه إذا تعدّى شرطاً منه ترتفع بيعته، وفي كل ثلاث سنين يُعاد تجديد البيعة.
١٠ ـ انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى، العامّة.
١١ ـ الخليفة يبلغ قرارات الشورى ويراقب تنفيذها.
١٢ ـ الخليفة لا يتدخل في شيءٍ من الشؤون السياسية والإدارية في السلطنات والإمارات قطعياً.
١٣ ـ الخليفة يصدّق على تولّيات السلاطين والأمراء التي تجري احتراماً للشرع على حسب أصولهم القديمة في وراثاتهم للولاية.
١٤ ـ الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكريّة مطلقاً، ويُذكر اسمه في الخطبة قبل أسماء السلاطين، ولا يُذكر في المسكوكات.
١٥ ـ يُناط حفظ الأمن في الخطّة الحجازيّة بقوّة عسكرية تتألف من ألفين إلى ثلاثة آلاف من جنود مختلطة، تُرسل من قِبَل جميع السلطنات والإمارات.
١٦ ـ تكون القيادة العامة للجنود الحجازية منوطة بقائد من قِبل إحدى الإمارات الصغيرة.
١٧ ـ يكون القائد تحت أمر هيئة الشورى مدّة انعقادها.

١٨ ـ هيئة الشورى تكون تحت حماية الجنود المختلطة.

((أمّا وظائف الشورى العامة فيقتضي أن لا تخرج عن تمحيص أمّهات المسائل الدينيّة التي لها تعلّق مهمّ في سياسة الأمّة، وتأثير قوي في أخلاقها ونشاطها، وذلك : مثل فتح باب النظر والاجتهاد تمحيصاً للتشريعات، وتيسيراً للدين، وسد أبواب الحروب والغارات والاسترقاق اتّباعاً لمقتضيات الحكمة الزمنية.

وكفتح أبواب حسن الطّاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها، وإنْ كانت غير مسلمة، وسدّ أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكفتح باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس، وسدّ باب إضاعة الأوقات بالعبث، ونحو ذلك من أمّهات المنجّيات والمهالك.))

ثم قال الأمير : وبمثل هذا الترتيب تنحلّ مشكلة الخلافة، ويتسهّل عقد اتحاد إسلاميّ تضامنيّ تعاونيّ يقتبس ترتيبه من قواعد اتحاد الألمانيين والأمريكيين مع الملاحظات الخاصّة.وبذلك، تأمن الحكومات الإسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخلية والخارجية، فتتفرغ للترقّي في المعارف والعمران والثروة والقوة، ممّا لابُدّ منه للنجاة من الممات. وما أجدر إمارات الجزيرة بالسبق إلى مثل هذا الاتّحاد.

قال الصاحب : يُستَشَفُّ من ظاهر فكر مولاي الأمير، أنّه لا يجوز الاتكال على الملوك العثمانيين العظام في أمر الخلافة، علاوة على السلطنة.

قال الأمير : إنّي أحبّ العثمانيين للطف شمائلهم، وتعظيمهم الشعائر الدينيّة، ولكنّ النصيحة للدّين تستلزم قول الحقّ. وعندي أنّ حضرات آل عثمان العظام أنفسهم، إذا تدبّروا، لا يجدون وسيلة لتجديد حياتهم السياسية أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشيّ.

قال الصاحب : أخبرَني، أيها الأمير، أحدُ أعضاء الجمعية أنه لمّا رأى السيّد الفراتي يميل للتنقيب عن سياسة العثمانيين، واستمالة الجمعية عليهم لا لهم، ذكر له ذلك مرَّة متلوِّماً، وقال : ألا

ينبغي ستر أحوالهم والمدافعة عنهم، لأنّهم أعظم دولة إسلامية موجودة ؟

فأجابه :

بأنّ ذلك كذلك لولا أنّ فيه تغرير المسلمين، وتركهم متّكلين على دولةٍ ما توقّفت لنفع الإسلامية بشيء في عزّ شبابها، بل أضرّتها بمحو الخلافة العباسيّة المجمع عليها، وتخريب ما بناه العرب، وإفناء الأمّة بفتوحاتها شرقيّ أوربا ومدافعاتها، وأنّه لا يقصد بكشف الحقيقة وإظهارها غير إزالة الغرور والاتّكال المستوليين على جماهير المسلمين بسبب عدم التأمّل. ثم قال له :

أليس الترك قد تركوا الأمّة أربعة قرون ولا خليفة، وتركوا الدِّين تعبث به الأهواء ولا مرجع، وتركوا المسلمين صمّاً بكماً عمياً ولا مرشد ؟ !

أليس الترك قد تركوا الأندلس مبادلة، وتركوا الهند مساهلة، وتركوا الممالك الجسيمة الآسيوية للروسيين، وتركوا قارة إفريقيا الإسلامية للطامعين، وتركوا المدخلة في الصين كأنّهم الأبعدون ؟ !

أليس الترك قد تركوا وفود الملتجئين يعودون خائبين، وتركوا المستنصِرين بهم عرضة للمنتقِمين، وتركوا ثلثي ملكهم طعمة للمتغلّبين ؟!

أفما آن لهم أن يستيقظوا ويصبحوا من النادمين على ما فّرطوا في القرون الخالية، فيتركون الخلافة لأهلها والدّين لحماته؛ وهم يحتفظون على بقيّة سلطنتهم، ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين، وبذلك يتّقون الله في الإسلام والمسلمين ؟ !

وقال أيضاً : إنه غير متعصّب للعرب، وإنما يرى ما لابدّ أنْ يراه كلُّ حرّ يتفحّص الأمر : من أنّ الغيرة على الدِّين وأهله والاستعداد لتجديد عزّ الإسلام منحصران في أهل المعيشة البدويّة من العرب. إذ يرى أنّ المشيئة الإلهية حفظتهم من تلك الأمراض الأخلاقية التي لا دواء لها : كفالج الحريّة في الحواضر،باعتقاد أهلها أنّهم خُلقوا أنعاماً للأمراء. وكجذام التربية في المدن بوضعهم النساء في مقام ربائط للاستمتاع. وكطاعون الحياء في بعض الأقوام بألفتهم اللّواط المميت للأخلاق الشريفة دفعة الذي جزى الله

أهله بخسف الأرض بهم تطهيراً لها منهم. وكَوباء النشاط في أهل الأراضي الخصبة، حيث يسهل أن يغنوا، فيبطروا، فتفسد أخلاقهم، فيخسرون الدنيا والآخرة.

قال الأمير : نِعْمَ الرأي، ونِعْمَ التدقيق.

قال الصاحب : إنّ ماذكر من حصر صفة الخلافة في خليفة قرشيّ في مكّة، ترتبط به جميع السلطنات والإمارات الإسلامية ارتباطاً دينياً؛ وما وصف من تشكيل الشورى العامّة المؤيّدة لهذا الارتباط الديني، لأمر عظيم جداً. والغالب أن الدول المسيحية التي لها رعايا من المسلمين، أو المجاورة للمسلمين، تتحذّر من أن يجرّ جمع الكلمة الدينية إلى رابطة سياسيّة تولد حروباً دينية، فَتَعْمَد هذه الدول إلى عمل الدسائس والوسائل لمنع حصول هذا الارتباط أساساً. فما هو التدبير الذي يقتضي اتّخاذه أمام تحذر الدول من ذلك ؟

قال الأمير : لا يفكّر هذا الفكر غير الفاتيكان[1] وأحزابه الجزويت[2] وأمثالهم، أمّا رجال السياسة في إنكلترا وروسيا وفرانسا، وهي الدول العظام التي يهمّها التفكير في هذا الشأن، فقد علّمتهم التجارب النتائج الآتية وهي :

١ ـ إنّ المسلمين لا يتنصَّرون أبداً، لا سيّما في زمان يبتعد فيه النصارى عن نصرانيّتهم.

٢ ـ إنّ المسلمين المتنوّرين، أفراداً وجموعاً، أَبعدُ عن الفتن من الجاهلين.

٣ ـ إنّ العرب من المسلمين أقرب من غيرهم للألفة وحسن المعاملة والثبات على العهد.

فإذا أُرشد أولئك السياسيون لأن يضمّوا إلى معرفتهم هذه، علمهم أيضاً بالأحكام الإسلامية في مسألة الجهاد التي يتهيّبونها، علماً يستخرجونه من عندهم من تراجم القرآن الكريم، لا من مؤلفات متعصبيّ الطرفين، حيث يجدون نحواً من خمسين آية

---

(١) مقام الباباوات في روما، يتألف من البلاط والمعابد والمتاحف والمكتبة التي تُعَدُّ إحدى أهم مكتبات العالم. ودولة الفاتيكان اعترفت بها إيطاليا (١٩٢٩ م).

(٢) فرقة كاثوليكية متعصّبة.

بأساليب شتىّ، كلّها تنهى عن الإلحاح في الهداية إلى الدِّين، فضلاً عن التشديد والإلزام بالقتال، كقوله تعالى : [1]، [2] و [3]. ويجدون آيتين في التشديد إحداهما :

[4] والأخرى [5] ؛ وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون أنهما نزلتا في حقّ المشركين والكتابيين من العرب، ولا يوجد في القرآن ملزم لاعتبار عموميّة حكمهما.

وإذا دقَّقوا البحث، يجدون أنْ ليس في علماء الإسلام مطلقاً مَنْ يحصر معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين، بل كُلّ عمل شاقٍّ نافعٍ للدِّين والدنيا، حتى الكسب لأجل العيال، يُسمّى جهاداً.

وبذلك يعلمون أنّ قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنيّاً على إرادةالفتوحات، والتوسّل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات، كما أُعطي اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التي أصلى نارها المسيحيون.

ثم بعطف نظرهم إلى التاريخ، يجدون أنّ العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حرباً باسم الجهاد. وما كانت تعديات أساطيل إمارات الغرب إلاّ من قبيل (القرصان) الذي كان مألوفاً عند جميع إمارات الأرخبيلين والصقلي واليوناني وكلّهم نصارى. أمّا غارات التاتار

---

(١) القصص : ٥٦.
(٢) النحل : ١٢٥.
(٣) الغاشية : ٢٢.
(٤) الحجر : ٩٤.
(٥) البقرة ٢١٨، الأنفال : ٧٤، التوبة : ٢٠.

على شمالي أوروبا وغارات الترك على شرقها، فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحرب الدينية، وإنما هي من ملحقات غارات البرابرة الشماليين على أوروبا. ويجدون أنّهم كما أغاروا على أوروبا أغاروا على البلاد الإسلامية، ثم أسلم التاتار، وحَسُنَتْ أخلاقهم.

أمّا التُّرْكُ، فإذا دقّق الأوروبيون سياستهم، يجدونهم لا يقصدون بالاستناد للدين غير التلاعب السياسيّ وقيادة الناس إلى سياستهم بسهولة، وإرهاب أوروبا باسم الخلافة واسم الرأي العام. وعدم اشتراك البلاد العربيّة في المذابح الأرمنية الأخيرة، برهانٌ كافٍ على أنّ الإسلامية بمعزل عن المجافاة، لأنّ العرب يفهمون معنى القرآن، فيدينون به. وقد يندهش الأوروبيون إذا علموا أنّ السياسة التركيّة لم يوافقها أن تترجم القرآن إلى اللغة التركية إلى الآن.

ولدى رجال السياسة دليل مهم آخر على أنّ أصل الإسلامية لا يستلزم الوحشية بين المسلمين وغيرهم، بل يستلزم الإلفة؛ وذلك أنّ العرب أينما حلّوا من البلاد، جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولغتهم، كما أنّهم لم ينفروا من الأمم التي حلّت بلادهم، وحكمتهم، فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الأتراك، بل يعتبرون دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لأنّهم يذعنون لكلمة ربّهم تعالى شأنه : ⬇ ❐◆✍♉❑◘▣ ✂ ⌧ ✂ ☞③▪ ⇱
☼⬅⑨⌧✂❐☞♏↗♑⌧ ✉♦✓⌦✖♦ ✂☝✡❐❐♓ ⬆[1].

فإذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لا يحذّرون من الخلافة العربية، بل يرون من صولحهم الخصوصيّة، وصوالح النصرانية، وصوالح الإنسانية، أنْ يويّدوا قيام الخلافة العربية بصورة محدودة السطوة، مربوطة بالشورى على النسق الذي قرأته عليك.

ثمّ على فرض أن بعض الدول ولو المسلمة أرادت عرقلة هذا الأمر، فهي لا تقوى عليه، لأنّ أفكار الأمم لا تُقَاوَم، ولا تُصَادَم، على أنّي لا أظنّ بمثل فرانسا أنْ تنخدع لرأي أنصار الجزويت، لا

---

(١) آل عمران : ١٤٠.

سيّما بعد أنْ تعلّمت من الإنكليز كيف تُسوّس المسلمين، فأبقت لتونس أميرها، فاستراحت مما عانته قبلاً مع الجزائر بسبب السياسة التعصّبية الخرقاء.

قال الصاحب : أستشفّ من كلام مولاي أنّ أمله ضعيف في تشكيل جمعيّة تعليم الموحّدين، مع أنّه معجب بإتقان التدبير.

قال الأمير : إنَّ دون تشكيل الجمعية بعض عوائق ماليّة شتى، وأرجو الله تعالى أن يزيلها.

قال الصاحب : إنّني جاهد الوقوف على خبر السيد الفراتي، ولعلّي أظفر بمعرفته فأجتمع به، أو أكاتبه، فهل لمولاي رأي أو أمر أُبلغه إيّاه إذا ظفرتُ به ؟

قال الأمير : نعم، إذا ظفرتَ بمعرفته فَأَقْرِئْهُ مني السلام، وبَلّغه عني هذه الجمل : وهي أنّي أثني على صدقِ عزيمته، وعلى حسن انتخابه ورفقائه، وأوصيه بالثبات والإقدام ولو طال المطال، وأن يحرص على إبقاء علاقته مع أعضاء جمعيّة أم القرى باستمراره على مكاتبتهم، وأنْ لا يقنط من مساعدة القسطنطينية أو مصر أو مراكش أو طهران أو كابل أو حائل أو عمان، لا سيّما بعد انعقاد جمعية تعليم الموحّدين ورسوخها.

قال الصاحب : إذا ظفرتُ به إنْ شاء الله أُبَشِّره بتحية مولاي الأمير، وأُبلغه كلّ ما أمر به.

(انتهت المحاورة)

يقول السيد الفراتي : قد ألحقتُ هذه المحاورة بسجل المذاكرات، وكتبتُ بها إلى باقي الإخوان، وذلك تنويهاً بشأن حضرة الأمير المشار إليه، وشكراً على غيرته وتبصيراته، وافتخاراً بحسن ظنّه ونظره في هذا العاجز، وتبشيراً لجنابه وللمسلمين، بأن جمعية أمّ القرى قد أُحكم تصوُّرها وتأسيسها، فهي بعناية الحيّ القيّوم الأبدي حيّة قائمة أبداً.

(تذكرة)

ربّمـا يتـأخر تشـكيل جمعيـة الموحّـدين مـدّة، فالمـأمول مـن الجمعيـات الإسـلامية الموجـودة فـي الـهنـد وقـازان والقـرم ومصـر وغيرها أنْ لا تأنف من تنوير أفكارها بمباحث هذا السِّجلّ، فتقتـبس منه ما يناسبها، وتتخذ القانون والوظائف مثالاً وذكرى.

(رجاء)

مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، وعنده شمة حمية ومروءة، فلا يتجسس على جمعية أم القرى وأعضائها بقصد إيصال سوء إليهم. وليعلم أن يده ـ وإنْ طاولت الأفلاك ـ لأَقصر من الإضرار بها، لأن الجمعية في أمان الإخلاص. ولا يحيق المكر السيئ إلاّ بأهله.

(تهوين)

ليعلم أُسراء التقاليد، وَوَرَثَةُ الأوهام، ومعظّمو ومؤلّهو الطغام؛ أن تألّمهم من صدمة بعض هذه المباحث لما ألفوه عمرهم هو تألّم مباغت، لا يلبث أن يزول متى خلوا بعقولهم، وحكّموا الحكمة والإنصاف، وتأملوا حقّ الإيمان وناطق القرآن، وحينئذ يتجلّى لهم الحقّ، ويندمون كما ندم قبلهم الأوّلون، فيتوبون ويتوب الله عليهم، والله يهدي مَنْ يشاء.

(إعلان)

مَنْ أحبَّ أنْ ينجد مقاصد جمعية أم القرى برأي فائق أو عمل مهمّ، أو راغب في تعضيدها بجاه أو مال، وأراد مراسلة الجمعية، أمكنه أن يراسل وكالة الجمعية بدون اسم، بل بإرسال كتاب مُعَنْوَنٍ إلى مدينة ـ ـ ـ ـ ـ إلى صندوق بوسته عدد ـ ـ ـ ـ ـ وإذا أراد التخفّي يمكنه أن يخابرها أولاً باسم له مُختلَق[1]، ثم بعد أخذه الجواب الأول يستعمل الكتابة الجفرية[2] الموضَّحة في الجدول المذيّل به هذا السِّجل.

والذين يُرجى منهم تعضيد مهمّ كحضرات الأمراء العظام والأغنياء الكرام، فلهم أن يطلبوا رسولاً من قبل الجمعية ليُوضِّحَ لهم ما يستوضحون[3].

---

(١) مستعار.

(٢) الرمزية. الجفر = الشَّفْرَة : رموز يستعملها الناس للتفاهم السّري فيما بينهم.

(٣) هنا تُعلّق المنار : (قد انتهى كتاب سجل جمعية أم القرى، وما أُلحق به. وقد كنا اتفقنا مع جامعه السيد الفراتي (تغمّده الله برحمته) على نشره في المنار بتصرّف يختصُّ بتصحيح عبارته وحذف مساوئ الدولة العلية (أيّدها الله تعالى) منه. ثم استحسن فضلاء القراء عدم حذف شيء منه، فللمطّلعين ما نشرناه من أول سنة المنار الخامسة إلى الآن أن يثقوا بأنهم اطّلعوا على هذا السجل كله، بعبارة أصح : (إلا جملة واحدة ذكر فيها خديوي مصر بأنه مرجو لمساعدة الجمعية، وإلا جدول المخاطبة الرمزية المذكور آنفاً في الإعلان) ط. م.

(بيان يكشفه الزمن)[1]

ق ث ذ ط س ظ س ا ظ غ ع ط ب ط ت ر ك ط ط ر ق ب د س ى
ض ر ذ ث
ب ر ا ون ت وو ل د ج ي ض ى غ وق ب ج م ر ي ط ب س ق
ج ق ك د
ث ل ص ظ ج ب ت ث س غ ٦ ١ ٣ ١ ق ك ا ب ق ب ذ ن خ ذ
وص ن ت ث
ل ع ت س ي ش ر ز ز ل ج ر ل ظ ث ك ذ ق د س ي س د م ك
ق ب ر
ز ض د ج غ ف ج ع ي ق ب ج هـ ف ح وهـ ت ض س ظ ض ـخ
ـخ ي ك ن
م ل ق ذ وك ط ح ر ذ ف وذ ن ا د ر ك ح د ذ ل ل ا ح وق ذ ر ك
ك ث خ ظ ي ض وغ ي ل خ د ي ث ر وم ل ك ر ظ ـخ وث غ ـخ
ب ر ى
س ـخ س ى ص ـخ د ل ب ت ا ق ب ث ع ل ب ظ ب د ذ ب ق ب
ث ب
س ج ذ ك ز ر ز ك ن ت وو ل ن ث وح د غ ب ـخ ر ج س م ث م
س غ ذ
ج ش ح ض ك ـخ هـ ل ط ص ل ل ج د ك ق س ح ي ض د ض د
ن د ص ج
ف ر ك ق س ص ق ك ع وض ر ـخ ا ع ط ر ى ض د د ي ظ

صالح ج

---

(١) خلت (ط.م) من هذا البيان، ومضاف بخط اليد إلى النسخة التي لديَّ منها.

(الجدول الأفقي)[1]

حيث أن بعض البوستات مأذونة رسماً بفتح المكاتيب التي يشتبه منها، فالحاجة ملجئة لاستعمال كتابة جفرية مأمونة، بناءً عليه، صار وضع هذا الجدول تسهيلاً للمخابرة السرية بجفرة لا يمكن كشف سرها بدون معرفة حروف المفتاح المتفق عليها بين كل متخابرين.

طريقة الكتابة

هي أن يتفق المتخابران على كلمة، ولو ساذجة، تسمّى المفتاح، ولا حاجة لأن تكون أكثر من ثلاثية أو رباعية، وعندما يريد أحدهما أن يكتب عبارة فعلية يحررها بحروف مقطعة على ورقة يضعها أمامه، ويضع بين يديه هذا الجدول، فينظر ما هو الحرف الأول من المفتاح، فيضع أصبع يده اليمنى على الحرف المماثل له المرسوم في الجدول الأول العامودي الأيمن الأسود. ثم ينظر ما هو الحرف الأول من العبارة المراد كتابتها فيضع أصبع يده اليسرى على الحرف المماثل له من الجدول الأفقي الأسود، ثم يمشي أصبعيه يساراً ونازلاً حتى يلتقيا في نقطة زاويتهما، فحينئذ ينظر ما هو الحرف المرسوم في نقطة الملتقى فيكتبه. ثم ينظر ماهو الحرف الثاني من المفتاح وماهو الحرف الثاني من العبارة فيعمل كما عمل أولاً، ويكتب حرف نقطة الملتقى، وهكذا حتى تنتهي حروف المفتاح، فيعيد الأخذ بأول حرف من المفتاح، ويستمر في الأخذ من حروف العبارة، بحيث كلما انتهت حروف المفتاح يعيد الكرة من أولها، ويبقى مستمراً في موالدة حروف العبارة إلى أن تنتهي، وعندئذ يجد أنه قد تسطَّر معه حروف مبدلة عوضاً عن الحروف الأصلية للعبارة، ومَنْ يريد الاختصار يمكنه أن يحرر بعض العبارة كتابة عادية، ويكتب بعض كلمات أو جمل من خلالها بهذه الطريقة، ولا بأس أن يُحَرِّر إمضاءه أيضاً جفراً.

---

(١) التفصيلات اللاحقة عن طريقتي الحل والكتابة غير موجودة إلا في طبعة (ط.ط) التي صدرت في القاهرة عام ١٩٢٣.

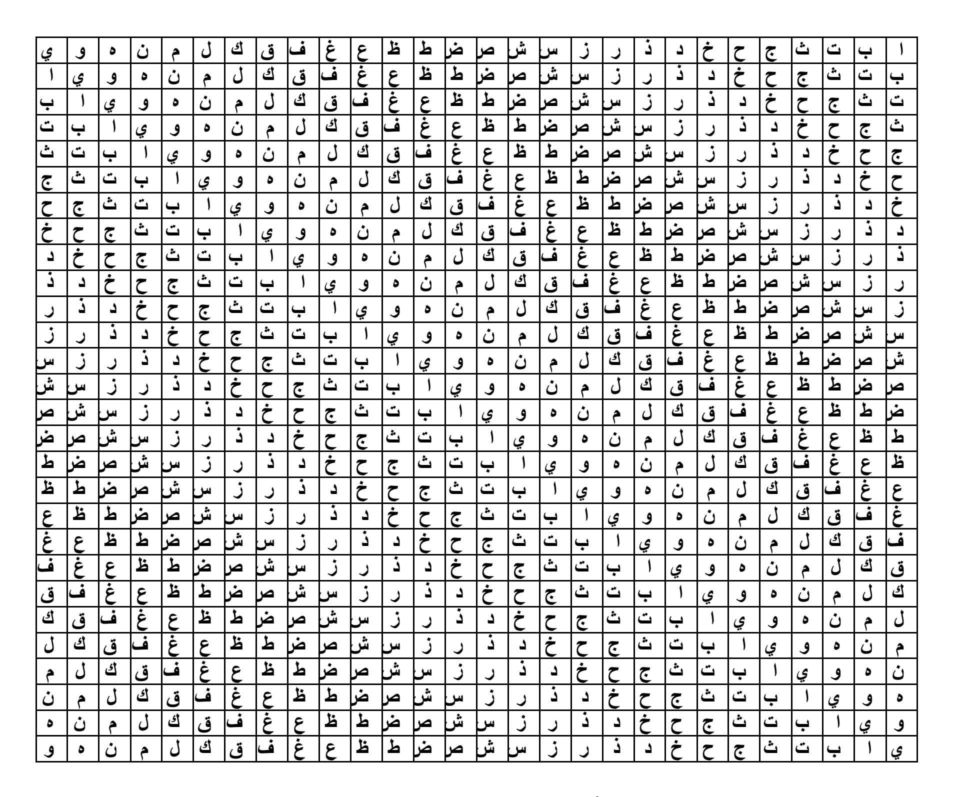
طريقة الحل

هي أنَّ مَنْ يأخذ الرسالة الجفرية يحلّها بأن يضع أصبع يده اليمنى على مثل الحرف الأول من المفتاح في الجدول العامودي الأيمن الأسود، ثم يسري بأصبعه يساراً حتى يقف على مثل الحرف الأول في الرسالة الجفرية، ثم يصعد بأصبعه حتى ينتهي للجدول الأفقي الأعلى الأسود، فيأخذ الحرف الذي يجده فيه، فيسطّر ويكون هذا هو الحرف الأصلي المستبدل، ثم يعمل مثل ذلك باعتبار الحرف الثاني من المفتاح والحرف الثاني من الرسالة وهكذا، ثم يعيد الكرة على حروف المفتاح المرة بعد الأخرى إلى أن يستبدل حروف الجفرة بالحروف الأصلية.

تنبيه :

قد وُضع هذا الجدول لكتابة العربية، كما أنه تُكتب به التركية والفارسية باعتبار تفريق حروف (ب ج ز ك) من أخواتها العربية بالقرينة، وكذلك يُستغنى عن حروف الحركات في الأوردية ببعض الحروف العربية التي لا دخل لها فيها. ومَنْ يريد استكمال ذلك يمكنه أن يضيف لهذا الجدول على نسق ترتيبه ما يشاء من الحروف والأرقام والرموز والأشكال :

الجدول الأفقي



ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا
ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب
ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت
ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث
ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج
خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح
د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ
ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د
ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ
ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز
ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س
ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض
ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط
ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ
غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع
ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ
ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف
ك	ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق
ل	م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك
م	ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل
ن	ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م
ه	و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن
و	ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه
ي	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و

(مَنْ يريد أنْ يُجهل خطُّهُ أيضاً يمكنه أنْ يلتقط مفردات الحروف اللازمة نحو الجرائد فيقتطعها مربعة، ويلصقها متتابعة)

المصادر والمراجع

ـ الأفغاني، جمال الدِّين : الأعمال الكاملة لجمال الدِّين الأفغاني مع دراسة عن الأفغاني الحقيقية الكاملة. تحقيق ودراسة محمد عمارة. القاهرة : المؤسسة المصرية العامة؛ دار الكاتب العربي، ١٩٦٨.

ـ أنطونيوس، جورج. يقظة العرب : تاريخ حركة العرب القومية. تقديم نبيه أمين فارس؛ ترجمة ناصر الدِّين الأسد وإحسان عباس. بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٢. ط٥. بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٨.

ـ تابييرو، نوربير. الكواكبي المفكّر الثائر. ترجمة علي سلامة. ط٢. بيروت : دار الآداب، ١٩٨١. ط١، ١٩٥٤م .

ـ جدعان، فهمي. أسس التقدم عند مفكّري الإسلام في العالم العربي الحديث. بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩.

ـ الحصري، ساطع. البلاد العربية والدولة العثمانية. ط١. القاهرة : جامعة الدول العربية؛ معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٥٧. ط٣. بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٥.

ـ حمزة، محمد شاهين. عبد الرحمن الكواكبي : العبقرية الثائرة. القاهرة : المطبعة النموذجية؛ منشورات المكتبة العالمية ومطبعتها، ١٩٥٨. (سلسلة أعلام الحرية).

ـ داية، جان. صحافة الكواكبي. بيروت : مؤسسة فكر، ١٩٨٤. (سلسلة فجر النهضة؛ ٢).

ـ الدهان، سامي. عبد الرحمن الكواكبي، ١٨٥٤ــ١٩٠٢. القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٤.(نوابع الفكر العربي؛ ٢٣).

ـ السحمراني، أسعد. الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهته عند الكواكبي والإبراهيمي. ط٢.بيروت : دار النفائس، ١٩٨٧. ط١. ١٩٨٤.

ـ السيوطي، جلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر. تاريخ الخلفاء تحقيق الرفاعي والعثماني. بيروت : دار القلم، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م.

ـ الشنقيطي، أحمد بن الأمين. الدرر اللوامع. ط٢. بيروت : دار المعرفة، ١٩٧٣. ٢ ج.

ـ الطباخ، محمد راغب. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. حلب : [د.ت.]، ١٩٢٦. ٧ مج.

ـ طحّان، محمد جمال. الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي. دمشق : اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٢.

ـ طرازي، فيليب دي. تاريخ الصحافة العربية. بيروت : المطبعة الأدبية، ١٩١٣-١٩٣٣. ٤ مج. ج٢.
ـ عبده، محمد. الأعمال الكاملة. جمعها، وحقّقها، وقدّم لها محمد عمارة. بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢- ١٩٧٤. ٦ج.
ـ العجلوني إسماعيل بن محمد. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. أشرف على الطبع أحمد القلاش. ط٤. بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م.٢ج.
ـ العقاد، عباس محمود. الرحالة (كاف) عبد الرحمن الكواكبي. القاهرة : مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٥٩.
ـ عمارة، محمد. العرب والتحدي الحضاري. الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٠.(سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٠).
ـ قلعجي، قدري. عبد الرحمن الكواكبي. بيروت : دار الشرق الجديد، ١٩٦٣.(سلسلة أعلام الفكر العربي؛ ٢٤).
ـ كتورة، جورج. طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد. بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧.
ـ كرد علي، محمد. المذكرات. دمشق : مطبعة الترقي، ١٩٤٨-١٩٤٩. ٣ج.
ـ الكواكبي، عبد الرحمن. الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي. تحقيق ودراسة محمد جمال طحان. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥؛ ص٥٧٩.
ـ أم القرى، وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣١٦ هـ. طبعات مختلفة. وط حلب : المطبعة العصرية، ١٩٥٩.
ـ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. طبعات مختلفة + مخطوطة. ط٢. بيروت : نشر رياض كيالي؛ دار القرآن الكريم، ١٩٧٣. ط١. ١٩٥٧.

فهرس أكثر المباحث المهمة الواردة في سجل المذاكرات

صفحة		
٣٧	مقدمة	
	أسباب تشكيل الجمعية	السيد الفراتي
	كيفية تشكيل الجمعية	السيد الفراتي
٤١	الاجتماع الأول تأسيس الجمعية وخطبة الرئيس	
	صورة المذاكرات	السيد الفراتي
	تاريخ الانحطاط والانتباه الأخير	الأستاذ المكي
	الاكتتام والرجوع لمذهب السلف	الأستاذ المكي
	الإسلامية في جزيرة العرب، مرتبة تحقيق لائمة	الأستاذ المكي
	قوة الأمل في النهضة الدينية	الأستاذ المكي
	وجود الأكفاء والاعتماد على الجمعيات	الأستاذ المكي
	برنامج مباحث الجمعية	الأستاذ المكي
٥١	الاجتماع الثاني (الداء أو الفتور العام)	
	شمول الفتور لكافة المسلمين	الأستاذ المكي
	يوجد مَنْ هم أحطّ من المسلمين	الصاحب الهندي
	لا يوجد مَنْ لا يدين بدين	الصاحب الهندي
	تكون الشؤون على حساب الدِّين	الصاحب الهندي
	عقيدة الجبر وعدم تأثيرها	الفاضل الشامي
	ما هو الزهد في الإسلام ؟	البليغ القدسي
	حق الولاة في الهداية للدِّين	البليغ القدسي
	تبدل نوع السياسة والتفرق في الدِّين	البليغ القدسي
	غلبة الأخلاق الجندية	البليغ القدسي
	جهل الأمراء وحرصهم على الاستبداد	الحكيم التونسي
	ما هي الحرية ؟ ما هي أهميتها ؟	المولى الرومي
	سبب الإخلاد للخمول والملهيات	المولى الرومي
	عدم شعور الهندي والمصري بآلام غيره	المولى الرومي
	تَرْكُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	المجتهد التبريزي
	سهولة إزالة المنكر	
	فَقْدُ الاحتساب باستيلاء الدخلاء	المجتهد التبريزي
	ما هي الطاعة لأولي الأمر	
	السلطان الكافر العادل أم المسلم الظالم ؟	المرشد الفاسي
	انحلال الرابطة بفقد الرؤساء	المرشد الفاسي
	العلماء المدلّسون وإفسادهم الدين	المحقق المدني
	مآخذ البدع الدينية من النصرانية وغيرها	المحقق المدني
	الميل العام للبدع والتصوف	المحقق المدني
	تمكن الأوهام في الأمراء والعواصم وما هو السحر ؟	المحقق المدني

	فَقْدُ العلماء وضياع الدين	المولى الرومي
	العلماء الرسميون	المولى الرومي
٧١	الاجتماع الثالث : (الداء أو الفتور العام)	
	اختصاص القضاء بالجهلاء. الألقاب العلمية والسلطانية	المولى الرومي
	مجاهرة العلماء بمخالفة الدِّين. تولية الخدم الدينية للجهلاء	المولى الرومي
	هدم قواعد الدِّين على يد العلماء	المولى الرومي
	الأمراء والشورى وفقر العلماء	المولى الرومي
	اقتصار التعليم على بعض العلوم	الرياضي الكردي
	تقصير الوعّاظ والخطباء والمرشدين في وظائفهم	الرياضي الكردي
	اليأس من المباراة واللحاق، فَقْدُ السراة والجمعيات	الكامل الإسكندري
	استحكام الجهل بسبب الفقر	الفقيه الأفغاني
	المعيشة الاشتراكية الإسلامية	السعيد الإنكليزي
	الاجتماعات والمفاوضات	السعيد الإنكليزي
	حكماء الأمة ووظائفهم	الإمام الصيني
	الشورى في الإسلام	الإمام الصيني
	الدين ليس ما به ندين	العالم النجدي
	تطرق الشِّرك وشؤمه	العالم النجدي
٩١	الاجتماع الرابع (الدِّين والإسلام والشِّرك والتصوّف)	
	ما هو الدين ؟	العالم النجدي
	ما هو الإسلام والتوحيد ؟	العالم النجدي
	موارد الشِّرك	العالم النجدي
	التوحيد أساس الحرية	العالم النجدي
	ما هو الشِّرك ؟ ما هو التوحيد ؟	العالم النجدي
	مصارع الشِّرك والمقابريين	العالم النجدي
	متصوفة الزمان	العالم النجدي
	التشديد والتشويش في الدِّين	العالم النجدي
	الشافعية والصوفية	العالم النجدي
	الدِّين في جزيرة العرب	العالم النجدي
١١٥	الاجتماع الخامس : (الاستهداء بالكتاب والسنة)	
	تشكيل لجنة القانون	
	المهتدون جديداً والاستهداء	السعيد الإنكليزي
	البروتستانت والزنادقة	السعيد الإنكليزي
	ما الكتاب ؟ وما السنة ؟	العالم النجدي
	أسباب الاختلافات الاجتهادية	العالم النجدي
	أسباب نسخ بعض الأحكام	العالم النجدي
	هل من وسيلة لرفع التفرق ؟	السعيد الإنكليزي
	تسهيل تعليم الأحكام	العلامة المصري

	الدين في اليمن وما يليه	المحدث اليمني
	العلم الكافي للاجتهاد	المحدث اليمني
	طريقة الاستهداء في اليمن	المحدث اليمني
	الإفتاء في اليمن	المحدث اليمني
	ليس في المتجهدين مَنْ جَوَّزَ التقليد	المحدث اليمني
	تسهيل المتقدمين الاستهداء	المحدث اليمني
	جواز تقليد الغير	المحدث اليمني
١٣١	الاجتماع السادس : (الطريقة النقشبندية وتشديد الفقهاء)	
	الطريقة النقشبندية	الشيخ السندي
	دواعي الميل إلى الطرائق. تشديدات الفقهاء	الشيخ السندي
	التصوف الباطل والعرفان	الشيخ السندي
	تاريخ التصوف	الأستاذ المكي
	المفتي والمستشرق في الاستهداء	الخطيب القازاني
	التقليد والوثوق بالمتقدمين	الخطيب القازاني
	تأثيرات التشديد والتشويش	الخطيب القازاني
	مزايا السماحة في الدِّين وسمو حكمة القرآن	الخطيب القازاني
	سمو الحكمة النبوية	الخطيب القازاني
	قيام المستشرقين بتعليم الدين	الخطيب القازاني
	الجدل في العقائد والفقه	المجتهد التبريزي
	التفريق في الدين	المجتهد التبريزي
	الاجتهاد عند علماء فارس	المجتهد التبريزي
	التلفيق والتوفيق في الاجتهادات	المجتهد التبريزي
	الحيل الشرعية وسقامتها	المجتهد التبريزي
	توفيق الأحكام على مقتضيات الزمان	المجتهد التبريزي
١٥٣	الاجتماع السابع: (مجمل أسباب الفتور)	
	تلخيص أسباب الفتور	السيد الفراتي
	الأسباب الدينية	السيد الفراتي
	الأسباب السياسية	السيد الفراتي
	الأسباب الأخلاقية	السيد الفراتي
	الأسباب السياسية الإدارية الجاريّة في المملكة العثمانية	السيد الفراتي
	الاستقلال النوعي والإداري	السيد الفراتي
	بخس العرب حقوقهم	السيد الفراتي
	إهمال رعاية الشرع	السيد الفراتي
	حالة الإدارة في الحجاز	السيد الفراتي
	أسباب شتى للفتور	السيد الفراتي
١٦٥	تطابق الأخلاق بين الرعية والرعاة	السيد الفراتي
	نفور الترك من العرب	السيد الفراتي

	الاجتماع الثامن : (غرارة المسلمين وأنواعها)	
	الغرارة بفقد المرشدين	السيد الفراتي
	الغرارة عن الإتقان	السيد الفراتي
	الغرور بالمقدرة	السيد الفراتي
	اللوث في الأمور	السيد الفراتي
	جهل النساء وتأثيراته	السيد الفراتي
	رعاية الكفاءة في النساء	السيد الفراتي
	الخور في الطبيعة	السيد الفراتي
	الواهنة والناشئة	السيد الفراتي
	الناشئة المحمديون	السيد الفراتي
	الناشئة المتفرنجون	السيد الفراتي
	وسيلة التغلب على الواهنة	السيد الفراتي
١٧٥	الاجتماع التاسع والعاشر والحادي عشر (مناقشة قانون الجمعية)	
١٧٧	الاجتماع الثاني عشر (قانون الجمعيّة)	
١٧٧	قانون جمعية تعليم الموحَّدين. المقدمة والمقررات	
١٧٨	الفصل الأول : في تشكيل الجمعية	
١٨٢	الفصل الثاني : في مباني الجمعية	
١٨٣	الفصل الثالث : في مالية الجمعية	
١٨٥	الفصل الرابع : في وظائف الجمعية	
١٩١	خاتمة القانون	
	المفاوضات الأخيرة	
	الجمعية ومصر وأمراؤها	
	أبيات للأديب البيروتي	
١٩٧	ذيل	
	خصائص الأقوام	
	مزايا جزيرة العرب	
	مزايا عرب الجزيرة	
	مزايا العرب عموماً	
٢٠١	لاحقة :	
	محاورة بين الصاحب الهندي والأمير في انتقادات المذاكرات	
	حضرات ملوك آل عثمان والنهضة الدينية	
	تقديم الملك على الدين	
	دعوى الخلافة حديثاً والغشاشون	
	إقامة خلافة قرشية دينية في مكة المكرمة	
	وظائف الشورى العامة	
	الترك والخلافة	
	الخلافة العربية وبعض الدول المسيحية	

المحتوى

إهداء ٧
مقدمة ٩
طبعات أم القرى ١٣
حياة الكواكبي ١٧
أم القرى أول مؤتمر عربي إسلامي(دراسة) ٢١
أم القرى ٢٥
المصادر والمراجع ٢٢٣

للمؤلف

عشرة زمن يا آه	شعر	دار الثقافة (دمشق)	١٩٨٥
الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي	دراسة	اتحاد الكتاب العرب (دمشق)	١٩٩٢
مشاغبات فكرية	مقالات	دار سراج (بيروت)	١٩٩٤
الأعمال الكاملة للكواكبي	دراسة وتحقيق	مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت)	١٩٩٥
على هامش التجديد من الكلامولوجيا إلى التكنولوجيا	دراسة	دار سراج (بيروت)	١٩٩٦
هكذا تكلمت حورية	مقالات	دار سراج (بيروت)	١٩٩٧
شرفات للجمر (بالاشتراك)	شعر	دار المرساة (اللاذقية)	١٩٩٨
صرخة الأسيان إضاءة كواكبيّة	دراسة	دار سراج (بيروت)	١٩٩٩
الحاضر غائباً (تأملات في الزمان)	مقولة	دار الأوائل (دمشق)	٢٠٠٠
أفكار غيّرت العالم تاريخ الحضارة عبر أعلامها	دراسة	دار الأوائل (دمشق)	٢٠٠١
اليهود والأوهام الصهيونية	دراسة	مكتبة الحياة (بيروت)	٢٠٠١
أبوالضعفاء (عبدالرحمن الكواكبي)	سيرة قصصية	جوائزثقافة الطفل(أبوظبي)	٢٠٠١
المثقف وديمقراطية العبيد	أبحاث	دارالأوائل	٢٠٠٢